تاريخ اليعقوبي

مقدم كتاب عربي يتضمن التاريخ على العموم
من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام ومنه الى زمن
المعتمد على الله العباسي سنة ٢٥٩

تأليف

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب
المعروف بابن واضح الاخباري
المتوفى بعد سنة ٢٩٢

الجزء الثاني

من نشريات المكتبة المرتضوية في النجف

١٣٥٨

مطبعة الغري
النجف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي التوفيق ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين .

إنه لما انقضى كتابنا الأول الذي اختصرنا فيه ابتداء كون الدنيا وأخبار الأوائل من الأمم المتقدمة ، والممالك المتفرقة ، والأسباب المتشعبة ، ألفنا كتابنا هذا على ما رواه الأشياخ المتقدمون من العلماء والرواة ، وأصحاب السير والأخبار والتاريخات ولم نذهب الى التفرد بكتاب نصنفه ونتكلف منه ما قد سبقنا اليه غيرنا لكنا قد ذهبنا الى أجمع المقالات والروايات لأنا قد وجدناهم اختلفوا في أحاديثهم وأخبارهم وفي السنين والأعمار وزاد بعضهم ونقص بعض فأردنا أن نجمع ما انتهى الينا مما جاء به كل امرئ منهم لأن الواحد لا يحيط بكل العلم ❊ وقد قال ❊ أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب : العلم أكثر من أن يحفظ فخذوا من كل علم محاسنه ❊ وقال ❊ جعفر ابن حرب الأشج : وجدت العلم كالمال في يد كل انسان منه شيء فاذا حوى الرجل منه جملة سمي موسراً ويحوي الآخر ما هو أكثر منه فيسمى موسراً ، وكذلك العلم لا يحوي منه شيئاً إلا سمي عالماً وإن كان غيره أعلم منه ، ولو كنا لا نسمي العالم عالماً حتى يحوي العلم كله لم يقع هذا الاسم على احد من الآدميين ❊ وقال بعض الحكماء ❊ ليس طلبي للعلم طمعاً في بلوغ قاصيته ، واستيلاء على غايته ، ولكن لالتماس شيئاً

لا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل خلافه ﴿ وقال بعض الحكماء ﴾ إن لم تكن عالماً فتعلم ، وان لم تكن حكيماً فتحكم فانه قل ما تشبه رجل بقوم إلا أن يكون منهم ، وقال بعضهم العلم روح والعمل بدن والعلم أصل والعمل فرع والعلم والد والعمل مولود وكان العمل بمكان العلم ولم يكن العلم بمكان العمل ﴿ وقال بعضهم ﴾ من طلب العلم لرغبة أو رهبة أو منافسة أو شهوة كان حظه منه على حسب الرهبة ومن طلب العلم لكرم العلم والتمسه لفضل الاستبانة كان حظه منه بقدر كرمه وانتفاعه به حسب استحقاقه ﴿ وقال بعضهم ﴾ كل شيء يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى العلم .

وابتدأ كتابنا هذا من مولد رسول الله « ص » وخبره في حال بعد حال ووقت بعد وقت الى أن قبضه الله اليه وأخبار الخلفاء بعده ، وسيرة خليفة بعد خليفة ، وفتوحه وما كان منه وعمل به في أيامه وسني ولايته ، وكان من روينا عنه ما في هذا الكتاب اسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي عن أشياخ بني هاشم ، وابو البختري وهب ابن وهب القرشي عن جعفر بن محمد وغيره من رجاله ، وأبان بن عثمان عن جعفر بن محمد ، ومحمد بن عمرو الواقدي عن موسى بن عقبة وغيره من رجاله ، وعبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحاق المطلبي ، وأبو حسان الزيادي عن أبي المنذر الكلبي وغيره من رجاله ، وعيسى بن يزيد بن دأب ، والهيثم بن عدي الطائي عن عبد الله بن عباس الهمداني ، ومحمد بن كثير القرشي عن أبي صالح وغيره من رجاله ، وعلي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني ، وأبو معشر المدني ، ومحمد بن موسى الخوارزمي المنجم ، وما شاء الله الحاسب في طوالع السنين والأوقات ، وأثبتنا عن غير هؤلاء الذين سمينا جملاً جاء بها غيرهم ، ورواها سواهم ، وعمناها من سير الخلفاء وأخبارهم ، وجعلناه كتاباً مختصراً حذفنا منه الأشعار ، وتطويل الأخبار ، وبالله المعونة والتوفيق والحول والقوة .

مولد رسول الله « ص »

وكان مولد رسول الله [ص] في عام الفيل بينه وبين الفيل خمسون ليلة وكان على ما رواه بعضهم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول ﴿ وقيل ﴾ ليلة الثلاثاء لثمان خلون من شهر ربيع الأول ﴿ وقال ﴾ من رواه عن جعفر بن محمد يوم الجمعة حين طلع الفجر لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ﴿ وولد ﴾ على ما قال أصحاب الحساب بقران العقرب [قال ما شاء الله المنجم] كان طالع السنة التي كان فيها القران الذي دل على مولد رسول الله الميزان اثنتين وعشرين درجة حد الزهرة وبيتها ، والمشتري في العقرب ثلاث درجات وثلاثاً وعشرين دقيقة ، وزحل في العقرب ست درجات وثلاث وعشرين دقيقة راجعاً ، وهما في الثاني من الطوالع ، والشمس في نظير الطالع في الحمل اول دقيقة ، والزهرة في الحمل على درجة وست وخمسين دقيقة وعطارد في الحمل على ثماني عشرة درجة وست عشرة دقيقة ، والقمر وسط السماء في السرطان درجة وعشرين دقيقة ﴿ وقال الخوارزمي ﴾ كانت الشمس يوم ولد رسول الله في الثور درجة ، والقمر في الأسد على ثماني عشرة درجة وعشر دقائق وزحل في العقرب تسع درجات وأربعين دقيقه راجعاً ، والمشتري في العقرب درجتين وعشر دقائق راجعاً ، والمريخ في السرطان درجتين وخمسين دقيقة ، والزهرة في الثور اثني عشرة درجة وعشر دقائق ، وكانت قريش تؤرخ السنين بموت قصي بن كلاب لجلالة قصي فلما كان عام الفيل أرخت به لاشتهار ذلك العام فكان تاريخهم من مولد رسول الله .

ولما ولد رسول الله رجمت الشياطين وانقضت الكواكب ، فلما رأت ذلك قريش انكرت انقضاض الكواكب وقالوا ما هذا إلا لقيام الساعة ، وأصابت الناس زلزلة عمت جميع الدنيا حتى تهدمت الكنائس والبيع وزال كل شيء يعبد دون الله عز وجل عن موضعه وعميت على السحرة والكهان أمورهم ، وحبست شياطينهم ، وطلعت نجوم

لم تر قبل ذلك فانكرتها كهان اليهود ، وزلزل ايوان كسرى فسقطت منه ثلاث عشرة شرافة وخمدت نار فارس ولم تكن خمدت قبل ذلك بالف عام ، ورأى عالم الفرس وحكيمهم — وهو الذي تسميه الفرس ﴿ موبذان موبذ ﴾ القيم بشرايع دينهم — كأن إبلاً عراباً تقود خيلاً صعاباً حتى قطعت دجلة وانتشرت في البلاد فراع ذلك كسرى انو شروان وأفزعه فوجه الى النعمان فقال هل بقي من كهان العرب احد ، قال نعم سطيح الغساني بدمشق من أرض الشام ، قال فجئني بشيخ من العرب له عقل ومعرفة أوجهه اليه فاتاه بعبد المسيح بن بقيلة فوجهه اليه فخرج اليه عبد المسيح على جمل حتى قدم دمشق فسأل عنه فدل عليه وهو نزل في باب الجابية فوجده في آخر رمق فنادى في أذنه بأعلى صوته :

أصم أم تسمع غطريف اليمن * يا فارج الكربة أعيت من ومن
وفاصل الخطبة في الأمر العنن * أتاك شيخ الحي من آل يزن

فقال عبد المسيح ، على جمل مشيح ، نحو سطيح ، حين أشفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان بهدم الايوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رأى إبلاً عراباً ، تقود خيلاً صعاباً ، حتى قطعت دجلة وانتشرت في البلاد ، يابن ذي يزن تكون هنة وهنات ، ويموت ملوك وملكات . بعدد الشرافات . إذا غضت بحيرة ساوة . وظهرت التلاوة . بارض تهامة ، وظهر صاحب الهراوة . فليست الشأم لسطيح شاماً . ثم فاضت نفسه .

وجاء رجل من أهل الكتاب الى ملأ من قريش فيهم هشام بن المغيرة والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة فقال ولد لكم الليلة مولود قالوا لا . قال أخطأكم والله معشر قريش فقد ولد إذاً بفلسطين غلام اسمه ﴿ أحمد ﴾ به شامة كلون الخز الأدكن يكون به هلاك أهل الكتاب . فلم يرعوا حتى قيل لهم إنه ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام فمضى الرجل حتى نظر اليه ثم قال هو والله هو . وويل أهل الكتاب منه

فلما رأى سرور قريش بما سمعت منه قال والله ليسطون بكم سطوة يتحدث بها أهل المشرق والمغرب .

وكان تزويج عبد الله لآمنة بنت وهب بعد حفر زمزم بعشر سنين ، وقيل بضع عشرة سنة ، وبين فداء عبد المطلب لابنه وبين تزويجه إياه سنة ، فكان اسم عبد الله أبي رسول الله (عبد الدار) ﴿ وقيل ﴾ كان اسمه (عبد قصي) فلما كان في السنة التي فدي فيها قال عبد المطلب هذا عبد الله فجاء يومئذ كذلك وكان بين تزويج أبي رسول الله بأمه وبين مولده على ما روى جعفر بن محمد — عشرة أشهر ﴿ وقال ﴾ بعضهم سنة وثمانية أشهر ﴿ وروي ﴾ عن أمه أنها قالت رأيت لما وضعته نورا بدا مني ساطعا حتى أفزعني ولم أر شيئا مما يراه النساء ﴿ وروى بعضهم ﴾ أنها قالت سطع مني النور حتى رأيت قصور الشام ولما وقع الى الأرض قبض قبضة من تراب ثم رفع رأسه الى السماء (.....) فكان اول لبن شربه بعد أمه لبن « ثويبة » مولاة أبي لهب وقد أرضعت ثويبة هذه حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وأبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي ﴿ وقال رسول الله « ص » ﴾ بعد ما بعثه الله رأيت أبا لهب في النار يصيح العطش العطش فسقي في نقرة إبهامه فقلت بم هذا فقال بعتقي ثويبة لأنها أرضعتك .

وتوفي عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله على ما روى جعفر بن محمد — بعد شهرين من مولده ﴿ وقال بعضهم ﴾ إنه توفي قبل أن يولد ، وهذا غير صحيح لأن الاجماع على أنه توفي بعد مولده ﴿ وقال آخرون ﴾ بعد سنة من مولده ، وكانت وفاة عبد الله بالمدينة عند أخوال أبيه بني النجار في دار تعرف بدار النابغة . وكانت سنه يوم توفي خمساً وعشرين سنة .

واسترضع في بني سعد بن بكر بن هوازن . وكان عبد المطلب دفعه الى الحارث ابن عبد العزى بن رفاعة السعدي زوج حليمة بنت أبي ذؤيب السعدي فلم يزل مقيماً في

بني سعد يرون به البركة في أنفسهم وأموالهم حتى كان من شأنه في الذي أتاه في صورة رجل فشق عن بطنه وغسل جوفه ما كان يخافوا عليه وردوه إلى جده عبد المطلب وله خمس سنين وقيل أربع سنين وهو في خلق ابن عشر وفوته .

وتوفيت أمه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بعد ما أتى عليه ست سنين وثلاثة أشهر ولها ثلاثون سنة ، وكان وفاتها بموضع يقال له « الأبواء » بين مكة والمدينة وكان عبد المطلب جد رسول الله يكفله .

وعبد المطلب يومئذ سيد قريش غير مدافع قد أعطاه الله من الشرف ما لم يعط أحداً ، وسقاه زمزم وذا الهرم ، وحكمته قريش في أموالها ، وأطعم في المحل حتى أطعم الطير والوحوش في الجبال ، قال أبو طالب :

ونطعم حتى تأكل الطير فضلنا * إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد

ورفض عبادة الأصنام ، ووحد الله عز وجل . ووفى بالنذر ، وسن سنناً نزل القرآن بأكثرها وجاءت السنة من رسول الله بها ، وهي الوفاء بالنذور ، ومائة من الابل في الدية ، وألا تنكح ذات محرم ، ولا تؤتى البيوت من ظهورها . وقطع يد السارق . والنهي عن قتل الموؤدة . والمباهلة . وتحريم الخمر . وتحريم الزنا والحد عليه . والقرعة . وألا يطوف أحد بالبيت عريان . وإضافة الضيف . وألا ينفقوا إذا حجوا إلا من طيب أموالهم . وتعظيم الأشهر الحرم . ونفي ذوات الرايات ولما قدم صاحب الفيل خرجت قريش من الحرم فرقة من أصحاب الفيل . فقال عبد المطلب والله لا أخرج من حرم الله وأبتغي العز في غيره فجلس بفناء البيت ثم قال :

لاهمّ إن تعف فإنهم عيالك * (١) إلا فشيء ما بدا لك

فكانت قريش تقول عبد المطلب إبراهيم الثاني . وكان المبشر لقريش بما فعل الله بأصحاب الفيل عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله . فقال عبد المطلب قد جاءكم

---

(١) أنظر ما علقناه في هامش ص ٢١٠ من الجزء الأول . (م ص)

عبد الله بشيراً ونذيرا . فاخبرهم بما نزل باصحاب الفيل فقالوا إن كنت لعظيم البركة لميمون الطائر منذ كنت .

وكانت لعبد المطلب من الولد الذكور عشرة ومن الاناث أربع . عبد الله وهو أبو رسول الله . وأبو طالب وهو عبد مناف . والزبير وهو أبو الطاهر . وعبد الكعبة وهو المقوم . وأمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهي أم حكيم البيضاء وعاتكة وبرة وأروى وأميمة بنات عبد المطلب . والحارث وهو اكبر ولد عبد المطلب وبه يكنى . وقثم وأمهما صفية بنت جندب بن حجير بن زباب بن حبيب ابن سوأة بن عامر بن صعصعة . وحمزة وهو أبو يعلى أسد الله وأسد رسول الله . وأمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة . وهي أم صفية بنت عبد المطلب . والعباس وضرار أمهما نتيلة بنت جناب بن كليب بن النمر بن قاسط . وأبو لهب وهو عبد العزى وأمه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر الخزاعي . والغيداق وهو جحل وإنما سمي الغيداق لأنه كان أجود قريش وأطعمهم الطعام . وأمه ممنعة بنت عمرو بن مالك ابن نوفل الخزاعي . فهؤلاء أعمام رسول الله وعماته . وكان لكل واحد من ولد عبد المطلب شرف وذكر وفضل وقدر ومجد . وحج عامر بن مالك ملاعب الأسنة البيت فقال رجال كأنهم جمال جون . فقال بهؤلاء تمنع مكة . وحج اكثم بن صيفي في ناس من بني تميم فرآهم يخترقون البطحاء كأنهم أبرجة الفضة يلحقون الأرض جيرانهم فقال يا بني تميم إذا أحب الله أن ينشأ دولة نبت لها مثل هؤلاء هؤلاء غرس الله لا غرس الرحل

وكان فرش لعبد المطلب بفناء الكعبة فلا يقرب فراشه حتى يأتي رسول الله وهو غلام فيتخطى رقاب عمومته فيقول لهم عبد المطلب « دعوا ابني إن لابني هذا لشأنا »
وكان عبد المطلب قد وفد على سيف بن ذي يزن مع جله قومه لما غلب على اليمن فقدمه سيف عليهم جميعاً وآثره ثم خلا به فبشره برسول الله ووصف له صفته فكبر عبد المطلب وعرف صدق ما قال سيف ثم خر ساجداً فقال سيف هل أحسست لما قلت نبأ فقال له

نعم ولدلابني غلام على مثل ما وصفت أيها الملك . قال فاحذر عليه اليهود وقومك . وقومك أشد من اليهود والله مسم أمره ومعلٍ دعوته . وكان أصحاب الكتاب لا يزالون يقولون لعبد المطلب في رسول الله مد ولد فيعظم بذلك ابتهج عبد المطلب . أما والله انى نفستنى قريش . . . بى ما سداه الله من زمزم وذي الهرم لينفسني عداً الشرف العظيم وابء سكري ولعز الباقي والسناء العالي . الى آخر الدهر . ويوم الحشر . وتوالت على قريش سنون مجدبة حتى ذهب الزرع وقحل الضرع ففزعوا وفلوا فاستفاثوا لله بث مرة عسآحرى فدع الله آن سقيم وسمعوا صوتاً نادى من بعض جبال مكة معشر قريش ان النبي الأمي منكم وهذا أوان توكفه ألا فانظروا منكم رجلاً عظاماً جساماً له سن دعوا اليه وشرف يعظم عليه فيخرج هو وولده فيمسوا من الماء وليمسوا من الطيب ويسمعوا الركن وليدع الرجال وقمن القوم فخصبتم ما شئتم إذا وشئتم | فلم يبق حي ... الا ... خرج عبد المطلب ومعه رسول لله وهو ... الأزرار فقال عبد المطلب | اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم مسئول غير مبخل وهؤلاء عبادك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنيهم التي قحلت الضرع وأذهبت الزرع فسمعن اللهم وأمطرن غيثاً مريعاً مغدقاً | فما ... حتى ... السماء ... وكظ الوادي بثجه وفي ذلك يقول بعض قريش .

بسقيا ... ... وقد فقدنا الكرى واجلوذ المطر

منّا من الله بالميمون طائره * وخير من بشرت يوماً به مضر

مبارك الأمر يستسقى الغمام به * ما في الأنام له عدل ولا خطر

وأوصى عبد المطلب الى ابنه الزبير بالحكومة وأمر الكعبة والى أبي طالب برسول الله وسقاية زمزم . وقال له قد خلفت في يدك الشرف العظيم الذي تطأون به رقاب الناس . وقال لابي طالب :

أوصيك يا عبد مناف بعدي * بمفرد يـد أبيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهد * فكنت كالأم له في الوجد
تدنيه من أحشائها والكبد * فانت من أرجى بني عندي
لدفع ضيم أو لشد عقد

وتوفي عبد المطلب ولرسول الله ثماني سنين ولعبد المطلب مائة وعشرون سنة وقيل مائة وأربعون سنة ، وأعظمت قريش موته ، وغسل بالماء والسدر وكانت قريش أول من غسل الموتى بالسدر ، ولف في حلتين من حلل اليمن قيمتها الف مثقال ذهب ، وطرح عليه المسك حتى ستره ، وحمل على أيدي الرجال عدة أيام إعظاماً وإكراماً وإكباراً لتغييبه في التراب ، واحتبى ابنه بفناء الكعبة لما غيب عبد المطلب واحتبى ابن جدعان التيمي من ناحية والوليد بن ربيعة المخزومي فادعى كل واحد الرئاسة ﴿ وروي ﴾ عن رسول الله أنه قال : إن الله يبعث جدي عبد المطلب امة واحدة في هيئة الأنبياء وزي الملوك .

فكفل رسول الله بعد وفاة عبد المطلب أبو طالب عمه فكان خير كافل ، وكان ابو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً مع إملاقه ﴿ قال ﴾ علي بن أبي طالب : أبي ساد فقيراً وما ساد فقير قبله ، وخرج به إلى بصرى من أرض الشأم وهو ابن تسع سنين قال والله لا أكلك إلى غيري ، وربته فاطمة بنت أسد بن هاشم امرأة أبي طالب وأم أولاده جميعاً ﴿ ويروى ﴾ عن رسول الله ـ لما توفيت وكانت مسلمة فاضلة ـ أنه قال : اليوم ماتت أمي ، وكفنها بقميصه ، ونزل على قبرها ، واضطجع في لحدها فقيل له يا رسول الله لقد اشتد جزعك على فاطمة ، قال إنها كانت أمي إذ كانت لتجيع صبيانها وتشبعني وتشعثهم وتدهنني وكانت أمي .

ولما بلغ العشرين ظهرت فيه العلامات وجعل أصحاب الكتب يقولون فيه ، ويتذاكرون أمره ، ويتوصفون حاله . ويقربون ظهوره . فقال يوماً لأبي طالب يا عم إني أرى

في المنام رجلاً يأتيني ومعه رجلان فيقولان هو هو وإذا بلغ فشأنك به . والرجل لا يتكلم . فوصف أبو طالب ما قال لبعض من كان بمكة من أهل العلم . فلما نظر إلى رسول الله قال : هذه الروح الطيبة هـذا والله النبي المطهر . فقال له أبو طالب فاكتم على ابن أخي لا تغرّ به قومه والله انما قلت لعلي ما قلت ولقد أنبأني أبي عبدالمطلب بانه النبي المبعوث وأمرني أن أستر ذلك لئلا يغرى به الأعادي .

الفجـار

وشهد رسول الله الفجار وله سبع عشرة سنة ، وقيل عشرون سنة ، وكان سبب الفجار — وهي الحرب التي كانت بين كنانة وقيس — أن رجلاً من بني ضمرة يقال له « البراض » بن قيس — وكان بمكة في جوار حرب بن أمية — وثب على رجل من هذيل يقال له [الحارث] فقتله وأخرجه حرب بن أمية من جواره فلحق بالنعمان بن المنذر فاجتمع هو وعروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب وكان النعمان يوجه في كل سنة بلطيمة الى عكاظ للتجارة ولا يعرض لها احد من العرب حتى قتل النعمان أخا بلعاء بن قيس ، فكان بلعاء بعد ذلك يغير على لطائم النعمان فلما اجتمع عروة والبراض عنده قال من يجير لطائمي قال البرّاض أنا وقال عروة أنا مثله فتنازعا كلاماً فلما خرجا وتوجه عروة لينصرف عرضه البراض فقتله وأخذ ما كان معه من لطائم النعمان فاجتمعت قيس على قوام البراض ولجأت كنانة إلى قريش فاعانتها وخرجت معها فاقتتلوا في رجب وكان عندهم الشهر الحرام الذي لا تسفك فيـه الدماء . فسمي الفجار لأنهم فجروا في شهر حرام . وكان على كل قبيل من قريش رئيس وعلى بنى هاشم الزبير بن عبدالمطلب « وقد روي » أن أبا طالب منع أن يكون فيها أحد من بنى هاشم . وقال هذا ظلم وعدوان وقطيعة واستحلال للشهر الحرام ولا أحضره ولا أحد من أهلي . فأخرج الزبير ابن عبد المطلب مستكرهاً . وقال عبد الله بن جدعان التيمي وحرب بن أمية لا نحضر أمراً تغيب عنه بنو هاشم فخرج الزبـير « وقيل » ان أبا طالب كان يحضر في

الأيام ومعه رسول الله فاذا حضر هزمت كنانة قيساً فعرفوا البركة بحضوره فقالوا ياابن مطعم الطير وساقي الحجيج لاتغب عنا فانا نرى مع حضورك الظفر والغلبة ، قال فاجتنبوا الظلم والعدوان والقطيعة والبهتان فاني لا أغيب عنكم ، فقالوا ذاك لك فلم يزل يحضر حتى فتح عليهم ﷺ وروي ﴿ عن رسول الله أنه قال شهدت الفجار مع عمي أبي طالب وأنا غلام ﴿ وروى بعضهم ﴾ أنه شهد الفجار وهو ابن عشرين سنة . وطعن أبا براء ملاعب الأسنة فارداه عن فرسه وجاء الفتح من قبله « فجمعنا جميع الروايات » ومات حرب بن أمية بن عبد شمس بالشأم بعد الفجار باشهر .

حلف الفضول

حضر رسول الله حلف الفضول وقد جاوز العشرين ﴿ وقال ﴾ بعد ما بعثه الله حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما يسرني به حمر النعم ولو دعيت اليه لأجبت . وكان سبب حلف الفضول أن قريشاً تحالفت أحلافاً كثيرة على الحمية والمنعة فتحالف المطيبون وهم بنو عبد مناف وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر على أن لا يسلموا الكعبة ما أقام حراء وثبير وما بل بحر صوفه . وصنعت عاتكة بنت عبد المطلب طيباً فغمسوا أيديهم فيه ﴿ وقيل ﴾ إن الطيب كان لأم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب وهي توأم عبد الله أبي رسول الله . وتحالفت اللعقة وهم بنو عبد الدار وبنو مخزوم وبنو جمح وبنو سهم وبنو عدي . على أن يمنع بعضهم بعضاً ويعقل بعضهم عن بعض . وذبحوا بقرة فغمسوا أيديهم في دمها . فكانت قريش تظلم في الحرم الغريب ومن لا عشيرة له حتى أتى رجل من بني أسد بن خزيمة بتجارة فاشتراها رجل من بني سهم فاخذها السهمي وأبى أن يعطيه الثمن فكلم قريشاً واستجار بها وسألها إعانته على أخذ حقه فلم يأخذ له أحد بحقه فصعد الأسدي أبا قبيس فنادى بأعلا صوته :

يا أهل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة ناء الأهل والنفر

إن الحرام لمن تمت حرامته * ولا حرام لثوبي لابس الغدر

وقد قيل لم يكن رجل من بني أسد ولكنه قيس بن شيبة السلمي باع متاعاً من أبي خلف الجمحي وذهب بحقه فقال هذا الشعر . وقيل بل قال :

يا آل قصي كيف هذا في الحرم * وحرمة البيت وأخلاق الكرم

أظلم لا يمنع مني من ظلم

فتذممت قريش فقاموا فتحالفوا أن لا يظلم غريب ولا غيره ولأن يؤخذ للمظلوم من الظالم . واجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي . وكانت الأحلاف هاشم وأسد وزهرة وتيم والحارث بن فهر . فقالت قريش هذا فضول من الحلف فسمي حلف الفضول ﴿ وقال بعضهم ﴾ حضره ثلاثة نفر يقال لهم الفضل بن قضاعة والفضل بن حشاعة . والفضل بن بضاعة . فسمي بهذا حلف الفضول ﴿ وقد قيل ﴾ إن هؤلاء النفر حضروا حلفاً لجرهم فسمي حلف الفضول بهم وشبه الحلف في تلك السنة

بنيان الكعبة

ووضع رسول الله الحجر في موضعه حين اختصمت قريش وهو ابن خمس وعشرين وذلك إن قريشاً هدمت الكعبة بسبب سيل أصابهم فهدمها ﴿ وقيل ﴾ بل كانت امرأة من قريش تجمر الكعبة فطارت شررة فأحرقت باب الكعبة . وكان طولها تسعة أذرع فنقضوها . وكان أول من ضرب فيها بمعول الوليد بن المغيرة المخزومي وحفروا حتى انتهوا الى قواعد ابراهيم فقلعوا منها حجراً فوثب الحجر ورجع مكانه فأمسكوا ﴿ ويقال ﴾ إن الذي بدر الحجر من يده أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وخرج عليهم ثعبان فحال بينهم وبين البناء فجتمعوا فقال ماذا ترون فقال أبو طالب : إن هذا لا يصلح ان ينفق فيه إلا من طيب المكاسب فلا تدخلوا فيه مالاً من ظلم ولا عدوان فاحضروا ما لم يشكوا فيه من طيب أموالهم ورفعوا أيديهم الى السماء فجاء طائر فاختطف الثعبان حتى ذهب فوضعوا أزرهم يعملون عراة إلا رسول الله

فانه أبى أن ينزع ثوبه فسمع صائحاً يصيح لا تنزع ثوبك . ونقلت الحجارة التي بني بها البيت من جبل يقال له [السيادة] من أعلا الوادي وصيروها ثماني عشرة ذراعا وكانت كل قبيلة تلي طائفة منها فكانت بنوعبد مناف تلي الربع وسائر ولد قصي بن كلاب . وبنو تيم الربع . ومخزوم الربع . وبنو سهم وجمح وعدي وعامر بن فهر الربع . فلما أرادوا أن يضعوا الحجر اختصموا فيه وقالت كل قبيلة نحن نتولى وضعه فاقبل رسول الله وكانت قريش تسميه ﴿ الأمين ﴾ فما رأوه مقبلاً قالوا قد رضينا بحكم محمد بن عبد الله فبسط رسول الله رداءه ووضع الحجر في وسطه وقال ليحمل كل قبيلة بجانب من جوانب الرداء ثم ارفعوا جميعاً ففعلوا ذلك فحمل عتبة بن ربيعة أحد جوانب الرداء وابو زمعة بن الأسود وابو حذيفة بن المغيرة وقيس بن عدي السهمي وقيل العاص بن وائل فلما بلغ الموضع أخذه رسول الله ووضعه بموضعه الذي هو به وسقفوها ولم يكن لها قبل ذلك سقف .

تزويج خديجة بنت خويلد

وتزوج رسول الله خديجة بنت خويلد وله خمس وعشرون سنة ﴿ وقيل ﴾ تزوجها وله ثلاثون سنة . وولدت له قبل أن يبعث [القاسم . ورقية . وزينب . وام كلثوم] وبعد ما بعث عبد الله وهو الطيب . والطاهر لأنه ولد في الاسلام . وفاطمة [وروى بعضهم] عن عمار بن ياسر انه قال انا اعلم الناس بتزويج رسول الله خديجة بنت خويلد كنت صديقاً له فانا نمشي يوماً بين الصفا والمروة إذ بخديجة بنت خويلد واختها هالة فلما رأت رسول الله جاءتني هالة اختها فقالت يا عمار ما لصاحبك حاجة في خديجة قلت والله ما ادري فرجعت فذكرت ذلك له فقال ارجع فواضعها وعدها يوماً نأتيها فيه ففعلت فلما كان ذلك اليوم ارسلت الى عمرو بن اسد وسقته ذلك اليوم ودهنت لحيته بدهن اصفر وطرحت عليه حبراً ثم جاء رسول الله في نفر من اعمامه تقدمهم ابوطالب. فخطب ابوطالب فقال « الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل . وجعل

لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس ، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن به ثم إن ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوازن برجل من قريش إلا رجح ولا يقاس باحد إلا عظم عنه وإن كان في المال قل فان المال رزق حائل وظل زائل وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة ، وصداق ما سألتموه عاجله من مالي ، وله والله خطب عظيم ، ونبأ شايع » فتزوجها وانصرف فلما أصبح عمها عمرو بن أسد أنكر ما رأى فقيل له هذا ختنك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أهدى لك هذا وقال متى زوجته قيل له بالأمس قال ما فعلت قيل له بلى نشهد أنك قد فعلت فلما رأى عمرو رسول الله قال اشهدوا أني إن لم أكن زوجته بالأمس فقد زوجته اليوم وأنه ما كان مما يقول الناس إنها استأجرته شيئ ولا كان أجيراً لأحد قط ﴿ وروى ﴾ محمد بن اسحاق أن خويلد بن أسد بن عبد العزى زوج خديجة ابنته من رسول الله بعد الفجار بخمس سنين [وروى بعضهم] أنه قتل في الفجار أو مات عام الفجار .

المبعث

وبعث رسول الله لما استكمل أربعين سنة فكان مبعثه في شهر ربيع الأول ﴿ وقيل ﴾ في رمضان ، ومن شهور العجم في شباط ، وكانت سنته التي بعث فيها سنة قران في الدلو ﴿ قال ما شاء الله الحاسب ﴾ كان طالع السنة التي بعث فيها رسول الله — وهو القران الثالث من قران مولده — السنبلة أربع درجات ، والقمر في الميزان سبع عشرة درجة ، والمريخ من الطالع في السنبلة ثلاث عشرة درجة راجعاً والمشتري في الخامس في الجدي إحدى وعشرين درجة ، وزحل في الدلو في السادس في تسع درجات حد الزهرة في الحوت ، والشمس في الثامن في الحمل دقيقة ، وعطارد في الحمل اربع عشرة درجة ، وحد مدخل السنة منذ اول يوم دخلت فيه الشمس ﴿ وقال الخوارزمي ﴾ كانت الشمس يومئذ فى الدلو أربعاً وعشرين درجة وخمس عشرة دقيقة ، والقمر فى السرطان سبع عشرة درجة ، وزحل فى الدلو تسع عشرة درجة

والمشتري (.......) اثنتي عشرة درجة ، والمريخ في الحوت خمس عشرة درجة وثلاثين دقيقة ، والزهرة في الحمل إحـــدى عشرة درجة ، وعطارد في الدلو ثلاثاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة .

وكان جبريل يظهر له فيكلمه وربما ناداه من السماء ومن الشجرة ومن الجبل فيـذعر من ذلك رسول الله (ص) ثم قال له إن ربك يأمرك أن تجتنب الرجس من الأوثان ، فكان أول أمره ، فكان رسول الله (ص) يأتي خـديجة ابنة خويلد ويقول لها ما سمع وتكلم به فتقول له استر يا ابن عم فو الله اني لأرجو أن يصنع الله بك خيراً ، وأتاه جبريل ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين [وقال بعضهم] يوم الخميس ﴿ وقال ﴾ من رواه عن جعفر بن محمد (ع) يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان ولذلك جعله عيداً للمسلمين ، وعلى جبريل جبة سندس ، وأخرج له درنوكا من درانيك الجنة فاجلسه عليه وأعلمه أنه رسول الله ، وبلغه عن الله وعلمه ﴿ إقرأ بسم ربك الذي خلق ﴾ وأتاه من غد وهو متدثر فقال ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ﴾ وقال رسول الله « ص » أول ما نهاني عنه جبريل بعد عبادة الأصنام ملاحاة الرجال ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن إسرافيل وكل به ثلاث سنين ، وأن جبريل وكل به عشرين سنة ﴿ وقال آخرون ﴾ ما زال جبريل موكلاً به ، وقد كان ورقة بن نوفل قال لخـديجة بنت خويلد اسأليه من هذا الذي يأتيه فان كان ميكائيل فقد أتاه بالخفض والدعة واللين ، وإن كان جبريل فقد أتاه بالقتل والسبي ، فسألته فقال جبريل فضربت خديجة جبهتها .

وكان أول ما افترض عليه من الصلاة الظهر أتاه جبريل فأراد الوضوء فتوضأ رسول الله (ص) كما توضأ جبريل ثم صلى ليريه كيف يصلي فصلى رسول الله (ص) ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن الظهر — الصلاة الوسطى — أول صلاة صلاها رسول الله وكان يوم جمعة ، ثم أتى خديجة ابنة خويلد فأخبرها فتوضأت وصلت ، ثم رآه علي بن

أبي طالب فمعل كما رآه يفعل ، ولما بعث رميت الشياطين بشهب من السماء ومنعت من أن تسترق السمع فقال إبليس ما هذا إلا لأمر قد حدث ونبي قد بعث ، وأصبحت الأصنام في جميع الدنيا منكسة ، وخمدت النيران التي كانت تعبد .

وكان أول من أسلم خديجة بنت خويلد من النساء ، وعلي بن أبي طالب من الرجال . ثم زيد بن حارثة ، ثم أبو ذر ﴿ وقيل ﴾ ابو بكر قبل أبي ذر ، ثم عمرو بن عبسة السلمي ، ثم خالد بن سعيد بن العاص ، ثم سعد بن أبي وقاص ، ثم عتبة بن غزوان ، ثم خباب بن الأرت ، ثم مصعب بن عمير ﴿ وروي ﴾ عن عمرو بن عبسة السلمي قال أتيت رسول الله أول ما بعث وبلغني أمره فقلت صف لي أمرك فوصف لي أمره وما بعثه الله به فقلت هل يتبعك على هذا أحد قال نعم امرأة وصبي وعبد ، يريد خديجة بنت خويلد وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة .

وأقام رسول الله بمكة ثلاث سنين يكتم أمره وهو يدعو إلى توحيد الله عز وجل وعبادته والاقرار بنبوته ، فكان إذا مر بملأ من قريش قالوا إن فتى ابن عبد المطلب ليكلم من السماء ، حتى عاب عليهم آلهتهم وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا كفاراً ، ثم أمره الله عز وجل أن يصدع بما أرسله فاظهر أمره وقام بالأبطح فقال إني رسول الله أدعوكم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ولا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت ، فاستهزأت منه قريش وآذته وقالوا لأبي طالب : إن ابن أخيك قد عاب آلهتنا وسفه أحلامنا وضلل أسلافنا فليمسك عن ذلك وليحكم في أموالنا بما يشاء ، فقال : إن الله لم يبعثني لجمع الدنيا والرغبة فيها وإنما بعثني لأبلغ عنه وأدل عليه ، وآذوه أشد الايذاء فكان المؤذون له جماعة منهم ابو لهب والحكم بن ابي العاص وعقبة بن أبي معيط وعدي بن حمراء الثقفي وعمرو بن الطلاطلة الخزاعي ، وكان ابو لهب أشد أذى له ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن رسول الله قام بسوق عكاظ عليه جبة حمراء فقال يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتنجحوا ، وإذا رجل يتبعه عليه

غديرتان كأن وجهه الذهب وهو يقول : يا أيها الناس إن هذا ابن أخي وهو كذاب فاحذروه ، فقلت من هذا فقيل لي هذا محمد بن عبد الله وهذا ابو لهب بن عبد المطلب عمه ، وكان المستهزئون به العاص بن وائل السهمي والحارث بن قيس بن عدي السهمي والأسود بن المطلب بن أسد والوليد بن المغيرة المخزومي والأسود بن عبد يغوث الزهري وكانوا يوكلون به صبيانهم وعبيدهم فيلقونه بما لا يحب حتى أنهم نحروا جزوراً بالحزورة ورسول الله قائماً يصلي فامروا غلاماً لهم فحمل السلا والفرث حتى وضعه بين كتفيه وهو ساجد فانصرف فأتى أبا طالب فقال كيف موضعي فيكم قال ما ذاك يا ابن أخي فاخبره ما صنع به ، قال فاقبل ابو طالب مشتملاً على السيف يتبعه غلام له فاخترط سيفه وقال والله لا تكلم رجل منكم إلا ضربته ثم أمر غلامه فأمرّ ذلك السلا والفرث على وجوههم واحداً واحداً ثم قالوا حسبك هذا فينا يا ابن اخينا ، واجتمعت قريش إلى أبي طالب فقالوا ندعوك الى نصفة هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة أحسن قريش وجهاً وأكملهم هيئة فخذه وصيره ابنك وصير الينا محمداً نقتله ، فقال ما أنصفتموني أدفع اليكم ابني تقتلونه وتدفعون إلي ابنكم أغذوه ، وقال ابو طالب في ذلك :

عجبت لحلم يا ابن شيبة عارف * واحلام اقوام لديك سخاف
يقولون شايع من اراد محمداً * بسوء وقم في امره بخلاف
اضاميم إما حاسد ذو خيانة * وإما قريب منه غير مصاف
ولا يركبن الدهر منك ظلامة * وانت امرؤ من خير عبد مناف
وإن له قربى اليكم وسيلة * وليس بذي حلف ولا بمضاف
ولكنه من هاشم في صميمها * إلى ابحر فوق البحور طواف
فان غضبت فيه قريش فقل لها * بني عمنا ما قومكم بضعاف
فما قومكم بالقوم يخشون ظلمهم * وما نحن فيما ساءكم بخلاف

وقال ايضاً : —

ويهض قوم نحوكم غير عزل * ببيض حديث عهدها بالصياقل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

الإسراء

وأسري به وأتاه جبريل بالبراق ، وهو أصغر من البغل واكبر من الحمار مضطرب الأذنين ، خطوه مد بصره ، له جناحان يحفز أنه من خلفه ، عليه سرج ياقوت ، فمضى به إلى بيت المقدس فصلى به ، ثم عرج به الى السماء فكان بينه وبين ربه كقاب قوسين أو أدنى ، ثم هبط به فنزل في بيت أم هاني بنت أبي طالب فقص عليها القصة فقالت له بأبي أنت وأمي لا تذكر هذا لقريش فيكذبوك ، وفي الليلة التي أسري به افتقده ابو طالب فخاف أن تكون قريش قد اغتالته أو قتلته فجمع سبعين رجلا من بني عبد المطلب معهم الشفار وأمرهم أن يجلس كل رجل منهم إلى جانب رجل من قريش وقال لهم إن رأيتموني ومحمداً معي فأمسكوا حتى آتيكم وإلا فليقتل كل رجل منكم جليسه ولا تنظروني ، فوجدوه على باب أم هاني فاتى به بين يديه حتى وقف على قريش فعرفهم ما كان منه فاعظموا ذلك وجل في صدورهم وعاهدوه وعاقدوه أنهم لا يؤذون رسول الله ولا يكون منهم اليه شيء يكرهه أبداً .

النذارة

وأمره الله عز وجل أن ينذر عشيرته الأقربين ، فوقف على المروة ثم نادى بأعلا صوته يا آل فهر فاجتمعت اليه بطون قريش حتى لم يبق أحد منهم ، فقال له أبو لهب هذه فهر ثم نادى يا آل غالب فانصرفت بنو محارب وبنو الحارث بن فهر ، ثم نادى يا آل لوي فانصرفت بنو تيم الأدرم بن غالب ، ثم نادى يا آل كعب فانصرفت بنو عامر وبنو عوف بن لؤي ، ثم نادى يا آل مرة فانصرفت بنو عدي بن كعب وبنو سهم وجمح ابني هصيص بن كعب ، ثم نادى يا آل كلاب فانصرفت بنو تيم بن مرة وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، ثم نادى يا آل قصي فانصرفت بنو زهرة ، ثم

نادى يا آل عبد مناف فانصرفت بنو عبد الدار وبنو عبد العزى ابني قصي ، ثم نادى يا آل هاشم فانصرفت بنو عبد شمس وبنو نوفل ، وأقام بنو عبد المطلب ، فقال ابو لهب هذه هاشم قد اجتمعت فجمعهم في بعض دورهم ﴿ وحدثني ﴾ أبو عبد الله الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي من ولد ربيعة بن الحارث أنهم كانوا في دار الحارث بن عبد المطلب وكانوا أربعين رجلاً يزيدون رجلا او ينقصونه فصنع لهم طعاماً فأكلوا عشرة عشرة حتى شبعوا ، وكان جميع طعامهم رجل شاة وشرابهم عس من لبن ، وإن منهم من يأكل الجذعة ويشرب الفرق ، ثم أنذرهم كما أمره الله تعالى وأعلمهم تفضيل الله إياهم واختصاصه لهم إذ بعثه بينهم ، وأمره أن ينذرهم ، فقال ابو لهب حسدوا على يدي صاحبكم قبل أن يأخذ على يده غيركم فان منعتموه قتلتم وإن تركتموه ذللتم ، فقال ابو طالب ياعورة والله لننصرنه ثم لنعيننه ، يا ابن اخي إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح وأسلم يومئذ جعفر بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث وأسلم خلق عظيم وظهر أمرهم وكثرت عدتهم وعاندوا ذوي أرحامهم من المشركين فاحتذت قريش من استضعفت منهم إلى الرجوع عن الاسلام والشتم لرسول الله ، فكان ممن يعذب في الله عمار بن ياسر وياسر أبوه وسمية أمه حتى قتل ابو جهل سمية طعنها في قبلها فماتت فكانت أول شهيدة في الاسلام ، وخباب بن الأرت وصهيب بن سنان وابو فكيهة الأزدي وعامر بن فهيرة ، وبلال بن رباح ، وقال خباب بن الأرت يا رسول الله ادع لنا قال إنكم لتعجلون لقد كان الرجل ممن كان قبلكم يمشط بامشاط الحديد ويشق بالمنشار فلا يرده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، واشتد على القوم العذاب ونالهم منه أمر عظيم فرجع عن الاسلام خمسة نفر منهم ابو قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ﴿ فروي ﴾ أن فيهم نزلت هذه الآية ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ إلى آخر الآية .

مهاجرة الحبشة

ولما رأى رسول الله ما فيه أصحابه من الجهد والعذاب وما هو فيه من الأمن بمنع أبي طالب عمه إياه قال لهم ارحلوا مهاجرين الى أرض الحبشة الى النجاشي فانه يحسن الجوار ، فخرج في المرة الأولى اثنا عشر رجلاً وفي المرة الثانية سبعون رجلا سوى أبنائهم ونسائهم وهم المهاجرون الأولون فكان لهم عند النجاشي منزلة ، وكان يرسل الى جعفر ويسأله عما يريد فلما بلغ قريشاً ذلك وجهت بعمرو بن العاص وعمارة بن الوليد المخزومي الى النجاشي بهدايا وسألوه أن يبعث اليهم بمن صار اليه من أصحاب رسول الله وقالوا سفهاء من قومنا خرجوا عن ديننا وضللوا أمواتنا وعابوا آلهتنا وإن تركناهم ورأيهم لم نأمن أن يفسدوا دينك فلما قال عمرو وعمارة للنجاشي هذا أرسل الى جعفر فسأله فقال إن هؤلاء على شر دين يعبدون الحجارة ويصلون للأصنام ويقطعون الأرحام ويستعملون الظلم ويستحلون المحارم وإن الله بعث فينا نبياً من أعظمنا قدراً وأشرفنا سرراً وأصدقنا لهجة وأعزنا بيتاً فامر عن الله بترك عبادة الأوثان واجتناب المظالم والمحارم والعمل بالحق والعبادة له وحده فرد على عمرو وعمارة الهدايا وقال أدفع اليكم قوماً في جواري على دين الحق وأنتم على دين الباطل ، وقال لجعفر اقرأ علي شيئاً مما أنزل على نبيكم فقرأ عليه [كهيعص] فبكى وبكى من بحضرته من الأساقفة ، فقال له عمرو وعمارة إنهم يزعمون أن المسيح عبد مملوك فوحشه ذلك وأرسل الى جعفر وقال له ما تقول وما يقول صاحبكم في المسيح قال إنه يقول إنه روح الله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فاخذ عوداً بين اصبعيه ثم قال ما يزيد المسيح على ما قلت ولا مقدار هذا ، وكان عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد تلاحيا في طريقهما وكان عمارة رجلاً مغرماً بالنساء وكان معه امرأته رابطة بنت منبه بن الحجاج السهمي فقال عمارة قل لها فلتقبلني فقال سبحان الله أتقول هذا لابنة عمك ، قال والله لتفعلن اولأضربنك بهذا السيف فقال لها قبليه ثم إن عمارة اعتقل عمراً فالقاه في البحر

فهام عمرو وأوهمه انه فعل هذا مزاحاً فقال ألق الى ابن عمك الحبل سبحان الله أهكذا يكون المزاح فالقى اليه الحبل فخرج فلما أراد عمرو وعمارة الانصراف وأيسا من عند النجاشي قال عمرو لعمارة لو ارسلت إلى امرأة الملك النجاشي فلعلنا ننال منها حاجتنا عنده ففعل ذلك ولاطفها حتى ارسلت اليه بطيب من طيب الملك فكاد عمرو عمارة وقال للنجاشي إن صاحبي هذا ارسل الى امرأة الملك حتى اطمعته في نفسها وبعثت اليه بطيب من طيب الملك فاخذه النجاشي فنفخ في احليله السم ، وقيل الزئبق فهام مع الوحوش على وجهه فلم يزل هائماً حتى قدم قوم من بني مخزوم فسألوه ان يأذن لهم في اخذه فنصبوا له فأخذوه فلم يزل يضطرب في ايديهم حتى مات ، وانصرف عمرو الى المشركين خائباً ، وأقام المسلمون بارض الحبشة حتى ولد لهم الأولاد ، وجميع اولاد جعفر ولدوا بارض الحبشة ، ولم يزالوا بها في امن وسلامة واسم النجاشي اصحمة

حصار قريش لرسول الله وخبر الصحيفة

وهمت قريش بقتل رسول الله واجمع ملأها على ذلك وبلغ ابا طالب فقال :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ＊ حتى اوسد في التراب دفينا
ودعوتني وزعمت انك ناصح ＊ ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت ديناً قد علمت بانه ＊ من خير اديان البرية دينا

فلما علمت قريش انهم لا يقدرون على قتل رسول الله (ص) وان ابا طالب لا يسلمه وسمعت بهذا من قول ابي طالب . كتبت الصحيفة القاطعة الظالمة ان لا يبايعوا احداً من بني هاشم ولا ينا كحوهم ولا يعاملوهم حتى يدفعوا اليهم محمداً فيقتلوه . وتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا وختموا على الصحيفة بثمانين خاتماً . وكان الذي كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فشلت يده ثم حصرت قريش رسول الله واهل بيته من بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف في الشعب الذي يقال له شعب بني هاشم بعد ست سنين من مبعثه . فاقام ومعه جميع بني هاشم وبني المطلب في الشعب

ثلاث سنين حتى أنفق رسول الله (ص) ماله وأنفق ابو طالب ماله وانفقت خديجة بنت خويلد مالها وصاروا الى حد الضر والفاقة ، ثم نزل جبريل على رسول الله « ص » فقال إن الله بعث الأرضة على صحيفة قريش فأكلت كل ما فيها من قطيعة وظلم إلا المواضع التي فيها ذكر الله فخبر رسول الله (ص) أبا طالب بذلك ، ثم خرج ابو طالب ومعه رسول الله وأهل بيته حتى صار الى الكعبة فجلس بفنائها وأقبلت قريش من كل أوب فقالوا قد آن لك يا أبا طالب أن تذكر العهد وأن تشتاق الى قومك وتدع اللجاج في ابن أخيك فقال لهم يا قوم احضروا صحيفتكم فلعلنا أن نجد فرجا وسببا لصلة الأرحام وترك القطيعة وأحضروها وهي بخواتيمهم فقال هذه صحيفتكم على العهد لم تنكروها قالوا نعم قال فهل أحدثتم فيها حدثا قالوا اللهم لا ، قال فان محمداً أعلمني عن ربه أنه بعث الأرضة فاكلت كلما فيها إلا ذكر الله أفرأيتم إن كان صدقا ماذا تصنعون قالوا نكف ونمسك ، قال فان كان كاذبا دفعته اليكم تقتلونه ، قالوا قد أنصفت واجملت ، وفضت الصحيفة فاذا الأرضة قد اكلت كل ما فيها إلا مواضع بسم الله عز وجل ، فقالوا ما هذا إلا سحر وما كنا قط أجدّ في تكذيبه منا ساعتنا هذه ، واسلم يومئذ خلق من الناس عظيم ، وخرج بنوهاشم من الشعب وبنوالمطلب فلم يرجعوا اليه .

وفاة القاسم ابن رسول الله

وتوفي القاسم ابن رسول الله فقال وهو في جنازته ونظر الى جبل من جبال مكة يا جبل لو ان ما بي بك لهدك ، وكان القاسم يوم توفي اربع سنين ثم توفي عبد الله ابن رسول الله بعده بشهر ولم يفطم ، فقالت خديجة يا رسول الله لو بقي حتى افطمه ، قال فان فطامه في الجنة ، وسألت خديجة رسول الله فقالت فاين اولادي منك قال في الجنة ، قالت بغير عمل ، قال الله اعلم بما كانوا عاملين ، قالت فاين اولادي من غيرك . قال في النار . قالت بغير عمل . قال الله اعلم بما كانوا عاملين .

ما نزل من القرآن بمكة

- ونزل من القرآن بمكة اثنتان وثمانون سورة على ما رواه محمد بن حفص بن أسد الكوفي عن محمد بن كثير ، ومحمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وكان اول ما نزّل على رسول الله «ص» ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ ثم نون والقلم وما يسطرون ، ثم والضحى ، ثم يا أيها المزمل ، ثم يا أيها المدثر ، ثم فاتحة الكتاب ، ثم تبت ، ثم إذا الشمس كورت ، ثم سبح اسم ربك الأعلى ، ثم والليل إذا يغشى ، ثم والفجر ، ثم ألم نشرح لك صدرك ، ثم الرحمن ، ثم والعصر ثم إنا أعطيناك الكوثر ، ثم ألهاكم التكاثر ، ثم أرأيت الذي يكذب بالدين . ثم ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل . ثم والنجم إذا هوى . ثم عبس وتولى . ثم إنا أنزلناه في ليلة القدر . ثم والشمس وضحاها . ثم والسماء ذات البروج . ثم والتين والزيتون . ثم لايلاف قريش . ثم القارعة . ثم لا أقسم بيوم القيامة . ثم ويل لكل همزة . ثم والمرسلات عرفا . ثم قٓ والقرآن المجيد . ثم لا أقسم بهذا البلد . ثم والسماء والطارق . ثم اقتربت الساعة . ثم صٓ والقرآن ذي الذكر . ثم الأعراف . ثم سورة الجن . ثم سورة يسٓ . ثم تبارك الذي نزل الفرقان . ثم حمد الملائكة . ثم سورة مريم . ثم سورة طه . ثم طسم الشعراء . ثم طس النمل . ثم طس القصص . ثم سورة بني إسرائيل . ثم سورة يونس . ثم سورة هود . ثم سورة يوسف . ثم الحجر . ثم الأنعام . ثم الصافات . ثم لقمان . ثم حمٓ المؤمن ثم حمٓ السجدة . ثم حمٓ عسق . ثم الزخرف . ثم حمد سباء . ثم تنزيل الزمر ثم حمٓ الدخان . ثم حمٓ الجاثية . ثم الأحقاف . ثم والذاريات . ثم هل أتاك حديث الغاشية . ثم سورة الكهف . ثم سورة النحل . ثم إنا أرسلنا نوحاً . ثم سورة إبراهيم . ثم اقترب للناس حسابهم . ثم قد أفلح المؤمنون . ثم الرعد . ثم والطور . ثم تبارك الذي بيده الملك . ثم الحاقة ثم سأل سائل . ثم عم يتساءلون

ثم والنازعات غرقاً . ثم إذا السماء انفطرت . ثم سورة الروم . ثم العنكبوت

وقد اختلف الناس في هذا التأليف (في غير رواية ابن عباس) وكان الاختلاف أيضاً يسيراً ﴿ وروى ﴾ محمد بن كثير ومحمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس انه قال كان القرآن ينزل مفرقاً لا ينزل سورة سورة فما نزل أولها بمكة أثبتناها بمكة وإن كان تمامها بالمدينة وكذلك ما نزل بالمدينة وأنه كان يعرف فصل ما بين السورة والسورة إذا نزل بسم الله الرحمن الرحيم فيعلمون أن الأولى قد انقضت وابتدئ بسورة أخرى [وروى بعضهم] أن التوراة أنزلت لست خلون من شهر رمضان . والزبور لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد التوراة بالف وخمسمائة عام . والانجيل لثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد الزبور بثمانمائة عام . وقيل ستمائة ﴿ وروى آخرون ﴾ أن القرآن نزل لعشرين ليلة خلت من شهر رمضان ﴿ وروى ﴾ جعفر بن محمد (ع) أنه قال إن الله لم يبعث قط نبياً إلا بما هو أغلب على أهل زمانه فبعث موسى الى قوم كان الأغلب عليهم السحر فاتاهم بما ضل معه سحرهم من العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفلاق البحر وانفجار الحجر حتى خرج منه الماء والطمس على وجوههم فهذه آياته . وبعث داود في زمن أغلب الأمور على أهله الصنعة والملاهي فألان له الحديد وأعطاه حسن الصوت فكانت الوحوش تجتمع لحسن صوته . وبعث سليمان في زمان قد غلب على الناس فيه حب البناء واتخاذ الطلسمات والعجائب فسخر له الريح والجن . وبعث عيسى في زمان أغلب الأمور على أهله الطب فبعثه باحياء الموتى وابراء الاكمه والأبرص . وبعث محمداً (ص) في زمان أغلب الأمور على أهله الكلام والكهانة والسجع والخطب فبعثه بالقرآن المبين والمحاورة .

وفاة خديجة وأبي طالب

وتوفيت خديجة بنت خويلد في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين ولها خمس وستون سنة . ودخل عليها رسول الله (ص) وهي تجود بنفسها فقال : بالكره

مني ما ارى ولعل الله أن يجعل في الكره خيراً كثيراً، إذا لقيت ضراتك في الجنة يا خديجة فاقرئيهن السلام، قالت ومن هن يا رسول الله قال إن الله زوجنيك في الجنة وزوجني مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم وكلثوم اخت موسى . فقالت بالرفاء والبنين . ولما توفيت خديجة جعلت فاطمة تتعلق برسول الله (ص) وهي تبكي وتقول أين أمي أين أمي . فنزل عليه جبريل فقال قل لفاطمة إن الله تعالى بنى لامك بيتاً في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب .

وتوفي ابو طالب بعد خديجة بثلاثة أيام وله ست وثمانون سنة ﴿ وقيل ﴾ تسعون سنة . ولما قيل لرسول الله إن أبا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه واشتد له جزعه ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلث مرات ثم قال يا عم ربيت صغيراً وكفلت يتيماً ونصرت كبيراً فجزاك الله عني خيراً . ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول وصلتك رحم وجزيت خيراً (وقال) اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً — يعني مصيبة خديجة وأبي طالب — ﴿ وروي ﴾ عنه أنه قال إن الله عز وجل وعدني في أربعة في أبي وأمي وعمي وأخ كان لي في الجاهلية .

عرض رسول الله نفسه على القبائل وخروجه الى الطائف

واجترأت قريش على رسول الله (ص) بعد موت أبي طالب وطمعت فيه وهموا به مرة بعد أخرى . وكان رسول الله (ص) يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ويكلم شريف كل قوم لا يسألهم إلا أن يؤوه ويمنعوه ويقول لا أكره أحداً منكم إنما أريد أن تمنعوني مما يراد بي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي . فلم يقبله أحد . وكانوا يقولون قوم الرجل أعلم به . فعمد لثقيف بالطائف فوجد ثلاثة نفر اخوة هم يومئذ سادة ثقيف وهم عبد ياليل بن عمرو . وحبيب بن عمرو . ومسعود بن عمرو . فعرض عليهم نفسه وشكا اليهم الملأ فقال أحدهم انه يمرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك . وقال

الآخر أعجز على الله أن يرسل غيرك . وقال الآخر والله لا اكلمك ابداً لئن كنت رسولا كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام . ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك . وتهزأوا به وأفشوا في قومهم ما قالوه له وقعدوا له صفين فلما مر رسول الله (ص) رجموه بالحجارة حتى أدموا رجله . فقال رسول الله (ص) ما كنت أرفع قدماً ولا أضعها إلا على حجر . ووافاه بالطائف عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومعهما غلام لهما نصراني يقال له عداس فوجها به الى رسول الله (ص) فلما سمع كلامه أسلم ورجع رسول الله الى مكة .

قدوم الانصار مكة

وكانت الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة أهل عز ومنعة في بلادهم حتى كانت بينهم الحروب التي أفنتهم في أيام لهم مشهورة . منها يوم الصفينة . وهو أول يوم جرت الحرب فيه . ويوم السرارة ويوم وفاق بنى خطمة ويوم حاطب بن قيس . ويوم حضير الكتائب . ويوم أطم بني سالم . ويوم ابتروه(١)ويوم البقيع . ويوم بعاث . ويوم مضرس ومعبس . ويوم الدار . ويوم بعاث الآخر . ويوم فجار الانصار . وكانوا ينتقلون في هذه المواضع التي تعرف أيامهم بها ويقتتلون قتالا شديدا . فلما ضرستهم الحرب والقت بركها عليهم وظنوا انها الفناء واجترأت عليهم بنو النضير وقريظة وغيرهم من اليهود . خرج قوم منهم إلى مكة يطلبون قريشا لتقويهم ويعزوا فاشترطوا عليهم شروطا لم يكن لهم فيها مقنع . وكان المشترط عليهم ابو جهل بن هشام المخزومي ﴿وقد قيل﴾ ان قريشا قد كانت اجابتهم حتى قدم أبو جهل من سفر له وكان غائباً فنقض الحلف واشترط عليهم شروطا لم يقنعوا بها ثم صاروا الى الطائف فسألوا ثقيفا فابطأوا عنهم فانصرفوا . وقدم رجل منهم بعد مبعث رسول الله (ص) يقال له سويد بن الصامت

---

(١) كذا في الأصل ولعله يوم البزوة . وبزوة موضع قريب من المدينة ذكره ياقوت في معجم البلدان فايراجع . (م ص)

من الأوس حاجًا او معتمراً فبلغه امر رسول الله (ص) فلقيه و كلمه فدعاه رسول الله (ص) إلى الله فقال له سويد إن معي مجلة لقمان قال فاعرضها عليّ فعرضها عليـــه فقال رسول الله (ص) إن هذا الكلام لحسن والذي معي احسن منه كلام الله . وقرأ عليه فقال يا محمد ان هذا الكلام حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتلته الخزرج ثم قدم نفر منهم ايضًا الى مكة وهم بنو عفراء يتفاخرون مع اسعـد بن زرارة فلقيهم رسول الله (ص) ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال رجل منهم يقال له أياس بن معاذ يا قوم هذا والله النبي الذي كانت اليهود توعـدكم به فلا يسبقنكم اليه أحد فاسلموا وأخذ عليهم رسول الله (ص) الايمان بالله وبرسوله ثم انصرفوا فاخبروا قومهم الخبر وقد كانوا سألوه ان يوجه معهم رجلا من قبله يدعون الناس بكتـــاب الله فبعث اليهم رسول الله (ص) مصعب بن عمير فنزل على أسعد بن زرارة وجعل يدعوهم الى الله عز وجل ويعلمهم الاسلام وكان أول من قدم المدينة ثم خرج اثنا عشر رجلا منهم اليه فلقوه وهم أصحاب العقبة الاولى فآمنوا بالله وصدقوه وانصرفوا الى المدينة وكثر خبره وفشا الاسلام فيها فلما كان العام القابل خرج اليه جماعة من الأوس وجماعة من الخزرج فوافى منهم سبعون رجلا وامرأتان فأسلموا وصدقوه واخذ رسول الله (ص) عليهم بيعة النساء فسألوه ان يخرج معهم الى المدينة وقالوا انه لم يصبح قوم في مثل ما نحن فيه من الشر ولعل الله ان يجمعنا بك ويجمع ذات بيننا فلا يكون أحد أعز منـــا فقال لهم رسول الله (ص) قولا جميلا ثم انصرفوا الى قومهم فدعوهم الى الاسلام فكثر حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر حسن من ذكر رسول الله (ص) وسألوه الخروج معهم وعاهدوه ان ينصروه على القريب والبعيد والاسود والاحمر فقال له العباس بن عبد المطلب دعني - فداك أبي وأمي - آخذ العهد عليهم فجعل ذلك اليه وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن يمنعوه وأهله مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم وأولادهم وعلى ان يحاربوا معه الاسود والاحمر وان ينصروه على القريب والبعيد وشرط (ص)

لهم الوفاء بذلك والجنة

خروج رسول الله (ص) من مكة

واجتمعت قريش على قتل رسول الله (ص) وقالوا ليس له اليوم احد ينصره وقد مات ابو طالب فاجمعوا جميعا على ان يأتوا من كل قبيلة بغلام نهد فيجتمعوا عليه فيضربوه باسيافهم ضربة رجل واحد فلا يكون لبني هاشم قوة بمعاداة جميع قريش ، فلما بلغ رسول الله (ص) ذلك وأنهم أجمعوا على ان يأتوه في الليلة التي اتعدوا فيها خرج رسول الله (ص) لما اختلط الظلام ومعه ابو بكر ، وإن الله عز وجل أوحى في تلك الليلة الى جبريل وميكائيل « اني قضيت على احدكما بالموت فايكما يواسي صاحبه فاختار الحياة كلاهما فأوحى الله اليهما هلا كنتما كعلي بن ابي طالب آخيت بينه وبين محمد وجعلت عمر احدهما اكثر من الآخر فاختار علي الموت وآثر محمداً بالبقاء وقام في مضجعه ، إهبطا فاحفظاه من عدوه » فهبط جبريل وميكائيل فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه يحرسانه من عدوه ويصرفان عنه الحجارة وجبريل يقول بخ بخ لك يا ابن ابي طالب من مثلك يباهي الله بك ملائكة سبع سماوات ، وخلف علياً « ع » على فراشه ولرد الودائع التي كانت عنده وصار الى الغار فكمن فيه وأتت قريش فراشه فوجدوا علياً « ع » فقالوا أين ابن عمك قال قلتم له اخرج عنا فخرج عنكم فطلبوا الأثر فلم يقعوا عليه وأعمى الله عليهم المواضع فوقفوا على باب الغار وقد عششت عليه حمامة فقالوا ما في هذا الغار احد وانصرفوا ، وخرج رسول الله (ص) متوجهاً الى المدينة ومر بام معبد الخزاعية فنزل عندها ثم نفذ لوجهه حتى قدم المدينة ، وكان جميع مقامه بمكة حتى خرج منها الى المدينة ثلاث عشرة سنة من مبعثه « وروى بعضهم » انه قال ما علمت قريش أين توجه رسول الله « ص » حتى سمعوا هاتفاً من بعض جبال مكة يقول :

فان يسلم السعد ان يصبح محمد * بمكة لا يخشى خلاف المخالف

وقال أبو سفيان من السعود ، سعد هذيم ، وسعد تميم ، وسعد بكر فسمعوا في الليلة المقبلة قائلاً يقول :

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً * ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
أجيبا الى داعي الهدى وتمنيا * على الله في الفردوس منية عارف

فعلمت قريش أنه قد مضى إلى يثرب ، واتبعه سراقة بن جعشم المدلجي لما صار الى ماء بني مدلج فلما لحقه قال رسول الله « ص » اللهم اكفنا سراقة فساخت قوائم فرسه فصاح يا ابن أبي قحافة قل لصاحبك أن يدعو الله باطلاق فرسي فلعمري لئن لم يصبه مني خير لا يصبه مني شر ، فلما رجع إلى مكة خبرهم الخبر فكذبوه ، وكان أشدهم له تكذيباً ابو جهل فقال سراقة :

أبا حكم والله لو كنت شاهداً * لأمر جوادي حيث ساخت قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً * رسول وبرهان فمن ذا يكاتمه

قدوم رسول الله « ص » المدينة

وقدم رسول الله « ص » المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول ﴿ وقيل ﴾ يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت منه ، والشمس يومئذ في السرطان ثلاثاً وعشرين درجة وست دقائق ، والقمر في الأسد ست درجات وخمساً وثلاثين دقيقة ، وزحل في الأسد درجتان ، والمشتري في الحوت ست درجات راجعاً والزهرة في الأسد ثلاث عشرة درجة ، وعطارد في الأسد خمس عشرة درجة ، فنزل على كلثوم بن الهدم فلم يلبث إلا أياماً حتى مات كلثوم وانتقل فنزل على سعد بن خيثمة في بني عمرو بن عوف فمكث أياماً . ثم كان سفهاء بني عمرو ومنافقوهم يرجمونه في الليل فلما رأى ذلك قال ما هذا الجوار فارتحل عنهم وركب راحلته وقال خلوا زمامها فجعل لا يمر بحي من أحياء الأنصار إلا قالوا له يا رسول الله انزل بنا فانك تنزل في العدة والكثرة ، فيقول خلوا زمام الراحلة فانها مأمورة حتى وقفت على باب أبي أيوب

الأنصاري فبركت فنخست بقضيب فلم تبرح فنزل بأبي أيوب فأقام عنده أياماً ثم انتقل الى حجراته ﴿ وقيل ﴾ إن ناقته بركت في موضع المسجد فنزل فجاء أبو أيوب فأخذ رحله فمضى بها الى منزله وكلمته الأنصار في النزول بها فقال المرء مع رحله ، وقدم علي بن أبي طالب (ع) بفاطمة بنت رسول الله (ص) وذلك قبل نكاحه إياها وكان يسير الليل ويكمن النهار حتى قدم فنزل مع رسول الله (ص) ثم زوجها رسول الله من علي (ع) بعد قدومه بشهرين ، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها الى رسول الله (ص) فلما زوجها علياً (ع) قالوا في ذلك فقال رسول الله (ص) ما أنا زوجته ولكن الله زوجه ، وقدم العباس بن عبد المطلب بزينب بنت رسول الله وكانت بالطائف حين هاجر رسول الله (ص) عند أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان الثقفي ثم رجع العباس الى مكة ، وقدم المهاجرون فنزلوا منازل الأنصار فواسوهم بالديار والأموال .

افتراض الصوم والصلاة

وافترض الله عز وجل شهر رمضان . وصرفت القبلة نحو المسجد الحرام في شعبان بعد مقدمه بالمدينة بسنة وخمسة أشهر ﴿ وقيل ﴾ بسنة ونصف . وأنزل الله عز وجل ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ وكان بين نزول افتراض شهر رمضان وبين توجه القبلة الى الكعبة ثلاثة عشر يوماً ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن رسول الله (ص) كان يصلي الظهر في مسجد بني سلمة فلما صلى ركعتين نزل عليه صرف القبلة الى الكعبة فاستدار حتى جعل وجهه الى الكعبة فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين . وبنى مسجداً باللبن وسقفه بالجريد وقيل له يا رسول الله لو وسعت المسجد فقد كثر المسلمون فقال لا عرش كعرش موسى وعمل غلام للعباس يقال له كلاب منبره ولم تكن للمسجد منارة على عهد رسول الله (ص) وكان بلال يؤذن ثم أذن معه ابن أم مكتوم . وكان أيهما سبق أذن فاذا كانت

الصلاة أقام واحد ﴿ وروى الواقدي ﴾ أن بلالاً كان إذا أذن وقف على باب رسول الله « ص » فقال الصلاة يارسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح .

ما نزل من القرآن بالمدينة

ونزل عليه من القرآن بالمدينة اثنتان وثلاثون سورة ، أول ما نزل ويل للمطففين ثم سورة البقرة ، ثم سورة الأنفال ، ثم سورة آل عمران ، ثم الحشر ، ثم سورة الأحزاب ، ثم سورة النور ، ثم الممتحنة ، ثم إذا فتحنا لك ، ثم سورة النساء ، ثم سورة الحج ، ثم سورة الحديد ، ثم سورة محمد ، ثم هل أتى على الانسان ثم سورة الطلاق ، ثم سورة لم يكن ، ثم سورة الجمعة ، ثم تنزيل السجدة ، ثم المؤمن ، ثم إذا جاءك المنافقون ، ثم المجادلة ، ثم الحجرات ، ثم التحريم ، ثم التغابن . ثم الصف . ثم المائدة . ثم براءة . ثم إذا جاء نصر الله والفتح . ثم إذا وقعت الواقعة . ثم والعاديات . ثم المعوذتين جميعاً . وكان آخر ما نزل ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ﴾ إلى آخر السورة [وقد قيل] إن آخر ما نزل عليه ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ وهي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة . وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بغدير خم ﴿ وقيل ﴾ آخر ما نزل ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ ﴿ وقال ابن عباس ﴾ كان جبريل اذا نزل على النبي بالوحي يقول له ضع هذه الآية في سورة كذا في موضع كذا . فلما نزل عليه ﴿ اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ قال ضعها في سورة البقرة ﴿ قال ابن مسعود ﴾ نزل القرآن بأمر ونهي وتحذير وتبشير ﴿ وقال جعفر بن محمد عليه السلام ﴾ نزل القرآن بحلال وحرام وفرائض وأحكام وقصص وأخبار وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وخبر وأمثال وظاهر وباطن وخاص وعام .

وأقام رسول الله (ص) يتلوم ويتهيأ للقتال حتى أنزل الله عز وجل

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ والآية التي بعدها وقال ﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك ﴾ الى آخر الآية . فكان الرجل من المؤمنين يعد بعشرة من المشركين حتى أنزل الله عز وجل ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا الفين ﴾ وأنزل الله عليه سيفاً من السماء له غمد فقال له جبريل ربك يأمرك أن تقاتل بهذا السيف قومك حتى يقولوا لا آله الا الله وأنك رسول الله فاذا فعلوا ذلك حرمت دماؤهم وأموالهم الا لمحقها وحسابهم على الله . فكان أول سرية سارت ولواء عقد في الاسلام لحمزة بن عبد المطلب . وقد ذكرنا هذا وغيره في كتابنا هذا بعد انقضاء الغزوات التي غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقعة بدر العظمى

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان بعد مقدمه بثمانية عشر شهراً . وكان سببها أن أبا سفيان بن حرب قدم من الشأم بعير لقريش تحمل تجارات وأموالاً فخرج رسول الله (ص) يعارضه وجاء الصريخ الى قريش بمكة يخبرهم الخبر وكان الرسول بذلك ضمضم بن عمرو الغفاري فخرجوا نافرين مستعدين وخالف أبو سفيان الطريق فنجا بالعير وأقبلت قريش مستعدة لقتال رسول الله (ص) وعدتهم الف رجل ﴿ وقيل ﴾ تسعمائة وخمسون . وكانوا ينحرون كل يوم من الجزور عشراً أو تسعاً فنحر أبو جهل بن هشام عشراً . وأمية بن خلف الجمحي تسعاً وسهيل بن عمرو عشراً . وعتبة بن ربيعة عشراً وشيبة بن ربيعة تسعاً . ومنبه ونبيه ابنا الحجاج السهميان عشراً . وأبو البختري العاص بن هشام الأسدي عشراً والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف عشراً . والعباس بن عبد المطلب عشراً ﴿ وقيل ﴾ ان العباس نحر يوم الوقعة فأكفئت القدور وأنه خرج مستكرهاً كالاسير وقال عبد الله بن العباس ان ابي أطعم أسيراً وما أطعم أسير قبله [وروى ابن اسحاق]

أن حكيم بن حزام كان من المطعمين وكان أبو لهب عليلاً فلم يمكنه الخروج فأعانهم بأربعة آلاف درهم ﴿ وقيل ﴾ بل كان أبو لهب قامر العاص بن هشام المخزومي فقمره نفسه فدفعه اليهم مكانه ، وخرج رسول الله « ص » في ثلاث مائة [وقيل] تسعين رجلاً منهم ، من المهاجرين واحد وثمانون ، ومن الأنصار مائتان واثنان وثلاثون رجلاً ، ومعه فرسان فرس للزبير بن العوام ، وفرس للمقداد بن عمرو البهراني ﴿ ويقال ﴾ فرس لمرثد بن ابي مرثد الغنوي ، ومعه سبعون راحلة فالتقوا يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان فقتل من المسلمين أربعة عشر رجلاً ، وقتل من المشركين من سادات قريش سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً ، فامر رسول الله برجلين من الأسارى فضربت أعناقهما ، وهما عقبة بن ابي معيط بن ابي عمرو بن أمية والنضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ، وأخذ الفداء من ثمانية وستين رجلاً ، وافتدى العباس نفسه وابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفاً لهما من بني فهر .

وقال العباس لرسول الله « ص » إنه لا مال لي فدعني أسأل الناس بكفي ، فقال أين المال الذي دفعته الى أم الفضل — يعني لبابة بنت الحارث الهلالية امرأته — وقلت لها تكون عدة ، فقال أشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على ذلك غيري وغيرها فافتدى نفسه بسبعين أوقية ، وابني أخيه بسبعين أوقية ، وقال رسول الله « ص » في الليلة التي بات فيها العباس أسيراً لقد أسهرني أنين العباس عمي في القيد منذ الليلة وأسلم العباس وخرج إلى مكة بكتم إسلامه ، وتوفي ابو لهب بعد وقعة بدر بايام أو بعد ان أتاهم الخبر بتسعة ايام ، وكان اول من قدم مكة وخبر بخبر قريش ومن قتل منها عمرو بن جحدم الفهري .

وأعز الله نبيه وقتل من قريش من قتل ، فأوفدت العرب وفودها الى رسول الله وحاربت ربيعة كسرى ، وكانت وقعتهم بذي قار ، فقالوا عليكم بشعار التهامي

فنادوا يا محمد يا محمد فهزموا جيوش كسرى وقتلوهم فقال رسول الله (ص) اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا ، وكان يوم « ذي قار » بعد وقعة بدر بأشهر أربعة أو خمسة ، وضحى رسول الله « ص » بالمدينة . وخرج الناس الى المصلى بعدتهم ولم يخرج قبل ذلك . و كانت العنزة بين يديه وذبح شاتين بالمصلى بيده « وقيل » شاة . ومضى في طريق ورجع في أخرى .

وقعة أحد

وكانت وقعة أحد في شوال بعد بدر بسنة . اجتمعت قريش واستعدت لطلب ثأرها يوم بدر واستعانت بالمال الذي قدم به ابو سفيان وقالوا لا تنفقوا منه شيئاً إلا في حرب محمد . فكتب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله « ص » بخبرهم وبعث الكتاب مع رجل من جهينة فخبر رسول الله « ص » أصحابه بخبرهم . وخرج المشركون وعدتهم ثلاثة آلاف ورئيسهم ابو سفيان بن حرب وكان رأي رسول الله أن لا يخرج من المدينة لرؤيا رآها في منامه ان في سيفه ثلمة . وان بعيراً يذبح له . وانه ادخل يده في درع حصينة . وتأولها محمد ان نفراً من اصحابه يقتلون وان رجلاً من اهل بيته يصاب . وان الدرع المدينة . فأشارت عليه الأنصار بالخروج فلما لبس لباس الحرب ردت اليه الأنصار الأمر وقالوا لا نخرج عن المدينة . فقال الآن وقد لبست لامتي والنبي إذا لبس لامته لا ينزعها حتى يقاتل ويفتح الله عليه . فخرج وخرج المسلمون وعدتهم الف رجل حتى صاروا إلى احد . ووافى المشركون فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله رماه وحشي عبد جبير بن مطعم بحربة فسقط ومثلت به هند بنت عتبة بن ربيعة وشقت عن كبده فاخذت منها قطعة فلاكتها وجدعت انفه فجزع عليه رسول الله (ص) جزعاً شديداً « وقال » لن اصاب بمثلك وكبر عليه خمساً وسبعين تكبيرة . وانهزم المسلمون حتى بقي رسول الله (ص) وما معه إلا ثلاثة نفر علي (ع) والزبير وطلحة . وقال المنافقون قتل محمد . ورماه عبدالله بن قمئة

فأثر في وجهه ، وافتحم خالد بن الوليد وكان على ميسرة المشركين الثغرة فقتل عبدالله بن جبير وجماعة من المسلمين ناشبة كان رسول الله صيرهم على تلك الثغرة ، ودخل عسكر رسول الله (ص) وفيه كانت هزيمة المسلمين قال الله تعالى ﴿ إذ تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم ﴾ وعاتب الله المسلمين في آيات من كتابه ، وقتل من المسلمين ثمانية وستون رجلا ومن المشركين اثنان وعشرون رجلا ثم رجع المشركون وفرّق الله جمعهم ، وجاء يهودي حتى وقف على باب الأطم الذي فيه النساء ، وكان حسان بن ثابت معهن فصاح اليهودي اليوم بطل السحر ثم ارتقى يصعد فقالت صفية بنت عبد المطلب يا حسان انزل اليه فقال رحمك الله يا بنت عبد المطلب لو كنت ممن بنازل الأبطال خرجت مع رسول الله أقاتل ، فأخذت صفية السيف ﴿ وقيل ﴾ أخذت هراوة فضربت اليهودي حتى قتلته ، ثم قالت انزل فاسلبه فقال لا حاجة لي في سلبه ﴿ وروي ﴾ أن رسول الله (ص) ضرب لصفية يومئذ بسهم ، فلما كان من غد يوم أحد نادى رسول الله (ص) فخرجوا على علتهم وعلى ما أصابهم من الجروح وخرج رسول الله (ص) حتى انتهى إلى حمراء الأسد ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيداً ، فهم الذين أجابوا الله ورسوله من بعد ما أصابهم القرح .

وقعة بني النضير

ثم كانت وقعة بني النضير وهم فخذ من جذام إلا أنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير فسموا به ، وكذلك قريظة بعد أحد باربعة اشهر ، وكان رسول الله بعث اليهم — بعد أن وجه من يقتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي أراد أن يمكر برسول الله — أن أخرجوا من دياركم وأموالكم ، فوجه اليهم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه المنافقون لاتخرجوا فانا نعينكم فلم يخرجوا ، فسار اليهم رسول الله بعد العصر فقاتلهم فقتل منهم جماعة وخذلهم عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه فلما رأوا

أنه لا قوة لهم على حرب رسول الله (ص) طلبوا الصلح فصالحهم على أن يخرجوا من بلادهم ولهم ما حملت إلا بل من خرثي متاعهم لا يخرجون معهم بذهب ولافضة ولا سلاح فتحملوا الى الشام وأسلم سلام بن (... «١» ...) ويا مين النضيري ، وكانت غنائمهم لرسول الله خالصة ففرقها بين المهاجرين دون الأنصار إلا رجلين ابا دجانة وسهل بن حنيف فانهما شكيا حاجة ، وفي هذه الغزاة شرب المسلمون الفضيخ فسكروا فنزل تحريم الخمر .

وقعة الخنـــدق

ثم كانت وقعة الخندق وهو يوم الأحزاب في السنة السادسة بعد مقدم رسول الله بالمدينة بخمسة وخمسين شهراً ، وكانت قريش تبعث إلى اليهود وسائر القبائل فتحرضهم على قتال رسول الله «ص» فاجتمع خلق من قريش إلى موضع يقال له ﴿ سلع ﴾ واشار عليه سلمان الفارسي (رض) ان يحفر خندقاً لحفر الخندق وجعل لكل قبيلة حداً يحفرون اليه وحفر رسول الله (ص) معهم حتى فرغ من حفر الخندق وجعل له ابواباً وجعل على الأبواب حرساً من كل قبيلة رجلا وجعل عليهم الزبير بن العوام وامره إن راى قتالا ان يقاتل ، وكانت عدة المسلمين سبعمائة رجل ، ووافى المشركون فانكروا امر الخندق وقالوا ما كانت العرب تعرف هذا واقاموا خمسة ايام فلما كان اليوم الخامس خرج عمرو بن عبدود واربعة نفر من المشركين نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي . وعكرمة بن ابي جهل . وضرار بن الخطاب الفهري . وهبيرة بن ابي وهب المخزومي . فخرج علي بن ابي طالب (ع) الى عمرو بن عبد ود فبارزه وقتله وانهزم الباقون . وكبا بنوفل بن عبد الله بن المغيرة فرسه فلحقه علي (ع) فقتله . وبعث الله

«١» بياض في الأصل ، وسلام هذا هو ابن مشكم ، وهو الذي نهى القوم لما تآمروا على قتل النبي (ص) بالقاء صخرة على رأسه وهو جالس الى جنب جدار بيت ، وكان حامل الصخرة عمرو بن جحاش . (م . ص)

على المشركين ريحاً وظلمة فانصرفوا هاربين ﴿ لا يلوون ﴾ على شيء حتى ركب ابو سفيان ناقته وهي معقولة فلما بلغ رسول الله (ص) ذلك قال عوجل الشيخ ، وكانت الحرب — على ما روى بعضهم — ثلاثة أيام بالرمي بغير مجالدة ولا مبارزة واتصلت في اليوم الثالث حتى فاتت صلاة الظهر وصلاة العصر وصلاة المغرب وصلاة العشاء الآخرة فقال رسول الله (ص) شغلونا عن الصلاة ملأ الله بطونهم وقبورهم ناراً ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة فصلى الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء وذلك قبل أن ينزل عليه ﴿ فان خفتم فرجالا أو ركباناً ﴾ وفي هذه الوقعة ظهر النفاق وقال المنافقون تعد يا محمد بقصور كسرى وقيصر ولأحدنا لا نقدر على الغائط ما هذا إلا غرور ، فانزل الله عز وجل سورة الأحزاب ، وقص فيها ما قص ، فكان قوم من اليهود صاروا إلى رسول الله (ص) منهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق فقالوا له يا محمد نزل ﴿ الم ﴾ قال نعم ، قال جاءك بها جبريل من عند الله قال نعم ، قال حيي بن اخطب ما بعث الله نبياً إلا أعلمه قدر ملكه فالألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون فذلك إحدى وسبعون سنة ، فهل غير هذا قال نعم ﴿ المص ﴾ قال هي أثقل وأطول الف واحد ولام ثلاثون والميم أربعون وصد ستون (١) فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة ، فهل غير هـذا قال نعم ﴿ الر ﴾ قال هي أثقل وأطول الف واحد واللام ثلاثون والراء مائتان ، فهذه مائتان وإحدى وثلاثون سنة ، فهل غير هـذا قال نعم ﴿ المر ﴾ قال هذه أثقل وأطول الف واحد ولام ثلاثون وميم أربعون وراء مائتان فهذه مائتان وإحدى وسبعون ، لقد لبس علينا أمرك يا محمد فلا ندرى أقليلا أعطيت أم كثيراً ولعلك أعطيت ﴿ الم والمص والر والمر ﴾ فذلك سبعمائة وأربع وستون (٢)

(١) هذا على حساب المغربيين فان الصاد تحسب عندهم بستين وإلا فهي بحساب الجمل الكبير المعروف تعد بتسعين . (٢) كذا في الأصل ، والظاهر زيادة (وستون) لأن مجموع الأعداد المذكورة سبعمائة وأربعة فليلاحظ . (م . ص)

سنة ، وقتل يوم الخندق من المسلمين ستة ومن المشركين ثمانية .

وقعة بني قريظة

ثم كانت وقعة بني قريظة — وهي فخذ من جذام اخوة النضير ﴿ ويقال ﴾ إن تهودهم كان في أيام عاديا بن السموءل ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة فنسبوا اليه ﴿ وقد قيل ﴾ إن قريظة اسم جدهم — بعقب الخندق ، وكان بينهم وبين رسول الله صلح فنقضوه ومالوا مع قريش فوجه اليهم سعد بن معاذ وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير فذكروهم العهد وأساؤا الاجابة فلما انهزمت قريش يوم الخندق دعا رسول الله علياً فقال له قدم راية المهاجرين إلى بني قريظة وقال عزمت عليكم أن تصلوا العصر إلا في بني قريظة ، وركب حماراً له فلما دنا منهم لقيه علي بن أبي طالب (ع) فقال يا رسول الله لا تدن ﴿ فقال ﴾ أحسب أن القوم أساءوا القول فقال نعم يا رسول الله ﴿ فيقال ﴾ إنه قال بيده هكذا وهكذا فانفرج الجبل حتى دنوه وقال يا عبدة الطاغوت يا وجوه القردة والخنازير فعل الله بكم وفعل ، فقالوا يا أبا القاسم ما كنت فاحشاً فاستحيي فرجع القهقرى ، ولم يتخلف عنه من المهاجرين أحد وأفناء عامة الأنصار فقتل من بني قريظة ثم تحصنوا فحاصرهم رسول الله اياماً حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ الأنصاري فحضر سعد عليلا فقالوا له يا ابا عمرو واحسن فقال قد آن لسعد ان لا تأخذه في الله لومة لائم ارضيتم بحكمي قالوا نعم ، ثم قال قد حكمت ان تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم وتجعل اموالهم للمهاجرين دون الأنصار ، فقال رسول الله لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع سماوات ثم قدمهم عشرة عشرة فضرب اعناقهم وكانت عدتهم سبعمائة وخمسين فانصرف رسول الله واصطفى منهم ست عشرة جارية فقسمها على فقراء بني هاشم واخذ لنفسه منهن واحدة يقال لها ريحانة ، وقسمت اموال بني قريظة ونساؤهم واعلم سهم الفارس وسهم الراجل فكان الفارس يأخذ سهمين والراجل سهما ، وكان اول مغنم اعلم فيه سهم الفارس وكانت الخيل ثمانية وثلاثين فرساً .

وقعة بني المصطلق

ثم كانت وقعة بني المصطلق من خزاعة لقيهم رسول الله بالمريسيع وهزمهم وسباهم . فكان ممن سبي في غزاته جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار وقتل ابوها وعمها وزوجها فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي فكاتبها فأتت رسول الله في مكاتبتها فقضى عليها مكاتبتها وتزوجها وجعل صداقها عتقها ، فلم يبق عنده من سبي بني المصطلق أحد إلا أعتقه وتزوجوا من فيهم من النساء لتزويج رسول الله جويرية ، وفي هذه الغزاة قال أصحاب الافك في عائشة ما قالوا فانزل الله عز وجل براءتها ، وكانت تخلفت لبعض شأنها فجاء صفوان بن المعطل السلمي فصيرها على بعيره وقادها فقال من قال فيها الافك ، وجلد رسول الله حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وعبد الله بن ابي ابن سلول ، وهو الذي تولى كبره وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش وأسلم بنو المصطلق وبعثوا الى رسول الله باسلامهم فبعث الوليد بن عقبة بن ابي معيط ليقبض صدقاتهم فانصرف الى رسول الله (١) فانزل الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين ﴾

غزاة الحديبية

ثم كانت غزاة الحديبية خرج رسول الله (ص) في سنة ست يريد العمرة ومعه ناس وساق من الهدي سبعين بدنة وساق أصحابه أيضاً وخرجوا بالسلاح فصدته قريش عن البيت فقال ما خرجت أريد قتالا وإنما أردت زيارة هذا البيت ، وقد كان رسول الله رأى في المنام أنه دخل البيت وحلق رأسه وأخذ المفتاح فارسلت اليه قريش مكرز بن حفص فابى أن يكلمه وقال هذا رجل فاجر فبعثوا اليه الحليس بن علقمة من بني الحارث بن عبد مناة وكان من قوم يتألهون فلما رأى الهدي قد أكلت أوبارها

---

(١) كذا في الأصل وفي العبارة سقط ولعله « وقال إنهم منعوا صدقاتهم وكان الأمر بخلافه فغضب النبي (ص) وهم أن يغزوهم » فانزل الله الخ . (م . ص)

رجع فقال يا معاشر قريش إني قد رأيت ما لا يحل صده عن البيت فبعثوا بعروة بن مسعود الثقفي فكلم رسول الله فقال له رسول الله يا عروة أفي الله أن يصد هذا الهدي عن هذا البيت فانصرف اليهم عروة بن مسعود فقال تالله ما رأيت مثل محمد لما جاء له فبعثوا اليه سهيل بن عمرو فكلم رسول الله وأرفقه وقال نخليها لك من قابل ثلاثة أيام فأجابهم رسول الله وكتبوا بينهم كتاب الصلح ثلاث سنين وتنازعوا بالكتاب لما كتب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ﴾ حتى كادوا أن يخرجوا الى الحرب قال سهيل بن عمرو والمشركون لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك ، وقال المسلمون لا تمحها فامر رسول الله أن يكفوا وأمر عليًا فكتب ﴿ بسمك اللهم من محمد بن عبد الله ﴾ (١) وقال اسمي واسم أبي لا يذهبان بنبوتي ، وشرطوا أن يخلوا مكة له من قابل ثلاثة ايام ويخرجوا عنها حتى يدخلها بسلاح الراكب وأن الهدنة بينهم ثلاث سنين لا يؤذون احداً من اصحاب رسول الله ولا يمنعونه من دخول مكة ولا يؤذي احد من اصحاب رسول الله احداً منهم ، ووضع الكتاب على يد سهيل بن عمرو فامر رسول الله المسلمين أن يحلقوا وينحروا هديهم في الحال فامتنعوا وداخل اكثر الناس الريب فحلق رسول الله ونحر فحلق المسلمون ونحروا وانصرف رسول الله الى المدينة ثم خرج من قابل وهي عمرة القضاء فدخل مكة على ناقة بسلاح الراكب واخلتها قريش ثلاثا وخلفوا بها حويطب بن عبد العزى فاستلم رسول الله الركن بمحجنه وصدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، وخرج عنها بعد ثلاث فابتنى بميمونة بنت الحارث الهلالية زوجته بسرف . وغدرت قريش فقتلت رجلاً من خزاعة ممن دخل في شرط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) ثم قال رسول الله (ص) لعلي «ع» ولك مثلها ، او كما قال ، وكان الأمر كما ذكر . فلم يذكره المصنف لبنائه على الاختصار (كذا في هامش الأصل)

وقعة خيبر

ثم كانت وقعة خيبر في أول سنة سبع ففتح حصونهم وهي ستة حصون السلالم والقموص والنطاة والقصارة والشق والمربطة ، وفيها عشرون الف مقاتل ففتحها حصناً حصناً فقتل المقاتلة وسبى الذرية وكان القموص من أشدها وأمنعها وهو الحصن الذي كان فيه مرحب بن الحارث اليهودي فقال رسول الله لأدفعن الراية غداً إن شاء الله إلى رجل كرار غير فرار يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا ينصرف حتى يفتح الله على يده فدفعها إلى (علي) فقتل مرحباً اليهودي واقتلع باب الحصن وكان حجارة طوله أربع أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع فرمى به علي بن أبي طالب خلفه ودخل الحصن ودخله المسلمون ، وقدم جعفر بن أبي طالب في ذلك اليوم من أرض الحبشة فقام اليه رسول الله فقبل ما بين عينية ثم قال والله ما أدري بأيهما أنا اشد سروراً بفتح خيبر ام بقدوم جعفر ، واصطفى صفية بنت حيي بن أخطب وأعتقها وتزوجها وقسم بين بني هاشم نساءهم ورجالهم وأوساق التمر والقمح والشعير ، ثم قسم بين الناس كافة وبلغه ما فيه أهل مكة من الضر والحاجة والجدب والقحط فبعث اليهم بشعير ذهب ﴿ وقيل ﴾ نوى ذهب مع عمرو بن أمية الضمري وأمره أن يدفعه الى ابي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية بن خلف وسهيل بن عمرو وفرقه ثلاثاً ثلاثاً فامتنع صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو من أخذه وأخذه ابو سفيان كله وفرقه على فقراء قريش وقال جزى الله ابن أخي خيراً فانه وصول لرحمه ، وجاءته زينب بنت الحارث أخت مرحب بالشاة المسمومة فاخذ منها لقمة وكلمته الذراع فقالت إني مسمومة وكان يأكل معه بشر ابن البراء بن معرور فمات فقال الحجاج بن علاط السلمي لرسول الله قد أسلمت ولي بمكة مالي فتأذن لي أن أتكلم بشيء يطمئنون اليه لعلي أن آخذ مالي فأذن له فخرج حتى قدم مكة فاتته قريش فقالوا مرحباً بك يابن علاط هل عندك خبر من هذا القاطع قال نعم إن كتمتم علي فتعاهدوا أن يكتموا عليه حتى يخرج قال والله إني ما جئت حتى

هزم محمد وأصحابه هزيمة وحتى أخذ أسيراً وقالوا نقتله بسيدنا حيي بن أخطب فاستبشروا وشربوا الخمور وبلغ العباس والمسلمين الخبر فاشتد جزعهم وأخذ الحجاج كل ما كان له ثم أتى العباس وأخبره بما فتح الله على نبيه وأن سهام الله قد جرت على خيبر وقتل ابن ابي الحقيق وبات رسول الله عروساً بابنة حيي بن أخطب ثم خرج من مكة فأصبح العباس مسروراً فقال له ابو سفيان تجلداً للمصيبة يا أبا الفضل فقال العباس إن الحجاج والله خدعكم حتى أخذ ماله وقد أخبرني باسلامه وأنه ما انصرف حتى فتح الله على نبيه وقتل ابن أبي الحقيق وبات عروساً بابنة حيي بن أخطب وفتح جميع الحصون فأعولت امرأة الحجاج واجتمع اليها نساء المشركين واشتدت كآبة المسلمين وغاهم .

فتح مكة

وكانت خزاعة في عقد رسول الله وكنانة في عقد قريش فأعانت قريش كنانة فأرسلوا مواليهم فوثبوا على خزاعة فقتلوا فيهم فجاءت خزاعة الى رسول الله فشكوا اليه ذلك فأحل الله لنبيه قطع المدة التي بينه وبينهم وعزم على غزو مكة وقال اللهم أعم الأخبار عنهم — يعنى قريشاً — فكتب حاطب بن ابي بلتعة مع سارة مولاة ابي لهب إلى قريش بخبر رسول الله وما اعتزم عليه فنزل جبريل فأخبره بما فعل حاطب فوجه بعلي بن أبي طالب والزبير وقال خذا الكتاب منها فلحقاها وقد كانت تنكبت الطريق فوجد الكتاب في مشعرها « وقيل » في فرجها فأتيا به الى رسول الله فأسر الى كل رئيس منهم بما أراد وأمره أن يلقاه بموضع سماه وأن يكتم ما قال له فأسر الى خزاعي بن عبد نهم أن يلقاه بمزينة بالروحاء ، وإلى عبد الله بن مالك أن يلقاه بغفار بالسقيا ، والى قدامة بن ثمامة أن يلقاه بني سليم بقديد ، وإلى الصعب بن جثامة أن يلقاه ببني ليث بالكديد .

وخرج رسول الله (ص) يوم الجمعة حين صلى صلاة العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ثمان « وقيل » لعشر مضين من رمضان ، واستخلف على المدينة

أبا لبابة بن عبد المنذر ولقيته القبائل في المواضع التي سماها لهم وأمر الناس فافطروا وسمى الذين لم يفطروا العصاة ودعا بماء فشربه وتلقاه العباس بن عبد المطلب في بعض الطريق فلما صار بمر الظهران خرج ابو سفيان بن حرب يتجسس الأخبار ومعه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وهو يقول لحكيم ما هذه النيران فقال خزاعة أحمشتها الحرب، فقال خزاعة أقل وأذل وسمع صوته العباس فناداه يا أبا حنظلة فاجابه فقال له يا أبا الفضل ما هذا الجمع قال هذا رسول الله فاردفه على بغلته ولحقه عمر بن الخطاب وقال الحمدلله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عقد فسبقه العباس إلى رسول الله فقال يا رسول الله هـذا ابو سفيان قد جاء ليسلم طائعاً فقال له رسول الله (ص) قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وجعل يمتنع من أن يقول وأنك رسول الله فصاح به العباس فقال، ثم سأل العباس رسول الله (ص) أن يجعل له شرفاً وقال إنه يحب الشرف فقال رسول الله (ص) من دخل دارك يا أبا سفيان فهو آمن وأوقفه العباس حتى رأى جند الله فقال له يا أبا الفضل لقد أوتي ابن أخيك ملكا عظيماً فقال إنه ليس بملك إنما هي النبوة، ومضى أبو سفيان مسرعاً حتى دخل مكة فخبرهم الخبر وقال هو اصطلام إن لم تسلموا وقد جعل أن من دخل داري فهو آمن، فوثبوا عليه وقالوا وما يسع دارك فقال ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن، وفتح الله على نبيه وكفاه القتال ودخل مكة ودخل أصحابه من أربعة مواضع وأحلها الله له ساعة من نهار، ثم قام رسول الله «ص» فخطب فحرمها، وأجارت أم هاني بنت أبي طالب حموين لها الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة فأراد علي عليه السلام قتلهما فقال رسول الله (ص) يا علي قد أجرنا من أجارت أم هاني وآمنهم جميعاً إلا خمسة نفر أمر بقتلهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة، وأربع نسوة، وهم عبد الله بن عبدالعزى بن حطل من بني تيم الاكرم بن غالب، وكان رسول الله (ص) وجهه مع رجل من الأنصار فشد على الأنصاري فقتله وقال لاطاعة لك ولا لمحمد، وعبد الله

ابن سعد بن أبي سرح العامري ، وكان يكتب لرسول الله « ص » فصار الى مكة فقال أنا أقول كما يقول محمد والله ما محمد نبي والقد كان يقول لي اكتب (عزيزحكيم) فاكتب « لطيف خبير » ولو كان نبياً لعلم فآواه عثمان وكان أخاه من الرضاع وأتى به إلى رسول الله (ص) فجعل يكلمه فيه ورسول الله ساكت ، ثم قال هلا قتلتموه فقالوا انتظرنا أن تومئ فقال إن الأنبياء لا تقتل بالايماء ، ومقيس بن صبابة أحد بني ليث بن كنانة ، وكان أخوه قتل فاخذ الدية من قاتله ثم شد عليه فقتله ، والحويرث ابن نقيذ بن وهب بن عبد قصي ، كان ممن يؤذي رسول الله بمكة ويتناوله بالقول القبيح ، والذسوة سارة مولاة بني عبد المطلب ، وكانت تذكر رسول الله بالقبيح وهند بنت عتبة ، وقريبة وفرتنا جاريتا ابن خطل كانتا تغنيان في هجاء رسول الله وأسلمت قريش طوعاً وكرهاً ، وأخذ رسول الله مفتاح البيت من عثمان بن أبي طلحة وفتح الباب بيده وستره ثم دخل البيت فصلى فيه ركعتين ثم خرج فأخذ بعضادتي الباب فقال لا آله إلا الله وحده لا شريك له أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلله الحمد والملك لا شريك له .

ثم قال ما تظنون وما أنتم قائلون ، قال سهيل نظن خيراً ونقول خيراً أخ كريم وابن عم كريم وقد ظفرت ، قال فاني أقول لكم كما قال أخي يوسف ﴿ لا تثريب عليكم اليوم ﴾ ثم قال ألا كل دم ومال ومأثرة في الجاهلية فانه موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فانهما مردودان إلى أهليهما ألا وإن مكة محرمة بحرمة الله لم تحل لأحد من قبلي ولا تحل لأحد من بعدي وإنما حلت لي ساعة ثم أغلقت فهي محرمة إلى يوم القيامة لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد ، ألا إن في القتل شبه العمد الدية مغلظة ، والولد للفراش وللعاهر الحجر [ثم قال] ألا لبئس جيران الذين (١) كنتم فاذهبوا فأنتم الطلقاء ، ودخل

(١) كذا في الأصل ولعل العبارة « لبئس جيران البيت كنتم » (م. ص)

مكة بغير إحرام وأمر بلالاً ان يصعد على الكعبة فأذن فعظم ذلك على قريش وقال عكرمة بن أبي جهل وخالد بن أسيد إن ابن رباح نهق على الكعبة وتكلم قوم معهما فأرسل اليهم رسول الله فقالوا قد قلنا فنستغفر الله فقال ما أدري ما اقول لكم ولكن تحضر الصلاة فمن صلى فسبيل ذلك وإلا قدمته فضربت عنقه .

وأمر بكل ما في الكعبة من صورة فمحيت وغسلت بالماء ، ودعا بعثمان بن طلحة فقال رأيت في الكعبة قرني الكبش فخمرهما فانه لا ينبغي ان يكون في الكعبة شيء يُلهي المصلين . ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن رسول الله قسم ما كان في الكعبة من المال بين المسلمين ﴿ وقال آخرون ﴾ أقره ونادى منادي رسول الله من كان في بيته صنم فليكسره فكسروا الأصنام ، ودعا رسول الله بالنساء فبايعنه وكانت الخيل اربع مائة فرس ، ونزلت عليه (ص) سورة إذا جاء نصر الله والفتح فقال نعيت إلي نفسي .

وبعث رسول الله « ص » وهو بمكة خالد بن الوليد الى بني جذيمة بن عامر وهم بالغميصاء وقد كانوا في الجاهلية أصابوا من بني المغيرة وقتلوا عوفاً اباعبد الرحمن بن عوف فخرج عبد الرحمن بن عوف مع خالد بن الوليد ورجال من بني سليم وقد كانوا قتلوا ربيعة بن مكدم في الجاهلية فخرج جذل الطعان فقتل من بني سليم بدم ربيعة مالك بن الشريد ، وبلغ جذيمة ان خالداً قد جاء ومعه بنو سليم فقال لهم خالد ضعوا السلاح فقالوا إنا لا نأخذ السلاح على الله ولا على رسوله ونحن مسلمون فانظر ما بعثك رسول الله له فان كان بعثك مصدقاً فهذه إبلنا وغنمنا فأعد عليها قال ضعوا السلاح قالوا إنا نخاف أن تأخذنا باحنة الجاهلية فانصرف عنهم وأذن في القوم وصلوا فلما كان في السحر شن عليهم الخيل فقتل المقاتلة وسبى الذرية فبلغ رسول الله (ص) فقال اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد ، وبعث علي بن ابي طالب (ع) فأدى اليهم ما أخذ منهم حتى العقال وميلغة الكلب وبعث معه بمال ورد من اليمن فودى القتلى وبقيت

معه منه بقية فدفعها علي اليهم على آن يحللوا رسول الله مما علم ومما لا يعلم فقال رسول الله لما فعلت أحب إلي من حمر النعم ، ويومئذ قال لعلي (فداك ابواي) وقال عبد الرحمن بن عوف والله لقد قتل خالد القوم مسلمين فقال خالد إنما قتلتهم بابيك عوف بن عبدعوف فقال له عبد الرحمن ما قتلت بابي ولكنك قتلت بعمك الفاكه بن المغيرة .

وقعة حنين

ثم كانت وقعة حنين بلغ رسول الله (ص) وهو بمكة أن هوازن قد جمعت بحنين جمعاً كثيراً ورئيسهم مالك بن عوف النصري ومعهم دريد بن الصمة من بني جشم شيخ كبير يتبركون برأيه وساق مع هوازن أموالهم وحرمهم فخرج اليهم رسول الله (ص) في جيش عظيم عدتهم اثنا عشر الفاً ، عشرة آلاف اصحابه الذين فتح بهم مكة ممن أسلم طوعاً وكرهاً وأخذ من صفوان بن أمية مائة درع وقال عارية مضمونة فأعجبت المسلمين كثرتهم وقال بعضهم ما نؤتى من قلة فكره رسول الله ذلك من قولهم ، وكانت هوازن قد كمنت في الوادي فخرجوا على المسلمين وكان يوم عظيم الخطب وانهزم المسلمون عن رسول الله «ص» حتى بقي في عشرة من بني هاشم ﴿ وقيل ﴾ تسعة وهم علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وابو سفيان ابن الحارث ونوفل بن الحارث وربيعة بن الحارث وعتبة ومعتب ابنا ابي لهب والفضل بن العباس وعبد الله ابن الزبير بن عبد المطلب ﴿ وقيل ﴾ أيمن بن أم أيمن قال الله عز وجل ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها ﴾ وأبدى بعض قريش ما كان في نفسه فقال ابو سفيان لا تنتهي والله هزيمتهم دون البحر ، وقال كلدة بن حنبل اليوم بطل السحر ، وقال شيبة بن عثمان أقتل محمداً فأراد رسول الله «ص» ليقتله فأخذ النبي الحربة منه فاشعرها فؤاده فقال رسول الله للعباس صح يا الأنصار ، وصح يا أهل بيعة الرضوان ، صح يا أصحاب سورة البقرة

يا أصحاب الشجرة ، ثم انفض الناس وفتح الله على نبيه وأيده بجنود من الملائكة ومضى علي بن أبي طالب الى صاحب راية هوازن فقتله ، وكانت الهزيمة ، وقتل من هوازن خلق عظيم وسبي منها سبايا كثيرة بلغت عدتهم الف فارس وبلغت الغنائم أثنتي عشر الف ناقة سوى الأسلاب ، وقتل دريد بن الصمة فأعظم الناس ذلك فقال رسول الله « ص » إلى النار وبأس المصير إمام من أئمة الكفر إن لم يكن يعين بيده فانه يعين برأيه ، قتله رجل من بني سليم ، وقتل ذو الخمار سبيع بن الحارث فقال رسول الله (ص) أبعده الله إنه كان يبغض قريشاً .

وصارت السبايا والأموال في أيدي المسلمين ، وبلغت هزيمة المسلمين الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وكان جميع من استشهد اربعة نفر ، وجاءت الشيماء بنت حليمة أخت رسول الله (ص) من الرضاعة إلى رسول الله فحباها وأكرمها وبسط لها رداءه وكلمته في السبايا وقالت إنما هن خالاتك وأخواتك فقال ما كان لي ولبني هاشم فقد وهبته لك فوهب المسلمون ما كان في أيديهم من السبايا كما فعل إلا الأقرع ابن حابس وعيينة بن حصن فقال رسول الله (ص) اللهم نوه سهيمهما فخرج لهما (١) عجوز وكلمته في مالك بن عوف النصري رئيس جيش هوازن وآمنه فجاء مالك وأسلم ووجه رسول الله (ص) لحصار الطائف ، وأعطى المؤلفة قلوبهم من غنائم هوازن وأعطى اثني عشر رجلا مائة مائة من الابل وهم ابو سفيان بن حرب ومعاوية بن أبي سفيان وحكيم بن حزام والحارث بن الحارث بن كلدة العبدري والحارث بن هشام بن المغيرة وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية بن خلف وحويطب بن عبد العزى والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة ومالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس ، وأعطى الباقين ما دون ذلك وسألته الأنصار ودخلها غضاضة فقال رسول الله (ص) إني اعطي قوماً تألفاً وأكلكم الى ايمانكم ، وتكلم بعضهم

(١) كذا في الأصل وفيه سقط ولعله [فجاءته عجوز] الخ . (م . ص)

فقال قاتل بنا محمد حتى إذا ظهر أمره وظفر أبى قومه وتركنا فاسقط الله سهمهم وأثبت للمؤلفة قلوبهم سهماً في الصدقات ، وخرج رسول الله (ص) الى الطائف ووجه بعلي بن ابي طالب (ع) فلقي نافع بن غيلان بن سلمة بن معتب في خيل من ثقيف فقتله وانهزم اصحابه وحصرها رسول الله «ص» بضعة وعشرين يوماً ونزل اليه أربعون رجلا ، وأمر رسول الله (ص) بقطع الكروم فكلموه فتركها وأمر أن لا تقطع ثم انصرف رسول الله وخلف أبا سفيان بن حرب على حصار الطائف ووجه علياً (ع) لكسر الأصنام فكسرها .

غزاة مؤتة

ووجه جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة في جيش الى الشأم لقتال الروم سنة ثمان ﴿ وروى بعضهم ﴾ أنه قال أمير الجيش زيد بن حارثة فان قتل زيد بن حارثة فجعفر بن ابي طالب فان قتل جعفر بن ابي طالب فعبد الله بن رواحة فان قتل عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون من احبوا ﴿ وقيل ﴾ بل كان جعفر المقدم ثم زيد بن حارثة ثم عبد الله بن رواحة ، وسار الى موضع يقال له ﴿ مؤتة ﴾ من الشأم من البلقاء من أرض دمشق ، فأخذ زيد الراية فقاتل حتى قتل ثم أخذها جعفر فقطعت يده اليمنى فقاتل باليسري فقطعت يده اليسرى ثم ضرب وسطه ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقتل ، ورفع لرسول الله (ص) كل خفض وخفض له كل رفع حتى رأى مصارعهم وقال رأيت سرير جعفر المقدم فقلت يا جبريل إني كنت قدمت زيداً فقال إن الله قدم جعفراً لقرابتك ، ونعاهم رسول الله (ص) فقال أنبت الله لجعفر جناحين من زبرجد يطير بهما في الجنة حيث يشاء ، واشتد جزعه وقال على جعفر فلتبك البواكي ، وتأمر خالد بن الوليد على الجيش [قالت أسماء بنت عميس الخثعمية وكانت امرأة جعفر وأم ولده جميعاً دخل علي رسول الله ويدي في عجين فقال يا اسماء اين ولدك فاتيته بعبد الله ومحمد وعون فأجلسهم جميعاً في

حجره وضمهم اليه ومسح على رؤوسهم ودمعت عيناه فقلت بأبي وأمي أنت يا رسول الله لم تفعل بولدي كما تفعل بالأيتام لعله بلغك عن جعفر شيء فغلبته العبرة وقال رحم الله جعفراً فصحت وا ويلاه وا سيداه فقال لاتدعي بويل ولا حرب وكل ما قلت فانت صادقة ، فصحت وا جعفراه وسمعت صوتي فاطمة بنت رسول الله (ص) فجاءت وهي تصيح وا ابن عماه ، فخرج رسول الله (ص) يجر رداءه ما يملك عبرته وهو يقول على جعفر فلتبك البواكي . ثم قال يا فاطمة اصنعي لعيال جعفر طعاماً فانهم في شغل فصنعت لهم طعاماً ثلاثة أيام فصارت سنة في بني هاشم .

الغزوات التى لم يكن فيها قتال

وكانت غزوات فيما بين ذلك لم يكن فيها قتال كان رسول الله يخرج فلا يلقى كيداً وينصرف ، وإنما قدمنا ما كان فيها القتال على التي لا قتال فيها لنفرد الغزوات التي لم يكن فيها قتال .

﴿ غزاة الأبواء ﴾ خرج رسول الله (ص) إلى ودان فرجع ولم يلق كيداً .

﴿ وغزاة بواط ﴾ مثل ذلك .

﴿ وغزاة ذي العشيرة ﴾ من بطن ينبع وادع بها بني مدلج وحلفاء لهم من بني ضمرة وكتب بينهم كتاباً والذي قام بذلك بينهم مخشي بن عمرو الضمري .

﴿ وغزاة قرقرة الكدر ﴾ خرج رسول الله في طلب مكدر بن جابر الفهري ويقال كرز بن جابر حين كان أغار على سرح المدينة وذلك أن أبا سفيان ضاف سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير فقراه وسقاه خمراً ثم خرج من تحت ليلته حتى مر بمكان يقال له ﴿ العريض ﴾ فوجد بها رجلين من الأنصار في صور لهما من النخل فقتلهما وانصرف إلى مكة فبلغ رسول الله الخبر فبلغ قرقرة الكدر ولم يلق كيداً وانصرف .

﴿ وغزاة حمراء الأسد ﴾ خرج رسول الله (ص) من غد يوم أحد وقد

ذكرناها مع خبر أحد

﴿ وغزاة بدر الصغرى ﴾ وهي بدر الموعد لميعاد أبي سفيان بن حرب ، فخرج رسول الله (ص) في شعبان في السنة الرابعة فاقام عليها ثماني ليال ينتظرون أباسفيان ووافق السوق وكانت عظيمة فتسوق المسلمون فربحوا ربحاً حسناً ، وقال المنافقون للمؤمنين حين خرجوا لميعاد أبي سفيان قد قتلوكم عند بيوتكم فكيف إذا أتيتموهم في بلادهم وقد جمعوا لكم والله لا ترجعون ابداً فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانزل الله في ذلك ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ .

وانصرف رسول الله ولم يلق كيداً ، وخلفهم أبو سفيان وقال هذا عام جدب ولا يصلحكم يا معشر قريش إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وإني راجع فرجعوا بعد أن كان قد بلغ مر الظهران .

﴿ وغزاة تبوك ﴾ سار رسول الله (ص) في جمع كثير إلى تبوك من أرض الشأم يطلب بدم جعفر بن أبي طالب ووجه الى رؤساء القبائل والعشائر يستنفرهم ويرغبهم في الجهاد ، وحض رسول الله أهل الغنى على النفقة فأنفقوا نفقات كثيرة وقووا الضعفاء وقال رسول الله (ص) أفضل الصدقة جهد المقل فاتاه البكاؤن يستحملونه وهم هرمى بن (.. «١» ..) عمرو بن عوف ، وسالم بن عمير ، وعمرو بن

«١» بياض في الأصل ، وهرمى هذا هو ابن عبد الله بن رفاعة بن بحرة بن مجدعة بن عدي بن نمير بن واقف ، ذكره ابن سعد في الطبقات وقال « كان قديم الاسلام وهو من البكائين الذين استحملوا النبي (ص) في غزوة تبوك » وقد سقط في محل البياض بعض البكائين وهما اثنان على أقل الروايات إذ لم يجعلهم أحد من المؤرخين أقل من سبعة ، أما عمرو بن عوف الذي ذكر في (الكتاب) فليس من البكائين —

الحمام ، وعبد الرحمن بن كعب ، وصخر بن سلمان ، فقال ما أجد ما أحملكم عليه وأتوه قوم من الأغنياء فاستأذنوه وقالوا دعنا نكن مع من تخلف فقال الله تعالى ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ وهم الجد بن قيس ، ومجمع بن جارية ، وخدام بن خالد فأذن لهم رسول الله (ص) فقال الله تعالى ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ وخرج رسول الله « ص » غرة رجب سنه تسع واستخلف علياً على المدينة واستعمل الزبير على راية المهاجرين وطلحة على الميمنة وعبد الرحمن بن عوف على الميسرة وخرجت النساء والصبيان يودعونه عند الثنية فسماها ثنية الوداع .

وسار رسول الله (ص) فاصاب الناس عطش شديد فقالوا يا رسول الله لودعوت الله اسقانا فدعا الله فسقاهم وقدم رسول الله (ص) تبوك في شعبان فاتاه يحنة بن رؤبة أسقف أيلة فصالحه وأعطاه الجزية وكتب له كتاباً وانصرف رسول الله (ص) فجلس له أصحاب العقبة لينفروا به ناقته فقال لحذيفة نحهم وقل لهم لتنحن او لأدعونكم بأسمائكم وأسماء آبائكم وعشائركم فصاح بهم حذيفة ، وكان خروجه (ص) في رجب وانصرف في شهر رمضان وكان حذيفة يقول إني لأعرف اسماءهم واسماء آبائهم وقبائلهم

الأمراء على السرايا والجيوش

ووجه رسول الله (ص) على السرايا والجيوش الأمراء وعقد لهم الألوية والرايات ، فاول ذلك حمزة بن عبد المطلب على سرية إلى ساحل البحر ﴿ وقيل ﴾

---- وإنما سالم بن عمير الذي ذكر فيه هو من بني عمرو بن عوف ، فالذي يترجح في النظر أن العبارة (ومن بنى عمرو بن عوف سالم بن عمير) فزيدت الواو قبل سالم واسقط لفظ (ومن بني) قبل عمرو ، كما عبر بذلك ابن هشام في السيرة (ج ٢ ص ٣٧) وجعلهم سبعة رجال وإن جعلهم الديار بكري في تاريخ الخميس (ج ٢ ص ١٣٧) خمسة عشر رجلاً وبعضهم أقل ، والبكاؤن هم الذين نزلت فيهم آية [قل لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لايجدوا ما ينفقون]

إن أولهم عبيدة بن الحارث بن المطلب على سرية إلى ثنية المرة في ستين أو ثمانين راكبًا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل ثنية المرّة فلقي به جمعًا عظيمًا من قريش فلم يكن منهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذٍ بسهم وكان أول سهم رمي في الأسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية ، وجاء المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة وعتبة بن غزوان ابن جابر الحارثي حليف بني نوفل وكانا مسلمين ولكنهما خرجا فتوصلا بالكفار وكان على القوم عكرمة بن أبي جهل .

وسعد بن أبي وقاص على سرية الخرار وهو ماء من الجحفة فاصاب نعمًا لبني ضمرة فارسلوا الى رسول الله (ص) فردها بالحلف الذي بينهم وبينه .

وحمزة بن عبد المطلب على سرية الى ساحل البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكبًا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد فلقي أبا جهل بن هشام في ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان موادعًا للفريقين جميعًا وانصرف القوم بعضهم عن بعض ولم يكن قتال .

وعبد الله بن جحش بن رئاب على سرية الى نخلة في ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم أحد من الأنصار وكتب له كتابًا وأمره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ننظر فيه فيمضي لما أمره ولا يستكره من أصحابه احدًا فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب ينظر فيه فاذا فيه إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف لترصد بها قريشًا وتعلم أخبارها فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم احد فلما نزل نخلة مرت به عير لقريش تحمل زبيبًا وأدمًا وتجارة فيها عمرو بن الحضرمي فقاتلوه فأسروا منهم رجلين فكانا أول أسير من المشركين وأفلت القوم وأخذوا ما كان معهم فعزل رسول الله (ص) خمس العير وقسم سائرها لأصحابه فكان أول خمس قسم في الاسلام .

ووجه مرثد بن أبي مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب على سرية الى جمع ، وذلك إنه قدم على النبي نفر من ﴿ العضل وديش ﴾ — وهما حيان من الهون بن خزيمة — فقالوا يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا أصحابك يفقهوننا ويقرئوننا القرآن فبعث فيهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن البكير حليف بني عدي وعاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح العمري وزيد بن دثنة البياضي وعبد الله بن طارق الظفري وخبيب بن عدي العمري ، فلما كانوا على ماء يقال له الرجيع لهذيل خرج بعض الناس حتى انتهى إلى هذيل فقال إن هاهنا نفراً من أصحاب محمد هل لكم أن نأخذهم ونسابهم ونبيعهم من قريش فما راع المسلمين إلا الرجال بأيديهم السيوف فقالوا استأسروا فلكم العهد والعقد ولا نقتلكم ولكن نبيعكم من قريش ، فنادى مرثد وهو أمير القوم وعاصم وخالد فصاحوا بالقوم وسلوا سيوفهم وتهيأوا للقتال وأما خبيب وعبد الله وزيد فلانوا وأعطوا بأيديهم فقاتل أصحابهم قتالاً شديداً وقتل مرثد وخالد بن البكير وقاتل عاصم ابن ثابت حتى قتل .

وزيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله (ص) على سرية الى فردة لما انصرف رسول الله « ص » من بدر الصغرى ميعاد أبي سفيان هابت قريش أن يأخذوا طريقهم الى الشام على بدر فتركوا ذلك الطريق وسلكوا طريق العراق فخرج ابو سفيان وأبو العاص ابن الربيع في عير قريش في مال كثير الى الشام فبعث رسول الله [ص] فأصابهم وما فيها وخرج القوم هاربين ابو سفيان واصحابه فسبقوهم فقدم زيد بذلك المال وأسر معاوية بن المغيرة بن ابي العاص جد عبد الملك بن مروان ﴿ وقيل ﴾ إنه قدم به وأقبل أبو العاص بن الربيع حتى دخل المدينة فاستجار بزينب ابنة رسول الله فلما صلى رسول الله (ص) الغداة نادت زينب ألا إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فقال رسول الله (ص) حين انصرف أسمعتم قالوا نعم قال قد أجرت من أجارت ، إن أدنى المؤمنين يجير على أقصاهم ، وقام فدخل (ص) عليها فقال

لا يفوتنك أكرمي مثواه ، ورد عليه ما أخذ له فرجع إلى مكة فرد الى كل ذي حق حقه ثم أسلم ورجع الى رسول الله « ص » فرد عليه زينب بالنكاح الأول .

وأيضاً زيد بن حارثة على سرية الى الجحوم أو الجموم ، فأصاب امرأة من مزينة يقال لها ﴿ حليمة ﴾ فدلتهم على محلة من محال بني سليم فاصابوا في تلك المحلة نعماً وأسارى وكان في اولئك الأسارى زوج حليمة فلما قفل بها وهب رسول الله (ص) المزينية زوجها ونفسهـا .

ومرة أخرى لزيد على جاش الى جذام ، وكان ابن خليفة الكلبي منصرف من عند قيصر مر بأرض جذام فأغار عليه الهنيد بن عارض الجذامي فسلبه ما كان معه وأدركه نفر من المسلمين فاستنقذ ما أخذ منه فدفعوه الى دحية فوجه رسول الله (ص) زيد بن حارثة فسبى وقتل وأخذ الهنيد وابنه فضرب أعناقهما .

ووجه ايضاً زيداً على جيش الى وادي القرى وكانت أم قرفة ابنة ربيعة بن بدر وقد تزوجها مالك بن حذيفة بن بدر - بعثت الى رسول الله [ص] بأربعين رجلا من بطنها وقالت ادخلوا عليه المدينة فبعث رسول الله [ص] زيد بن حارثة في خيل فلقيهم بوادي القرى فهزم وارتث زيد من القتلى فحلف أن لا يغسل ولا يدهن حتى يغزوهم فسأل رسول الله [ص] أن يبعث به اليهم فبعثه في خيل عظيمة فلتقوا بوادي القرى فاقتلوا قتالا شديداً فهزمت بنو فزارة وقتلوا وسبيت يومئذ أم قرفة فقتلها قتلاً عنيفاً شقها بين بكرين وأما ابنتها فوقعت في سهم قيس بن المحسر فاستوهبها رسول الله [ص] منه لخاله حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم فولدت عبد الرحمن بن حزن .

ومرة على جيش الطرف الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسول الله [ص] سار اليهم فاصاب من نعمهم عشرين بعيراً ولم يكن بينهم قتال

والمنذر بن عمرو الأنصاري على سرية الى بئر معونة ، وذلك إن أسد بن معونة قدم على رسول الله (ص) بهدية من قبل عمه أبي براء بن مالك ملاعب الأسنة وأهدى له فرسين ونجائب وكان صديقاً للنبي [ص] فقال رسول الله (ص) والله لا أقبل هدية مشرك ، فقال لبيد بن ربيعة ما كنت أرى أن رجلاً من مضر يرد هدية أبي براء ، فقال لو كنت قابلا من مشرك هدية لقبلتها منه ، قال فانه يستشفيك من دبيلة في بطنه قد غلبت عليه فتناول رسول الله «ص» جبوبة (١) من تراب فأمرها على لسانه ثم دافها بماء ثم سقاه إياه فكأنما أنشط من عقال ، وكان أبو براء سأل رسول الله (ص) أن يبعث اليه بنفر من أصحابه ليفقهوهم في الدين ويبصروهم شرايع الاسلام فقال رسول الله (ص) إني أخاف أن يقتلهم بنو عامر فارسل أبو براء أنهم في جواري فبعث اليه المنذر بن عمرو ونفراً من أصحابه في تسعة وعشرين عامتهم بدري فاغار عليهم عامر بن الطفيل وتابعه ثلاثة أحياء من بني سليم ، رعل وذكوان وعصية فلذلك لعنهم رسول الله (ص) وأقبل عامر الى حرام بن ملحان وهو يقرأ كتاب رسول الله (ص) فطعنه بالرمح فقال الله اكبر فزت بالجنة ، واقتتل القوم قتالا شديداً وكثرتهم بنو سليم فقتلوا من عند آخرهم ما خلا المنذر بن عمرو فانه قال لهم دعوني أصلي على أخي حرام بن ملحان قالوا نعم فصلى عليه ثم أخذ سيفاً وأعنق نحوهم فقاتلهم حتى قتل ، وقال الحارث بن الصمة ما كنت لأرغب بنفسي عن سبيل مضى فيه المنذر والله لأذهبن فلئن ظفر لأظفرن ولئن قتل لأقتلن فذهب وقتل ، واعتق عامر بن الطفيل أسعد بن زيد الديناري عن رقبة كانت على أمه .

وبعث صلى الله عليه وآله وسلم جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة الى البلقاء من أرض الشأم فاصيبوا بمؤتة وقد قدمنا ذكرهم قبل هذا الموضع .

وبعث رسول الله (ص) غالب بن عبد الله الكناني الى بني مدلج وهم حلفاؤه

---

(١) الجبوبة المدرة

وهم الذين قال الله فيهم ﴿ إذ جآءو كم حصرت صدورهم ﴾ فقالوا لسنا عليك ولسنا معك ولم يجيبوه فقال الناس اغزهم يا رسول الله فقال إن لهم سيداً أديبا إن يأخذ إلا خيرة أموره وإنهم إذا نحروا نجوا ، وإذا ابوا عجوا ، رب غاز من بني مدلج شهيد في سبيل الله .

وبعث صلى الله عليه وآله وسلم نميلة بن عبد الله الليثي إلى بني ضمرة فرجع الى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله قالوا لا نحاربه ولا نسالمه ولا نصدقه ولا نكذبه فقال الناس يا رسو الله اغزهم فقال دعوهم فان فيهم عدداً وسؤدداً ورب شيخ صالح من بني ضمرة غاز في سبيل الله .

وبعث [ص] عمرو بن أمية الضمري إلى بني الديل فرجع فقال يا رسول الله أدركتهم فلولا ، وجئتهم حلولا ، دعوتهم إلى الله ورسوله فأبوا أشد الاباء فقال الناس اغزهم يا رسول الله فقال رسول الله (ص) دعوا بني الديل إياكم ألا إن سيدهم قد صلى وأسلم فيقول أسلموا فيقولون نعم .

وبعث رسول الله (ص) عبد الله بن سهيل بن عمرو العامري الى بني معيص ومحارب بن فهر ومن يليهم من السواحل في خمس مائة فلقيهم على المدير فلما واقعهم دعاهم الى الاسلام فجاء معه نفر فقال رسول الله « ص » تهامة قطيعة الايمان كجذع النخل حلو أوله حلو آخره ،

وبعث صلى الله عليه وآله وسلم أبا عبيدة بن الجراح على جيش الى ذات القصة وكان بها قوم من محارب وثعلبة وأنمار فخرج أبو عبيدة وأصحابه يسيرون ليلتهم حتى أصبحوا فلما أبصر القوم بهم هربوا وخلفوا إبلهم فغنموا الأموال وأخذوا رجلا واحداً فأتوا به رسول الله فخمس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخذ الخمس وفرق الباقي على أصحاب السرية وأسلم الرجل فتركه .

وعمر بن الخطاب على جيش الى زبية قريبة من الطائف فلم يلق كيداً .

وعلي بن أبي طالب عليه السلام على جيش إلى فدك وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن بها جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر فسار علي بن أبي طالب (ع) الليل وكمن النهار حتى صبحهم فقتلهم .

وأبو العوجاء السلمي على سرية فاستشهد كل من كان في السرية فلم ينصرف منهم أحد

وعكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي — أسد بن خزيمة — على سرية الى الغمرة .

وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومي الى قطن .

ومحمد بن مسلمة الأنصاري أخو بني حارثة على جيش الى القرطاء من هوازن .

وبشير بن سعد الأنصاري على سرية إلى فدك فاصيب أصحابه جميعاً ولم يرجع منهم أحد ، ثم بعث اليهم غالب بن عبد الله الليثي فجاء بمرداس بن نهيك الفدكي .

ومرة أخرى الى فروحان من أرض خيبر .

وعبد الله بن رواحة الأنصاري على سرية الى خيبر مرتين إحداهما الى أصحاب اليسير بن رزام اليهودي وأصحابه وكان يجمع غطفان لغزو رسول الله (ص) .

وعبد الله بن أنيس الأنصاري إلى خالد بن سفيان بن نبيح وكان يجمع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس ليغزوه فقتله ﴿ ويقال ﴾ لم تكن سرية إنما كان وحده

وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري على جيش الى بلعنبر فأصابهم وهم خلوف فجاء بسبايهم وطرحهم في المسجد فركب اليه رجالاتهم فلما دخلوا المسجد صاحوا يا محمد أخرج إلينا وكان فيهم بسامة بن الأعور وسمرة بن عمرو قال الله عز وجل ﴿ ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم ﴾ فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه وطلبوا اليه أن يحكم سمرة بن جندب وأن يهب لهم ثلثاً ويؤخر ثلثاً ويأخذ ثلثاً فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من أراد أن يعتق من ولد اسماعيل فليعتق من هؤلاء .

وكعب بن عمير الأنصاري على سرية الى ذات أطلاح ويقال الى ذات أباطح فاستشهدوا جميعاً ولم يرجع من السرية أحد .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن العاص على جيش الى ذات السلاسل من أرض الشأم وبها ناس من بني عذرة وبلي وقبائل من اليمن ، وكان معه ابو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وأعطاه مالاً وقال استنفر من قدرت عليه فلما شارف القوم نهاهم أن لا يوقدوا ناراً فشق ذلك على المسلمين لشدة القر فقال قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تسمعوا لي وتطيعوا فكلموا أبا بكر في ذلك فاتى عمراً فلم يأذن له فصاح به أبو بكر يا بن بياعة العباء اخرج إلي فابى قال يا بن دباغة القرظ اخرج إلي فابى فلما كان في السحر أغار عليهم فأصاب وظفر فقال لأبي بكر كيف رأيت رأي ابن بياعة العباء وصلى عمرو بن العاص بالناس وهو جنب فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره ابو عبيدة بن الجراح فقال عمرو يا رسول الله كان البرد شديداً ولو اغتسلت لمت فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وعبد الله بن أبي حدرد الأسلمي على سرية الى إضم فاقي عامر بن الأضبط الأشجعي فحمل عليه محلم بن جثامة بن قيس فطعنه فخاصمه عيينة بن حصن الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بديته فعجل نصفاً وأخر نصفاً فقام اليه محلم بن قيس فقال يا رسول الله استغفر لي قال قتلت مسلماً لعنك الله فما لبث بعدها إلا خمساً حتى مات .

وعبد الرحمن بن عوف على سرية الى كلب وعممه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعمامة سوداء وأسدلها بين يديه ومن خلفه وقال هكذا فاعتم فانه أشبه وأعرف وأمره إن فتح الله عليه أن يزوجه ابنة سيدهم ففتح الله عليه فتزوج تماضر بنت الأصبغ التي صولحت عن ربع الثمن بثمانين الف دينار .

وأمر صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام حين خرج الى

تبوك (. . « ١ » . .) وكان المهاجر ابن أمية أميره على صنعاء ، وزياد بن لبيد البياضي على حضرموت وصدقاتها ، وعدي بن حاتم على صدقات طيء ، ومالك بن نويرة اليربوعي على صدقات حنظلة ، والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم على صدقات بني سعد ، وعلي بن أبي طالب (ع) الى أهل نجران بجمع صدقاتهم وأخذ جزيتهم وخالد بن الوليد على سرية إلى دومة الجندل ، وعتاب بن أسيد بن أبي أمية على مكة وأبو سفيان بن حرب على نجران ، ويزيد بن أبي سفيان على تيماء ، وخالد بن سعيد ابن العاص بن أمية على صنعاء فقبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو عليها ، وعمرو ابن سعيد بن العاص بن أمية على قرى عربية ، وأبان بن سعيد بن العاص بن أمية على الخط بالبحرين ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط الى بني المصطلق ـ وكذب عليهم وقد جئنا بحديثه في غزاة بني المصطلق ـ والعلاء حليف سعيد بن العاص على القطيف بالبحرين ، ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي على الغنائم ، وأبو رهم الغفاري أميره على المدينة حين غزا خيبر [ويقال] أبو رهم كلثوم بن الحصين الغفاري وأبو رهم الغفاري ايضاً على المدينة في غزاة الفتح وأميره على الموسم والناس بعد على الشرك عتاب بن أسيد فوقف عتاب بالمسلمين ووقف المشركون على حدتهم ، وأبو بكر أميره على الموسم في سنة تسع وبعض الناس مشركون فوقف ابو بكر بالمسلمين ووقف المشركون ناحية على مواقفهم ، وفي تلك السنة وجّه

« ١ » بياض في الأصل ، وقد ذكر ابن الأثير في الكامل (ج ٢ ص ١٠٦) [أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — حين خرج الى تبوك — استخلف على أهله بالمدينة علي بن أبي طالب (ع) فارجف به المنافقون وقالوا ماخلفه إلا استثقالاله فلما سمع علي ذلك أخذ سلاحه ولحق برسول الله (ص) فاخبره ما قال المنافقون فقال صلى الله عليه وآله وسلم كذبوا وإنما خلفتك لما ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك. أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فرجع] وذكر مثله ابن عساكر في التاريخ (ج ١ ص ١٠٧) [م . ص

علي بن أبي طالب عليه السلام بسورة براءة فأخذها من أبي بكر فقال ابو بكر يا رسول الله هل نزل في شيء فقال لا ولكن جبريل قال لي لا يبلغ هذا إلا أنت أو رجل من أهلك فقرأها على أهل مكة ﴿ ويقال ﴾ قرأها على سقاية زمزم وأمن فنادى إن من كان له عهد من رسول الله في تأجيله أربعة اشهر فهو على عهده ومن لم يكن له عنده عهده فقد أجله خمسين ليلة .

وأميره على صلاة وفد ثقيف عثمان بن أبي العاص الثقفي ، ومعاذ بن جبل على بعض اليمن ، وعلى المقاسم يوم بدر محمية بن جزء بن عبد يغوث الزبيدى حليف بني جمح ، وأسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جيش الى ناحية الشأم فانفذه أبو بكر بعد وفاة رسول الله [ص] وكان ابو بكر وعمر في الجيش وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا بعث السرايا والجيوش قال اغزوا بسم الله في سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً .

ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الملوك يدعوهم الى الاسلام فوجه عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى وكتب اليه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله الى الناس كافة « لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين » فاسلم تسلم فان أبيت فان عليك آثام المجوس ﴾

وكتب اليه كسرى كتاباً جعله بين سرقتي حرير وجعل فيهما مسكاً فلما دفعه الرسول الى النبي فتحه فأخذ قبضة من المسك فشمه وناوله أصحابه وقال لا حاجة لنا في هذا الحرير ليس من لباسنا وقال : لتدخلن في امري أو لآتينك بنفسي ومن معي وأمر الله أسرع من ذلك فأما كتابك فانا أعلم به منك فيه كذا وكذا ، ولم يفتحه ولم يقرأه ورجع الرسول الى كسرى فاخبره ﴿ وقد قيل ﴾ ان كسرى لما وصل اليه الكتاب وكان « ..... » ذراع أدم قده شتورا فقال رسول الله [ص]

يمزق الله ملكهم كل ممزق .

ووجه دحية بن خليفة الكلبي الى قيصر وكتب اليه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بداعية الاسلام فاسلم تسلم ويؤتك الله أجرك مرتين « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » فان توليت فان عليك إثم الأريسيين ﴾ .

فكتب هرقل « إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى من قيصر ملك الروم أنه جاءني كتابك مع رسولك وإني أشهد أنك رسول الله نجدك عندنا في الانجيل بشرنا بك عيسى بن مريم وإني دعوت الروم الى أن يؤمنوا بك فابوا ولو أطاعوني لكان خيراً لهم ولوددت أني عندك فاخدمك وأغسل قدميك » فقال رسول الله (ص) يبقى ملكهم ما بقي كتابي عندهم .

ووجه عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ، وشجاع بن وهب الى الحارث بن أبي شمر الغساني ، وحاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية ، وجرير ابن عبد الله البجلي الى ذي الكلاع الحميري ، والعلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى من بني تميم بالبحرين ، وعمار بن ياسر الى الأيهم بن النعمان الغساني ، وسليط بن عمرو بن عبد شمس العامري الى ابني هوذة بن علي الحنفي باليمامة ، والمهاجر بن أبي أمية الى الحارث بن عبد كلال الحميري ، وخالد بن الوليد الي الديان وبني قنان ، وعمرو بن العاص الى جيفر ، وعباد بن الجلندى الى عمان ، وكتب اليهم جميعاً بمثل ما كتب به الى كسرى وقيصر وسليم بن عمرو الأنصاري الى حضرموت ، وبعث قوماً من أصحابه في قتل قوم من المشركين ، فوجه عمرو بن أمية الضمري لقتل أبي سفيان بن حرب فلم يقتله ، وبعث محمد بن مسلمة وأبا نائلة سلكان بن سلامة وعباد بن بشر وأبا عبس بن جبر والحارث

ابن أوس في قتل كعب بن الأشرف اليهودي فقتلوه في النضير ، وبعث عبد الله بن رواحة الى اليسير بن رزام اليهودي الخيبري فقتله ، وبعث عبد الله بن عتيك وأبا قتادة بن ربعي وخزاعي بن الأسود ومسعود بن سنان وابن عتيك أميرهم ، في قتل سلام بن أبي الحقيق فقتلوه بخيبر ، وبعث في قتل ابن أبي جذعة وقال للموجه إن أدركته حياً فاقتله وأحرقه بالنار فأصابه قد لسعته حية فمات ، وبعث عبد الله بن أبي حدرد في قتل رفاعة بن قيس الجشمي فقتله ، وبعث علي بن أبي طالب عليه السلام في قتل معاوية ابن المغيرة بن أبي العاص بن أمية فقتله .

وفود العرب الذين قدموا على رسول الله « ص » .

وقدمت عليه وفود العرب ولكل قبيلة رئيس يتقدمهم فقدمت مزينة ورئيسهم خزاعي بن عبد نهم ، وأشجع ورئيسهم عبد الله بن مالك ، وأسلم ورئيسهم بريدة وسليم ورئيسهم وقاص بن قمامة ، وبنو ليث ورئيسهم الصعب بن جثامة . وفزارة ورئيسهم عيينة بن حصن ، وبنو بكر ورئيسهم عدي بن شراحيل . وطيء ورئيسهم عدي بن حاتم ، وبجيلة ورئيسهم قيس بن غربة ، والأزد ورئيسهم صرد بن عبد الله وخثعم ورئيسهم عميس بن عمرو ، ووفد نفر من طيء ورئيسهم زيد بن مهلهل وهو زيد الخيل ، وبنو شيبان « .... » وعبد القيس ورئيسهم الأشج العصري ثم وفد الجارود بن المعلى فولاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قومه : وأوفدت ملوك حمير باسلامهم وفوداً وهم الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين ، وكتبوا اليه باسلامهم فبعث اليهم معاذ بن جبل وعكل ورئيسها خزيمة ابن عاصم ، وجذام ورئيسها فروة بن عمرو ، وحضرموت ورئيسها وائل بن حجر الحضرمي ، والضباب ورئيسها ذو الجوشن ، وبنو أسد ورئيسها ضرار بن الأزور ﴿ وقيل ﴾ نقادة بن العايف ، وعامر بن الطفيل في بني عامر فرجع ولم يسلم ، وأربد ابن قيس رجع ولم يسلم ، وبنو الحارث بن كعب رئيسهم يزيد بن عبد المدان ، وبنو

وعليهم عطارد بن حاجب ، والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم ومالك بن نويرة ، وبنونهد وعليهم ابو ليلى خالد بن الصعب ، وكنانة ورئيسهم قطن وأنس ابنا حارثة من بني عليم ، وهمدان ورئيسهم مسلمة بن هزان الحداني ، وباهلة ورئيسهم مطرف ابن كاهن الباهلي ، وبنو حنيفة ومعهم مسيلمة بن حبيب الحنفي ومراد ، ورئيسهم فروة بن مسيك ، ومهرة ورئيسهم مهري بن الأبيض .

كتاب النبي (ص)

وكتب صلى الله عليه وآله وسلم الى رؤساء القبائل يدعوهم الى الاسلام ، وكان كتابه الذين يكتبون الوحي والكتب والعهود علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعمرو ابن العاص بن أمية ومعاويه بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح والمغيرة بن شعبة ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وحنظلة بن الربيع وأبي بن كعب وجهيم بن الصلت والحصين النميري .

وكتب صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل اليمن « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله إلى أهل اليمن فاني أحمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو وقع بنا رسولكم مقدمنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلغنا ما أرسلتم به وأخبرنا ما كان قبلكم ونبأنا باسلامكم وأن الله قد هداكم أن اصلحتم واطعتم الله واطعتم رسوله وقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي والصفي ، وما على المؤمنين من الصدقة عشر ما سقى البعل وسقت السماء ، وما سقي بالقرب نصف العشر وإن في الابل من الأربعين حقة قد استحقت الرحل وهي جدعة ، وفي الخمس والعشرين ابن مخاض ، وفي كل ثلاثين من الابل ابن لبون ، وفي كل عشرين من الابل أربع شياه ، وفي كل أربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبيع ذكر او جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم شاة فانها فريضة الله الذي افترض على المؤمنين ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، فمن أعطى ذلك وأشهد على اسلامه وظاهر المؤمنين على الكافرين

فانه من المؤمنين له ذمة الله وذمة رسوله محمد رسول الله ، وأنه من أسلم من يهودي او نصراني فانه من المؤمنين له مثل مالهم وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانتيه فانه لا يغير عنها وعليه الجزية في كل حالم من ذكر او أنثى حر او عبد دينار واف من قيمة المعافري أو عرضه فمن أدى ذلك الى رسول الله فان له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه فانه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين وأن رسول الله مولى غنيكم وفقيركم وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا أهله انما هي زكاة تؤدونها الى فقراء المؤمنين في سبيل الله وأن مالك بن مرارة قد أبلغ الخبر وحفظ الغيب فآمركم به خيراً ، إني قد أرسلت اليكم من صالحي أهلي وأولى كتابهم وأولى علمهم فامركم به خيراً فانه منظور اليه والسلام ﴾ وكان الرسول بالكتاب معاذ بن جبل .

وكتب إلى همدان ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله الى عمير ذي مران ومن أسلم من همدان سلم انتم فاني أحمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد ذلك فانه بلغني إسلامكم مرجعنا من أرض الروم فابشروا فان الله قد هداكم بهداه وإنكم إذا شهدتم أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فان لكم ذمة الله وذمة رسوله على دمائكم وأموالكم وأرض البور التي أسلمتم عليها سهلها وجبلها وعيونها وفروعها غير مظلومين ولا مضيق عليكم ، وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته إنما هي زكاة تزكونها عن اموالكم لفقراء المسلمين ، وان مالك بن مرارة الرهاوي قد حفظ الغيب وبلغ الخبر فآمركم به خيراً فانه منظور اليه ﴾ وكتب علي بن ابي طالب .

وكتب الى نجران ﴿ بسم الله من محمد رسول الله الى اسقفه نجران بسم الله فاني احمد اليكم إله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب اما بعد ذلكم فاني ادعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد وادعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد فان ابيتم فالجزية وإن ابيتم آذنتكم بحرب والسلام ﴾ .

وكتب إلى أهل هجر ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى أهل هجر سلم أنتم فاني أحمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فاني أوصيكم بالله وأنفسكم أن لا تضلوا بعد إذ هديتم ولا تغووا بعد إذ رشدتم أما بعد ذلكم فانه قد جاء ني وفدكم فلم آت فيهم إلا ما سرّهم وإني لو جهدت حقي كله فيكم أخرجتكم من هجر فشفعت شاهدكم ومننت على غائبكم ، اذكروا نعمة الله عليكم أما بعد فانه قد أتاني ما صنعتم وأن من يحمل منكم لا يحمل عليه ذنب المسيء فاذا جاءكم امراؤكم فاطيعوهم وانصروهم على أمر الله وفي سبيله فانه من يعمل منكم عملاً صالحاً فلن يضل له عند الله ولا عندي أما بعد يا منذر بن ساوى فقد حمدك لي رسولي وأنا ان شاء الله مثيبك على عملك ﴾ .

وقدم اليه أهل نجران ورئيسهم ابو حارثة الأسقف ومعه العاقب والسيد وعبد المسيح وكوز وقيس والأيهم ، فوردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما دخلوا أظهروا الدباج والصلب ودخلوا بهيئة لم يدخل بها أحد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعوهم فلقوا رسول الله صدارسود يومهم وساءلوه ما شاء الله فقال ابو حارثة يا محمد ما تقول في المسيح قال هو عبد الله ورسوله ، فقال تعالى الله عما تقول يا ابا القاسم هو كذا وكذا ونزل فيهم ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ﴾ إلى قوله ﴿ فمن حآجك فيه من بعد ما جآءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنآءنا وأبنآءكم ونسآءنا ونسآءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ فرضوا بالمباهلة فلما أصبحوا قال ابو حارثة أنظروا من جاء معه وغدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخذاً بيد الحسن والحسين عليهما السلام تتبعه فاطمة وعلي بن أبي طالب (ع) بين يديه وغدا العاقب والسيد بابنين لهما عليهما الدر والحلي وقد حفوا بابي حارثة فقال ابو حارثة من هؤلاء معه قالوا هذا ابن عمه وهذه ابنته وهذان ابناها فجثا رسول الله (ص) على ركبتيه ثم ركع فقال ابو حارثة جثا والله

كما تجثو النبيون للمباهلة ، فقال له السيد أدن يا أبا حارثة للمباهلة فقال إني أرى رجلاً حريًا على المباهلة وإني أخاف أن يكون صادقًا فان كان صادقًا لم يحل الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الطعام ، قال ابو حارثة يا أبا القاسم لا نباهلك ولكننا نعطيك الجزية فصالحهم رسول الله على الفي حلة من حلل الأواقي قيمة كل حلة اربعون درهمًا فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك ، وكتب لهم رسول الله كتابًا « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من النبي محمد رسول الله لنجران وحاشيتها إذ كان له عليهم حكمه في كل بيضاء وصفراء وثمرة ورقيق كان أفضل ذلك كله لهم غير الفي حلة من حلل الأواقي قيمة كل حلة اربعون درهمًا فما زاد أو نقص فعلى هذا الحساب ، الف في صفر والف في رجب ، وعليهم ثلاثون دينارًا مثواة رسلي شهرًا فما فوق ، وعليهم في كل حرب كانت باليمن دروع عارية مضمونة لهم بذلك جوار الله وذمة محمد ، فمن اكل الربا منهم بعد عامهم هذا فذمتي منه بريئة » فقال العاقب يا رسول الله إنا نخاف أن تأخذنا بجناية غيرنا قال فكتب ، ولا يؤخذ أحد بجناية غيره ، شهد على ذلك عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، وكتب علي بن أبي طالب ، فلما قدموا نجران أسلم الأيهم وأقبل مسلمًا .

أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وتزوج إحدى وعشرين امرأة « وقيل » ثلاثًا وعشرين ، دخل ببعضهن وطلق بعضًا ولم يدخل ببعض ، واللاتي دخل بهن أولهن « خديجة » ابنة خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وولدت أولاده أجمعين خلا ابراهيم ولم يتزوج عليها حتى ماتت .

ثم « سودة » بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لوي ، تزوجها بمكة .

ثم « عائشة » بنت ابي بكر بن ابي قحافة ، تزوجها ودخل بها بالمدينة .

ثم ﴿ غزية ﴾ بنت دودان بن عوف بن جابر بن ضباب من بني عامر بن لوي وهي أم شريك التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم ﴿ حفصة ﴾ بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى العدوي .

ثم ﴿ زينب ﴾ بنت خزيمة بن الحارث من بني عامر بن صعصعة ، وهى أم المساكين ولم تمت من نسائه عنده غيرها وغير خديجة .

ثمّ ﴿ أم حبيبة ﴾ بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

ثم ﴿ زينب ﴾ بنت جحش بن رئاب بن قيس بن يعمر بن صبرة من بني أسد بن خزيمة .

ثم ﴿ أم سلمة ﴾ بنت أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .

ثم ﴿ جويرية ﴾ واسمها « برّة » بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية من خزاعة

ثم ﴿ صفية ﴾ بنت حيي بن اخطب من بني النجار من سبط هارون النبي .

ثم ﴿ ميمونة ﴾ بنت الحارث بن حزن بن بجير الهلالي .

ثم ﴿ مارية ﴾ أم ابراهيم .

هؤلاء اللاتي دخل بهن طلق منهن أم شريك وأرجأ منهن سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة وميمونة ، وآوى عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة ،

والنسوة اللاتي لم يدخل بهن ﴿ خولة ﴾ بنت الهذيل بن هبيرة التغلبية ، هلكت في الطريق قبل وصولها اليه ﴿ وشراف ﴾ أخت دحية بن خليفة الكلبي ، حملت اليه فهلكت قبل دخولها عليه ﴿ وسنا ﴾ بنت الصلت بن حبيب بن حارثة السلمي ماتت قبل أن تصل اليه ﴿ وريحانة ﴾ بنت شمعون القريظية ، عرض عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاسلام فأبت إلا اليهودية فعزلها ثم أسلمت بعد فعرض عليها التزويج فاجابت وضرب الحجاب فقالت بل تتركني في ملكك يا رسول الله فلم تزل في ملكه حتى قبض ﴿ وأسماء ﴾ بنت النعمان الكندي من بني آكل المرار

كانت من أجمل نسائه وأشبهن فقلن لها نساؤه إن أردت أن تحظي عنده فتعوذي بالله إذا دخلت عليه ، فلما دخل وأرخى الستر قالت أعوذ بالله منك فصرف وجهه عنها ثم قال أمن عائذ الله إلحقي باهلك ، فخلف على أسماء بنت النعمان الكندي المهاجر ابن أمية المخزومي ، ثم خلف عليها بعد المهاجر قيس بن مكشوح المرادي ﴿ وقتيلة ﴾ بنت قيس بن معدي كرب ، وهي أخت الأشعث بن قيس بن فلان (١) قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل خروجها اليه من اليمن فخلف عليها عكرمة بن أبي جهل ﴿ وعمرة ﴾ بنت يزيد بن عبيد بن رواس الكلابي ، بلغه أن بها بياضاً فطلقها ولم يدخل بها ﴿ والعالية ﴾ بنت ظبيان بن عمرو الكلابي طلقها ﴿ والجونية ﴾ امرأة من كندة وليست بأسماء كان ابو أسيد الساعدي قدم بهـا عليه فوليت عائشة وحفصة مشطها وإصلاح أمرها فقالت إحداهما لها إن رسول الله يعجبه من المرأة إذا دخل عليها ومد يده اليها أن قالت أعوذ بالله منك ففعلت ذلك فوضع يده على وجهه واستتر بها وقال عذت فعاذت (٢) ثلاث مرات ثم خرج وامر أبا أسيد الساعدي أن يمتعها برازقيتين ويلحقها باهلها فزعموا انها ماتت كمداً ﴿ وليلى ﴾ بنت الحطيم الأوسي أتته وهو غافل فخطأت منكبه فقال من هذا اكله الأسود قالت انا بنت الحطيم وابي مطعم الطير وقد جئتك اعرض نفسي عليك ، قال قد قبلتك فاتت نساءها فقلن لها بئس ما صنعت انت امرأة غيور ورسول الله كثير الضرائر إنا نخاف ان تغاري فيدعو عليك فتهلكي إستقيليه فاتته فاستقالته فاقالها فدخلت حائطاً من حيطان المدينة فاكلها الأسود ﴿ وصفية ﴾ بنت بشامة العنبرية ، عرض عليها المقام عنده اوردها إلى اهلها فاختارت أهلها فردها ﴿ وضباعة ﴾ بنت عامر القيسية كانت عند عبد الله

(١) فلان — هو معدي كرب .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الصحيح [عذت بمعاذ] كما في نهاية ابن الأثير وغيرها .

ابن جدعان فطلقها ثم تزوجها هشام بن المغيرة فاولدها سلمة فخطبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى سلمة فقال استأمرها فقالت أفي رسول الله تستأمر رضيت فبلغه عنها كبر فأمسك عنها .

مولد ابراهيم ابن رسول الله « ص »

وولد إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمه مارية القبطية في ذي الحجة سنة ثمان ولما ولد هبط جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال السلام عليك يا أبا ابراهيم وتنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه فدفعه رسول الله (ص) الى أم بردة بنت المنذر بن زيد من بني النجار ، وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكبش ، وكانت قابلته سلمى مولاة رسول الله امرأة أبي رافع فجاء ابو رافع الى رسول الله فاخبره فوهب له عبداً وغارت نساء رسول الله واشتد عليهن حيث رزق منها ولداً ﴿ فروى ﴾ الزهري عن عروة عن عائشة قالت دخل عليَّ رسول الله ومعه ابنه ابراهيم يحمله فقال انظري إلى شبهه بي ، قالت عائشة أرى شبهها قال أما ترين بياضه ولحمه قالت من قصر عليه اللقاح أبيض وسمن [وتوفي] ابراهيم في سنة عشر وله سنة وعشرة أشهر وكسفت الشمس ساعتين من النهار فقال الناس كسفت لموت ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم فافزعوا الى مساجدكم ، وقال (ص) إن العين تدمع والقلب يخشع وإنا بك يا ابراهيم لمحزونون ولكنا لا نقول ما يسخط الرب .

وأعتق صلى الله عليه وآله وسلم جماعة عبيداً وإماءً منهم زيد بن حارثة بن شراحيل . وأسامة بن زيد ، وابو رافع — قبطي أهداه له المقوقس — وأنسة وكان حبشياً ، وابو كبشة وكان فارسياً ، وأبو لبابة ، وابو لقيط ، وابو أيمن وابو هند ، ورافع ، وسفينة ، وثوبان ، وصالح (وهو شقران) وأم أيمن حبشية كان ابو طالب خلفها عليه واسمها « بركة » ويقال « خضرة » ويقال إنه ورثها

عن أبيه وكان يسمي كل شي له .

وكانت رايته صلى الله عليه وآله وسلم العقاب وكانت سوداء على عمل الطيلسان وكان له سيف يقال له المخذم وسيف يقال له الرسوب ، وسيفه الذي يلزمه ذوالفقار « وقد روي » أن جبريل نزل به من السماء فكان طوله سبعة أشبار وعرضه شبر وفي وسطه كال (١)

وكانت عليه (ص) قبيعة فضة وفيه حلقتان فضة ورمحه المثوي (٢) وحربته العنزة وكان يمشي بها في الأعياد بين يديه ويقول هكذا أخلاق السنن ، وقوسه الكتوم ، وكنانته الكافور . ونبله المتصله ، وترسه الزلوق ، ومغفره السبوغ ودرعه ذات الفضول وفيها زردتان زائدتان ، وفرسه السكب ، وفرس آخر المرتجز وفرس آخر السجل ، وفرس آخر البحر .

وأجرى (ص) الخيل فجاء فرسه سابقاً فجثا على ركبتيه وقال ما هو إلا البحر وكان يقول « الخيل في نواصيها الخير » وكانت له ناقة يقال لها القصوى ، وناقة يقال لها العضباء . وناقة يقال لها الجدعاء .

وسابق صلى الله عليه وآله وسلم بالابل فجاءت ناقته العضباء سابقة وعليها أسامة ابن زيد فقال الناس سبق رسول الله . فقال رسول الله (ص) سبق أسامة .

وكانت بغلته الشهباء يقال لها [الدلدل] أهداها له المقوقس . وبغلة أخرى طويلة مرتفعة يقال لها « الايلية » وحماره اليعفور .

وكانت له شاة يشرب من لبنها يقال لها « غيثة » وقدح يقال له « الريان »

---

(١) كذا في الأصل . ولعل الصحيح « فقار » وفي النهاية لابن الأثير بمادة [فقر] إنه كان اسم سيف النبي (ص) ذا الفقار لأنه كان فيه حفر صغار

(٢) في الحديث ، إن رمح النبي (ص) كان اسمه المثوي — بصيغة اسم الفاعل - - سمي به لأنه يثبت المطعون به من الثوى الاقامة (نهاية ابن الأثير)

وقدح يقال له العير ، وقضيب يقال له الممشوق ، وجبة يقال لها الكن ، وعمامة سوداء يقال لها السحاب [وذكر ابوالبختري] أنه كان له منطقة من أدم مبشورة فيها إبزيم وثلاث حلقات كالفلك من فضة فانه كان يلبس برود الحبر أزراً أو أردية البيضاء ، والقلنسوة الحبر ، والجبة السندس الخضراء ، وليس بالذي عنَّ عن لبسها فما لبس الصوف حتى قبضه الله اليه .

وكان له فراش أدم ، وكان يلبس للملحفة المصبوغة بالزعفران والورس ويلبس الازار الواحد يعقده بين كتفيه .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتطيب حتى يصبغ الطيب رداءه من موضع رأسه وحتى يرى وميض المسك من مفرقه ، وحتى يعرف مجيئه بطيب رائحته من بعيد قبل ان يرى ، وكان يقول أطيب الطيب المسك ، وكان لا يعرض عليه طيب إلا تطيب منه .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد الخروج من منزله امتشط وسوى جمته وأصلح شعره ، وكان يقول إن الله يحب من عبده أن يكون له حسن الهيئة [ويروى] أنه كان يلبس البرنس والشملة ، وكان له ثوبان ، وكان يلبس الخاتم ويصير فضة فصه مما يلي الكف ونلبسه في اليد اليمنى واليد اليسرى ويضعه في إصبعه الوسطى في المفصل ويديره في أصابع يده .

خطب رسول الله (ص) ومواعظه وتأديبه بالاخلاق الشريفة

وكان يخطب أصحابه ويعظهم ويعلمهم محاسن الأخلاق ومكارم الأفعال [خطب] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال في خطبته : أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم . وإن المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى ولا يدري ما الله صانع فيه وأجل قد بقي ما يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه . ومن دنياه لآخرته . في الشبيبة قبل الكبر . وفي

الحياة قبل الممات . فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ﴿ وخطب ﴾ يوماً فقال في خطبته إن الله ليس بينه وبين أحد قرابة يعطيه بها خيراً ولا حق يصرف به سوءاً إلا بطاعته واتباع مرضاته واجتناب سخطه . إن الله تبارك وتعالى على إرادته ولو كره الخلق ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ﴿ تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان . واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ ﴿ وخطب ﴾ رسول الله (ص) فقال في خطبته . طوبى لعبد طاب كسبه . وحسنت خليقته . وصلحت سريرته . وأنفق الفضل من ماله وترك الفضول من قوله . وكف عن الناس شره . وانصفهم من نفسه . يا من عرف الله خاف الله . ومن خاف الله شحت نفسه عن الدنيا ﴿ وخطب « ص » ﴾ يوماً فقال في خطبته : اذكروا الموت فانه آخذ بنواصيكم إن فررتم منه أدرككم وان أقمتم أخذكم (. . . .) لاحين بعده ابداً . وفرقة لا الفة بعدها . وان العبد لا تزول قدماه يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله مما اكتسبه . وفيما انفقه . وعن امامه من هو . قال الله عز وجل [يوم ندعو كل أناس بامامهم] الى آخر الآية ﴿ وقال (ص) ﴾ من نظر في دينه الى من هو فوقه فاقتدى به . ونظر في دنياه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به . كتبه الله شاكراً وصابراً . ومن نظر في دينه الى من هو دونه . ونظر في دنياه الى من هو فوقه . فأسف على ما فضله الله لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً ﴿ وقال « ص » ﴾ من أعطي قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وبدناً صابراً وزوجة صالحة فقد أعطي الدنيا والآخرة ﴿ وقال [ص] ﴾ الرغبة في الدنيا تورث الهم والحزن . والزهد فيها يريح القلب والبدن ﴿ وقال (ص) ﴾ السعادة في اثنين الطاعة والتقوى [وقال صلى الله عليه وآله وسلم] قول الله عز وجل حسب عبدي المؤمن حفظة بدنه في ضميره وصدق ورع نيته حتى أجعل يومه عملاً وصمته ذكراً ﴿ وقال (ص) ﴾ من

أي الناس بذا يحبون ويارز الله بما يكره لقي الله وهو عليه غضبان آسف ﴿ وقال ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبله جميعًا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه أمركم ويكره لكم قالا وقيلا ويكره السؤال وإضاعة المال [وقال] صلى الله عليه وآله وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وإن مالك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت [وقال « ص »] الدنيا حلوة خضرة والله مستعملكم فيها ، فانظروا كيف تعملون ﴿ وقال ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا الموطؤن أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون (١) وقال له رجل أوصني يا رسول الله ﴿ فقال ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم أكثر ذكر الموت يسلك عن الدنيا ، وعليك بالشكر يزاد في النعمة ، وأكثر الدعاء فانك لا تدري متى يستجاب لك ، وإياك والبغي فإن الله عز وجل قضى أن لا ينصر من بغى عليه ، وإياك والمكر فإن الله قضى أن لا يحيق المكر السيء إلا بأهله [وقيل] له أي الأعمال أفضل ﴿ فقال ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم اجتناب المحارم وأن لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله عز وجل [قيل] فأي الأصحاب أفضل ﴿ قال ص ﴾ الذي إذا نسيت ذكرك ، وإذا دعوت أعانك [قيل] أي الناس شر ﴿ قال ﴾ العلماء إذا فسدوا (وقال) إذا ساد القبيل فسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل الذي اتقي شره فانتظروا البلاء ﴿ وقال [ص] ﴾ من ذب عن لحم أخيه بظهر الغيب كان حقًا على الله أن يحرم لحمه على النار ﴿ وقال [ص] ﴾ يقول الله تبارك وتعالى يا بن آدم بمشيئتي كنت أنت تشاء لنفسك ما تشاء ، وبإرادتي كنت

(١) المتفيهقون هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به افواههم ، مأخوذ من الفهق وهو الامتلاء والاتساع . (نهاية ابن الأثير)

تريد لنفسك ما تريد ، وبقوتي أديت فريضتي ، وبنعمتي قويت على معصيتي ، فأنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني بذلك ، وإني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون ﴿ وقال ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم إن الله فرض على الأغنياء ما يكفي الفقراء فان جاع الفقراء كان حقيقاً على الله أن يحاسب أغنياءهم ويكبهم في نار جهنم على وجوههم (وقال « ص ») يقول الله عز وجل إني لم أغن الغني لكرامة به علي ولكنه مما ابتليت به الأغنياء ولولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنة (وقال) صلى الله عليه وآله وسلم أربع من أتى الله عز وجل بواحدة منهن وجبت له الجنة ، من سقى هامة صادية ، أو أطعم كبداً جائعة ، أو كسا جلدة عارية ، أو أعتق رقبة عانية (وقال « ص ») كل عين ساهرة يوم القيامة إلا ثلاث عيون عين سهرت في سبيل الله وعين غضت عن محارم الله ، وعين فاضت من خشية الله (وقال « ص ») يقول الله عز وجل عبدي إذا صليت ما افترضت عليك فانت أعبد الناس وإذا قنعت بما رزقتك فأنت أغنى الناس .

وجمع صلى الله عليه وآله وسلم بني عبدالمطلب فقال يا بني عبدالمطلب أفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وتهجدوا والناس نيام ، وأطعموا الطعام . وأطيبوا الكلام ، تدخلوا الجنة بسلام ﴿ وقال ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم أربعة من كنوز البر كتمان الحاجة وكتمان الصدقة ، وكتمان الوجع ، وكتمان المصيبة ﴿ وقال (ص) ﴾ أقربكم مني غداً في الموقف أصدقكم في الحديث وآداكم للأمانة وأوفاكم بالعهد وأحسنكم خلقاً وأقربكم من الناس (وقال) الابقاء على العمل أشد من العمل إن الرجل ليعمل في السر فلا يزال به الشيطان حتى يحدث به أو يظهره فيسبح في العلانية فيكتب في الرياء (وقال) ان علامة النفاق جمود العبرة وقساوة القلب والاصرار على الذنب والحرص على الدنيا (وقال) السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار (وقال)

العبد اذا استوت سريرته وعلانيته قال الله عز وجل عبدي حقاً (وقال) المؤمن من خلط حلمه بعلمه ينطق ليفهم ويجلس ليعلم ويصمت ليسلم ويحدث أمانته الأصدقاء ويكتم شهادته الأعداء ولا يعمل شيئاً من الحق رياء ولا يتركه حياء حتى اذا زكي خاف ما يقولون فاستغفر مما لا يعلمون ، والمنافق لا يغيره قول من ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي اذا قام الى الصلاة (. . . . .) واذا ركع ربض واذا سجد نقر واذا جلس سعد ، يمسي وهمه الطعام وهو مفطر ، ويصبح وهمه النوم ولم يسهر ، ان حدثك كذبك ، وان وعدك أخلفك ، وان ائتمنته خانك ، وان خالفك اغتابك ﴿ وقال ﴾ من أجهد نفسه لدنياه ضر بآخرته ، ومن اجتهد لآخرته كفاه الله ما أهمه (وقال) من رأى موضع كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه (وقال) اياكم وجدال المفتتنين فان كل مفتتن ملقن حجته الى انقضاء مدته فاذا انقضت أحرقته فتنته بالنار (وقال) سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر ، واكل لحمه معصية لله عز وجل وحرمة ماله كحرمة دمه (وقال) الحياء من الايمان والايمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار . والله عز وجل يحب الحيي الحليم العفيف المتعفف . وان الله يبغض البذي السائل الملحف . ان أسرع الخير ثواباً البر . وأسرع الشر عقوبة البغي (وقال) ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله (قال) المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العيب . ومن كف عن أعراض الناس أقاله الله نفسه . ومن كف غضبه عن الناس كف الله عنه عذابه يوم القيامة (وقال) بئس العبد عبداً ذا وجهين وذا لسانين يطري أخاه في وجهه ويأكله غائباً عنه ان أعطي حسده . وان ابتلي خذله (وقال) ان الله حرم الجنة على المدمن والنمام ومدمن الخمرة

﴿ وقال ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن أبي طالب عليه السلام عليك بالصدق فلا تخرجن من فيك كذبة ابداً والورع فلا تجترئ على خيانة ابداً . والخوف من الله كأنك تراه . والبكاء من خشية الله يبنى لك بكل دمعة بيتاً في الجنة . والأحد

بسنتي (١) ﴿ وقال ﴾ السعيد من سعد في بطن أمه ، والشقي من وعظ به غيره وأكيس الكيس التقى ، وأحمق الحمق الفجور ، وشر الرواية الكذب ، وشر الأمور محدثاتها ، وشر العماء عماء القلب . وشر الندامة يوم القيامة . وأعظم الخطاء عند الله لسان كذاب . وشر المآكل أكل مال اليتيم ظلماً . وأحسن زينة الرجل هدى حسن مع ايمان . وأملك أمر يديه (٢) قوله وخواتمه . من يتبع السمعة يسمع الله به . ومن بنوي الدنيا تعجز عنه . ومن يعرف الله يصير اليه . ولا تسخطوا الله برضا أحد . ولا تنفروا الى احد من الخلق بما يباعد من الله ﴿ وقال ﴾ ولا تستصغروا قليل الحسنات فانه لا يصغر ما ينفع يوم القيامة . وخافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف . وسارعوا الى طاعة الله . وأصدقوا الحديث . وأدوا الأمانة . فانما ذلك لكم . ولا تظلموا . ولا تدخلوا فيما لا يحل لكم فانما ذلك عليكم ﴿ وقال ﴾ إذا كثر الزنا كثر موت الفجأة وإذا طفف المكيال أخذهم الله بالسنين والنقص وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض من زكاتها . واذا جاروا في الأحكام وتعاونوا وخانوا العهود سلط عليهم عدوهم . وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار . وإذا لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويتبعوا الأخيار سلط الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم ﴿ وقال ﴾ أصل المرء قلبه وحسبه خلقه وكرمه تقواه . والناس في آدم شرع سواء ﴿ وقال ﴾ إن الله خص أولياءه بمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم فمن كانت فيكم فاحمدوا الله وإلا فارغبوا اليه ﴿ قيل له ﴾ وما هي (قال) اليقين والقنوع والصبر والشكر والعقل والمروة والحلم والسخاء والشجاعة ﴿ وقال ﴾ ثلاث لا يموت صاحبهن حتى يرى ما يكره البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله بها ، وان أعجل الطاعة ثوابا لصلة الرحم . وان القوم ليكونون فجاراً

---

(١) وهكذا كان خلق علي عليه السلام . (كذا في هامش الاصل)

(٢) كذا في الأصل ولعل الصحيح (بو دي بوبه) (ص)

فيتواصلون فتنمو أموالهم ويثرون ، وإن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم تترك الديار بلاقع ، وتقطع السبل (١) ومن صدق لسانه زكا عمله ، ومن حسنت نيته زاد الله في رزقه ، ومن حسن بره بأهل بيته زاد الله في عمره ﴿ وقال ﴾ ثلاث لم يجعل الله لأحد فيها رخصة بر الوالدين برين كانا أو فاجرين ، ووفاء العهد للبر والفاجر وأداء الأمانة الى البر والفاجر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره وليكرم ضيفه ، وليقل خيراً وليسكت ﴿ وقال ﴾ المؤمن أخو المؤمن لا يخذله ولا يحزنه ولا يغتابه ولا يحسده ولا يبغي عليه فان إبليس يقول لجنوده القوا بينهم البغي والحسد فانه يعدل عند الله الشرك ﴿ وقال ﴾ من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه فإياكم وما تعتذرون منه فان المؤمن لا يسيء ويعتذر وإن المنافق يسيء كل يوم ولا يعتذر ، وللغيبة أسرع في دين المسلم من الأكلة في جوفه ، إن أهل الأرض مرحومون ما تحابوا وأدوا الأمانة وعملوا بالحق ﴿ وقال ﴾ يقول الله عز وجل ابن آدم أنا الحي لا أموت فأطعني أجعلك حياً لا تموت وأنا على كل شيء قدير ، ابن آدم صل رحمك أفك عنك عسرك وأيسرك ليسرك ﴿ وقال ﴾ من أصبح وهو على الدنيا حزين أصبح على الله ساخطا ، ومن شكا مصيبة نزلت به فإنما يشكو ربه ، ومن أتى ذا ميسرة فخشع له لينال من دنياه ذهب ثلثا دينه ، ومن تمنى شيئاً هو لله رضى لم يخرج من الدنيا حتى يعطاه ﴿ وقال ﴾ يقول الله عز وجل ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ولا أكلك في طلب معاشك الى طلبك وعلي أن أسد فاقتك وأملأ قلبك خوفاً مني وإن لا تفرغ لعبادتي أملأه شغلا بالدنيا ثم أسدها عنك وأكلك الى طلبك ﴿ وقال ﴾ لا تصلح الصنيعة إلا عند ذي حسب أو دين فمن سألكم بالله فاعطوه ، ومن استعاذ كم بالله فأعيذوه . ومن دعاكم فاجيبوه . ومن اصطنع معروفا فكافوه . فان لم تكافوه فاشكروه ﴿ وقال ﴾ من حق جلال الله على العباد إجلال

(١) كذا في الأصل ولعل الصحيح « وتقطع النسل » (م . ص)

الامام المقسط . وذي الشيبة في الاسلام . وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه . أربع من فعلهن فقد خرج من الاسلام . من رفع لواء ضلالة . ومن أعان ظالماً أو سار معه أو مشى معه وهو يعلم أنه ظالم . ومن احترم بذمة . ورجلان لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة . أمير ظلوم . ورجل غال في الدين مارق منه . والامير العادل لا ترد دعوته ﴿ وقال ﴾ لا يشغلنك طلب دنياك عن طلب دينك فان طالب الدنيا ربما أدرك فهلك بما أدرك وربما فاته فهلك بما فاته . الا كثرون في الدنيا هم الأقلون في الآخرة . إلا من قال هكذا وهكذا وحثا بيده . وما أعطي أحد من الدنيا شيئاً إلا كان أنقص من حقه في الآخرة حتى سليمان بن داود فانه آخر من يدخل الجنة من الأنبياء لما اعطي من الدنيا . ورأس كل خطيئة حب الدنيا ﴿ وقال ﴾ جاء الموت بما فيه الراحة والكرة المباركة الى جنة عالية لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم . وجاء الموت بما فيه الشقوة والندامة والكرة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم ﴿ وقال ﴾ أفضل ما توسل به المتوسلون الايمان بالله والجهاد في سبيل الله وكلمة الاخلاص فانها الفطرة وتمام الصلاة فانها الملة . وإيتاء الزكاة فانها مثراة في المال منسأة في الأجل . وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة وتطفئ غضب الرب . وصنائع المعروف فانها تدفع ميتة السوء وتقي مصارع الهوان . ألا فاصدقوا فان الصادق على شفا منجاة وكرامة . وان الكاذب على شفا مخزاة ومهلكة . ألا وقولوا خيراً تعرفوا به . واعملوا به تكونوا من أهله وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم . وصلوا أرحام من قطعكم . وعودوا بالفضل على من جهل عليكم ﴿ وقال ﴾ من تعرض لسلطان جائر فاصابته بلية لم يؤجر فيها ولم يرزق الصبر عليها . بحسب المؤمن عزاء اذا رأى المنكر أن يعلم الله من قلبه أنه كاره [وقال] إن لله عباداً من خلقه يخصهم بنعمه يقرهم فيها ما بذلوها فاذا منعوها نقلها منهم وحولها الى غيرهم ﴿ وقال ﴾ ما عظمت نعمة الله على عبد الا عظمت مؤونة الناس عليه

ثم لم يحمل تمت امؤونه فقد عرض النعمة للزوال .

وقال في سفيه من سدتكم امورهم في سفه . قالوا الحد بن قيس يا رسول الله قال فكيف جاله فيكم . قالوا من رجل بجنه (١) قال وأي داء أدوى من البحل لا سؤدد لبحيل بل سيدكم الأبيض الجعد عمرو بن الجموح ، أو قال قيس بن البراء ﴿ وقال ﴾ تاهد ومد سليه واطلع معه على كذبة ، لولا سخاؤه فيك (٢) ومعك الله تشرب يس واحد . وقال ﴾ خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق [وقال] تجافوا عن زلة السخي فان الله عز وجل آخذ بيده كلما عثر ﴿ وقال ﴾ الجنة دار الاسخياء ﴿ وقال ﴾ الشاب الجواد الزاهد هو أحب إلى الله من الشيخ البخيل العابد [وقال] ... له ... جواد ... مكارم الأخلاق ويبغض سفاسفها [وقال] إن لله عباداً خصهم لحوائج الناس يفزع الناس اليهم هم الآمنون يوم القيامة ﴿ وقال ﴾ أحسنوا مجاورة نعم الله ولا تملوها ولا تنفروها فانها قل ما تفوت من قوم فرجعت اليهم ، وقال ﴾ الحوائج الى الله وأسبابها الى الناس فاطلبوها الى الله ... ومن ... مكروها فحدوهم عن الله صبر (وقال) ... بسط الوجوه وحسن الخلق (وقال)

... ودملك

فان ... ش ... وأعلم ... الحروب ...

... لكل شيء ... وإن أشرف المنازل ما استقبل به ... من أحب

... يتق ... ومن أحب أن يكون ... فى ... الله

أوثق ... وكل على الله (ثم قال)

ألا ... رفده وجلد عبده . ألا ابتكم بشر من

(١) ... صحيح بجنه وهو ... البخل .

(٢) ... في الأصل ... مضطربة ولم ... الحديث (... ص)

ذلك من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره ألا أنبئكم بشر من ذلك من يبغض الناس ويبغضونه ﴿ وقيل له ﴾ ما أفضل ما أعطي العبد ﴿ قال ﴾ نحيزة (١) من عقل يولد معه ، قالوا فاذا أخطأه ذلك ﴿ قال ﴾ فيتعلم عقلا ، قالوا فان أخطأه ذلك ﴿ قال ﴾ فليتخذ صاحبا في الله غير حسود ، قالوا فان أخطأه ذلك ﴿ قال ﴾ عليه بالصمت ، قالوا فان أخطأه ذلك ﴿ قال ﴾ فميتة قاضية ﴿ وقال ﴾ لرجل من ثقيف ما المروة فيكم ، فقال . الصلاح في الدين وإصلاح المعيشة وسخاء النفس وحسن الخلق فقال كذلك هي فينا ﴿ وقال ﴾ من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه إن الله عند لسان كل قائل فلينظر قائل ما يقول ﴿ وقال ﴾ ما أتاني جبريل إلا ووعظني ﴿ وقال ﴾ في آخر قوله إياك والمشارزة (٢) فانها تكشف العورة وتذهب بالعز ﴿ وسأله ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم رجل فقال له ما عندي شيء ، فقال له عندي فمال اني لأستعمل الرجل وغيره يكون أغيظ عينا وأمثل رجلة وأشد مكيدة وإني لأعطي الرجل وغيره أحب الي منه أعطيه تألفا (وقال) من لم يحمد عدلا وندم جورا فقد بارز الله بالمحاربة (وقال) أشرف الأعمال ثلاثة ذكر الله عز وجل على كل حال وانصاف الناس من نفسك ، ومواساة الاخوان (وقال) موت البنات من المكرمات (وقال) الصبر عند الله عند الغيرة ولا يملكه احد ، وعظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإذا أحب الله عبداً ابتلاه (وقال) ان أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم أخلاقا (وقال) كل معروف صدقة وما وقي به اللسان صدقة ، فقيل لمحمد بن المنكدر وما ذاك . قال إعطاء الشاعر وذي اللسان (وقال) ما من ذنب إلا وله عند الله التوبة الا سوء الخلق انه لا يخرج من شيء الا وقع في شر منه (وقال) اياك ومهلك فان ذا مهل قتل أخاه ونفسه وسلطانه . وأتاه رجل فقال له أ لك مأكل . قال نعم من أكل المال فقال

(١) النحيزة . الطبيعة (يقال هو كريم النحيزة) .

(٢) المشازرة . المعاداة .

إذا الله انعم عليك بنعمته فلير (١) عليك وقال [لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرّة من كبر فقال رجل يارسول الله إني لأحب أن تكون دابتي فارهة وثيابي جياداً حتى ذكر شراك نعله وعلاقة سوطه ﴿ فقال ﴾ إن الله جميل يحب الجمال فانما الكبر أن يمنع الحق ويغمص الباطل ﴿ وسأل ﴾ سائل رسول الله فقال ماأصبح في بيت آل محمد غير صاع من طعام وإنهم لأهل تسعه أبيات فما لم عنه غنىً ، ولم يرد صلى الله عليه وآله وسلم سائلاً قط وإنه كان يعالج حظاءً (١) من جريد فمرّ به رجل ، فقال أكفيكه يا رسول الله ، فقال شأنك فلما فرغ منه ، قال له ألك حاجة قال نعم تضمن لي على الله الجنة فأطرق طويلا ثم رفع رأسه اليه ، فقال ذلك لك فلما ولى ناداه يا عبد الله أعني بطول السجود .

وخطب صلى الله عليه وآله وسلم على ناقته فقال : يا أيها الناس كأن الموت على غيرنا كتب وكأن الحق على غيرنا وجب وكأن الذين يشيعون من الأموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وآمنا كل جائحة ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال قد اكتسبه من غير معصية ، ورحم ، وصاحب أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، طوبى لمن أذل نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره ووسعته السنة ولم يعدها (٣) الى البدعة .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم وعظني جبريل فقال لي أحبب (٤) من شئت

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصحيح [فلتتبين عليك] أي فلتظهر عليك آثاره

(٢) حظاء بكسر الحاء المهملة جمع حظوة وهو السهم الصغير الذي لا نصل له ، ويعالجه أي يصلحه . (نهاية)

(٣) كذا في الاصل والظاهر (ولم يتعدها)

(٤) كتب في هامش الأصل بدل هذه النسخة (أحبب من أحببت فانك —

فانك ميت واعمل ما شئت فانك ملاقيه « وقال » صلى الله عليه وآله وسلم من طلب الرزق من حله فليبذر على الله « وقال » استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا ﴿ وقال ﴾ لا طلاق إلا بعد نكاح ولا عتق إلا بعد ملك ولا صمت إلا من غدوة الى الليل ولا وصال في صيام ولا رضاع بعد فطام ولا يتم بعد احتلام ولا يمين لامرأة مع زوجها ولا يمين لولد مع والده ولا يمين للمملوك مع سيده ولا تعرب بعد الهجرة ولا يمين في قطيعة رحم ولا نذر في معصية ، ولو أن أعرابياً حج عشر حجج ثم هاجر كان فريضة الاسلام عليه إذا استطاع اليه سبيلا ، ولو أن مملوكاً حج عشر حجج ثم عتق كان فريضة الاسلام عليه إن استطاع اليه سبيلا ﴿ وقال ﴾ أعظم الذنوب عند الله أصغرها عند العباد وأصغر الذنوب عند الله أعظمها عند العباد ﴿ وقال ﴾ لا يلسع المؤمن من جحر مرتين ، والناس سواء كأسنان المشط ، والمرء كثير باخيه ، ولا خير لك في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، والمسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ، والمستشار مؤتمن ، ولن يهلك امرؤ عرف قدره ، ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم او سكت فسلم (وذكر) الخيل فقال صلى الله عليه وآله وسلم الخيل معقود في نواصيها الخير بطونها كنز وظهورها حرز « وأجرى » الخيل فجاء فرس له أدهم سابقاً فجثا على ركبتيه ثم قال ما هو إلا البحر ﴿ وقال ﴾ يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ﴿ وقال ﴾ ان الله عز وجل يقول ويل للذين يختلون الدنيا بالدين ، وويل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقية ، اياي يغرون ، أم علي يجترئون ، فاني حلفت لاتيحنهم فتنة تترك الحليم منهم حيران .

﴿ وروي عنه ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال كان تحت الجدار الذي ذكره الله

— مفارقه ، وافعل ما شئت فانك مجزي عليه ، وعش ماشئت فانك ميت) (م ص)

عز وجل في كتابه (كنز لهما) كان الكنز لوحاً من ذهب مكتوب فيه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم عجباً لمن يوقن بالموت كيف يفرح عجباً لمن يوقن بالقدر كيف يحزن عجباً لمن يوقن بالنار كيف يضحك عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ ﴿ وقال ﴾ للطاعم الشاكر أجر الجائع الصابر ولئن يعافى أحدكم فيشكر خير له من أن يبيت قائماً ويصبح صائماً معجباً [وقال] لا يحل لمؤمن أن يذل نفسه ، قيل يا رسول الله فكيف يذل نفسه قال يعرضها لما لا تطيق من البلاء « وقال » اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ﴿ ووجد ﴾ في كتاب عند أسماء بنت عميس من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآجلات الجانيات المعقبات رشداً باقياً خير من العاجلات العابدات المعقبات غياً باقياً ، المسلم عفيف من المظالم عفيف من المحارم ، بئس العبد عبد هواه يضله ، بئس العبد عبد رغب اليه بذلة بئس العبد عبد طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا ﴿ وقال ﴾ أربع من قواصم الظهر إمام تطيعه ويضلك ، وزوجة تأمنها وتخونك ، وجار سوء إن علم سوءً أذاعه وإن علم خيراً ستره ، وفقير إذا نحل لم يجد صاحبه ﴿ وقال ﴾ ما من عبد إلا وفي علمه وحلمه نقص ألا ترون أن رزقه يجري بالزيادة فيظل مسروراً مغتبطاً وهذان الليل والنهار يجريان بنقص عمره لا يحزنه ذلك ولا يحتفل به ، ضل ضلاله ما أغنى عنه رزق يزيد وعمر ينقص ﴿ وقال ﴾ إن بني اسرائيل أذهبوا خشية الله من قلوبهم فحضرت أبدانهم وغابت قلوبهم وإن الله لا يقبل من عبد لا يحضر من قلبه ما يحضر من بدنه ﴿ وقال ﴾ من ازداد علماً ثم لم يزدد زهداً لم يزدد من الله إلا بعداً ، من أعان إماماً جائراً ولم يخطئه لم يفارق قدمه قدمه بين يدي الله حتى يأمر به « الى النار » ﴿ وأتاه رجل ﴾ من بني قشير يقال له قرة بن هبيرة فقال يا رسول الله كانت لنا أرباب وربات فهدانا الله بك ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم اكثر اهل الجنة البله وأهل عليين ذوو الألباب ﴿ وقال ﴾ الأئمة من قريش لكم عليهم حق ولهم عليكم حق

ما حكموا فعدلوا واسترحموا فرحموا وعاهدوا فوفوا ﴿ ووقف « ص » ﴾ على بيت فيه جماعة من قريش فقال إنكم ستولون هذا الأمر ومن وليه منكم فاسترحم فلم يرحم وحكم فلم يعدل وعاهد فلم يف فعليه لعنة الله ﴿ وقال ﴾ الدين النصيحة الدين النصيحة ، قيل لمن يا رسول الله ، قال لله ولكتابه ولنبيه ولائمة الحق ﴿ وقال ﴾ بالخيف من منى نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها حتى يبلغها من لم يسمعها فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن ، اخلاص العمل ، وصحة الورع ، والنصيحة لولاة الأمر [وقال] للمسلم على أخيه المسلم من المعروف ست يسلم عليه اذا لقيه وينصح له اذا غاب عنه ويعوده اذا مرض ويشيع جنازته اذا مات ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ﴿ وقال ﴾ أنصر أخاك ظالماً او مظلوماً قالوا يا رسول الله كيف ننصره ظالماً ، قال بكفه عن الظلم (وقال) اذا مات الانسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة من صدقة جارية أو علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له (وقال) ثلاثة لا ترد لهم دعوة ، المظلوم وامام عادل والصائم حتى يفطر (وقال) ثلاث يتبعن ابن آدم بعد موته سنة سنها في المسلمين فعمل بها فله أجرها وأجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ، وصدقة تصدق بها من مال أو تمر فما جرت تلك الصدقة فهي له ، ورجل ترك ذرية يدعون له .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته شر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ولكل شيء آفة وآفة هذا الرأي الهوى (وقال) اكفلوا لي ستاً اكفل لكم الجنة اذا حدثتم فلا تكذبوا ، واذا ائتمنتم فلا تخونوا . واذا وعدتم فلا تخلفوا . كفوا ألسنتكم . وغضوا أبصاركم . وصونوا فروجكم [وقال « ص »] يقول الله عز وجل لا يزال عبدي يصدق حتى يكتب صديقاً ولا يزال عبدي يكذب حتى يكتب كذابا ﴿ وقال ﴾ ويل للذي يتحدث بالكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له [وروي] أنه قال عليكم بالصدق وان ظننتم فيه الهلكة فان عاقبته النجاة وإياكم

والكذب وإن ظننتم فيه النجاة فان عاقبته الهلكة ﴿ وقال ﴾ من خلف على مال أخيه ظالماً فليتبوأ مقعده من النار ، فقال رجل وإن كان يسيراً يا رسول الله فقال ولو كان قضيباً من أراك ، ومن اقتطع حق امرئ مؤمن بيمينه فقد أوجب الله عليه النار وحرم عليه الجنة .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان ﴿ وقال ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لو كان لي مثل شجر تهامة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني كذوباً ولا جبانا ولا بخيلاً [وقال] له رجل يا رسول الله أعطني رداءك فألقاه عليه فقال ما أريده قال قاتلك الله أردت أن تبخلني ولم يجعلني الله بخيلاً (وقال) خياركم من يرجى خيره ولا يتقى شره وشراركم من يتقى شره ولا يرجى خيره فان الله اكرمكم بالاسلام فزينوه بالسخاء وحسن الخلق (وقال) صلى الله عليه وآله وسلم الخير أسرع الى البيت الذي يغشى من الشفرة الى سنام البعير [وقال (ص)] إياكم والشح فانما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالفجور ففجروا ، اللؤم كفر والكفر في النار ، قال الله عز وجل [ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون] (وقال « ص ») رأس العقل بعد الايمان مداراة الناس وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وإن أول أهل الجنة دخولا أهل المعروف ﴿ وقال ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تعطي صلة الحبل ، ولو شسع النعل ، ولو أن تفرغ من دلوك في أناء المستسقي ، ولو أن تنحي الشيء عن طريق الناس يؤذيهم ، ولو أن تلقي أخاك فتسلم عليه ، ولو أن تلقاه ووجهك اليه منطلق ، ولو أن رجلا سبك بأمر يعلمه فيك تعلم فيه نحوه فلا تسبه ليكون لك أجر ذلك ويكون عليه وزره (وقال) إن الله جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف

اليهم وييسر عليهم إعطاءه كما ييسر الغيث الى الأرض الجدبة ليحييها ويحيي بها أهلها وإن الله جعل للمعروف أعداء من خلقه بغّض اليهم المعروف وبغّض اليهم فعاله وحظر على طلاب المعروف الطلب وحظر عليهم إعطاءه كما يحظر الغيث عن الأرض الجدبة ليهلكها ويهلك بها أهلها أو يعفو الله عن أكثره ﴿ وقال ﴾ الخلق كلهم عيال الله فأحب الخلق الى الله أحسن الناس الى عياله [وسأله رجل] فقال أي الناس أحب الى الله فقال أنفع الناس للناس [قال] فأي الأعمال أحب الى الله قال إدخال السرور على مسلم إطعام جوعته وكساء عورته وقضاء دينه (وقال) إن الله ينصب للغادر لواءً يوم القيامة فيقال ألا إن هذا لواء فلان (وقال له) بعضهم أخبرنا بخصال يعرف بها المنافق ﴿ فقال ﴾ من حلف فكذب ووعد فأخلف وخاصم ففجر وأوتمن فخان وعاهد فغدر [وقال] إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى أنه يقول له فما منعك أن رأيت المنكر أن تنكره فاذا لقن الله عبده حجته قال يا رب إني وثقت بك وخفت من الناس [وقال] من أعطي عطاء ووجد فليجزه فان لم يجزه فليثن به ومن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ، وقال له قوم من المهاجرين يا رسول الله إخواننا من الأنصار واسونا وبذلوا لنا وقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله [فقال] إلا ما أثنيتم به عليهم ودعوتم الله لهم [وقال] والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد شيئاً بغير حقه إلا لقي الله بحمله يوم القيامة [وقال] الهدية تذهب السخيمة وتجدد الأخوة وتثبت المودّة [وقال] لو أهدي إلي كراع لقبلته ولو دعيت اليه لأجبت [وقال] ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته ، وصدقة المؤمن ظله او ظلّه من صدقته [وروي عنه] صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ما من الأعمال شيء أحب إلي من ثلاثة إشباع جوعة المسلم وقضاء دينه وتنفيس كربته ، من نفس عن مؤمن كربته نفس الله عنه كرب يوم القيامة والله في عون عبده ما كان العبد في عون أخيه [وقال] إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة لذي فقر مدقع ولذي عسر مفظع ولذي دم مفجع

[وقال] من سأل وله أوقية والأوقية أربعون درهماً فقد سأل الناس الحافاً (وسأله) رجلان وهو يقسم مغانم خيبر « فقـال » لاحظ لغني ولا لقوي مكتسب (وقال) لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرّة « ١ » سوي (وقال) من سأل وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم (قيل) يا رسول الله ما يغنيه قال لغـدائه أو لعشائه (وقيل له) يا رسول ما الغناء قال غداء وعشاء (وقال) من سأل عن ظهر غنى جاء يوم القيامة بوجهه كدوح يعرف بها (قالوا) يا رسول الله ما ظهر غنى قال قوت ليلة أو قوت يوم [وسأله] حكيم بن حزام فاعطاه فقال إن هذا المال خضر فمن أخذه بطيب نفس بستر بورك له فيه ومن أخذه باشراف لم يبارك له فيه فكان كآكل يأكل ولا يشبع : وسأله : الأنصار فلم يسألوه شيئاً إلا أعطاهم حتى أنفدوا ما عنـده [ثم قال] أما بعد يا معشر الأنصـار ما يكن عندنا من خير فلن أوخره عنكم وإنه من يستغن يغنه الله ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يصبر يصبره الله ولن يعطي عبد أفضل ولا أوسع من الصبر : وقال : من يضمن لي خلة أضمن له الجنة فقيـل ما هي يا رسول الله قال أن لا تسأل أحـداً شيئاً ﴿ وقال ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر (رض) يا أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد حتى لا تستطيع أن تنهض من فراشك الى مسجدك كيف تصنع ، قلت الله ورسوله أعلم ، قال تتعفف ﴿ وقال ﴾ لا يفتح رجـل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر (وقال) الأيدي ثلاث فيد الله العليا ويد المعطي التي تليها ويد السائل السفلى الى يوم القيامة ، فاستعفف عن السؤال ما استطعت (وقال) لبعضهم ما أتاك من هذا المـال وأنت غير سائل ولا مشرف فخذه فتموله أو تصدق به (وقال) لا صدقـة إلا عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول ولا تلام على كفاف (وقال) المسألة خروج في وجه الرجل يوم القيامة إلا أن يسأل سلطانه أو من لا بد منه ﴿ وقيـل له ﴾ أي الصدقة أفضل

« ١ » المرّة بفتح الميم وتشديد الراء القوة والشدة . والسوي الصحيح الأعضاء (نهاية)

(فقال) أن تصدق وأنت صحيح تخاف الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا (وقال) من أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهو له صدقة ، ومن سره الانساء في الأجل والمد في الرزق فليصل رحمه ﴿ وقال ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم ﴿ وأتاه رجل ﴾ فقال من أبر قال أمك وأباك وأخاك وأختك وأدناك أدناك (وقال) يقول الله تبارك وتعالى من وقر أباه أطلت في أيامه ومن وقر أمه رأى لبنيه بنين (وقال) ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقول الزور (وقال) من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ﴿ وقال ﴾ أربع من سنن المرسلين الحياء والنكاح والحلم والسواك ﴿ وقال (ص) ﴾ قال الله سبحانه وتعالى لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لأولين عليكم شراركم ولأجعلن أموالكم في أيدي بخلائكم ولأمنعكم قطر السماء ثم ليدعوني خياركم فلا أستجيب لهم ويسترحموني فلا أرحمهم ويستسقوني فلا أسقيهم ﴿ وقال ﴾ أربع من كن فيه كمل اسلامه وإن كان ما بين قرنه الى قدمه خطاء الأمر بالمعروف والحياء والشكر وحسن الخلق ، وأربع من كن فيه بنى الله له بيتاً في الجنة إيواء اليتيم ورحمة . . (١) . . ورفق بمملوكه وشفق على والديه ﴿ وقال (ص) ﴾ التودد الى الناس نصف الايمان والرفق نصف العيش وما عال امرؤ وفى اقتصاده .

* *
*

---

(١) بياض في الأصل ، وقد ذكر هذا الحديث الصدوق ابن بابويه في باب الأربعة من الخصال ص ١٠٦ كما يلي « أربع من كن فيه بنى الله له بيتاً في الجنة من آوى اليتيم ورحم الضعيف وأشفق على والديه ورفق بمملوكه » (م . ص)

حجـــة الوداع

وحج رسول الله (ص) حجة الوداع سنة عشر وهي حجة الاسلام خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة حتى أتى ذا الحليفة لبس ثوبين صحاريين أزار ورداء ﴿ وقيل ﴾ خرج من المدينة وقد لبس الثوبين ودخل المسجـــد بذي الحليفة وصلى ركعتين وكنَّ نساؤه جميعاً معه ثم خرج فاشعر بدنه من الجانب الأيمن ثم ركب ناقته القصوى فلما استوت به على البيداء أهل بالحج ﴿ وقال الواقـدي ﴾ عن الزهري عن سالم عن أبيه ، وعن الزهري في اسناد له عن سعد بن أبي وقاص قالا أهل رسول الله متمتعاً بالعمرة الى الحج ﴿ وقال بعضهم ﴾ بالحج مفرداً ﴿ وقال بعضهم ﴾ بحجة وعمرة ، ودخل مكة نهاراً من كداء — وهي عقبة المدنيين — على راحلته حتى انتهى الى البيت فلما رأى البيت رفع يديه فوق زمام ناقته ، وبدأ بالطواف قبل الصلاة وخطب قبل التروية بيوم بعد الظهر ويوم عرفة حين زالت الشمس على راحلته قبـــل الصلاة من الغد يوم منى ، فقال (ص) في خطبته ، نضر الله وجه عبد سمع مقـالتي فوعاها وحفظها ثم بلغها من لم يسمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامـل فقه الى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم ، إخلاص العمل لله ، والنصيحة لأئمة الحق ، واللزوم لجماعة المؤمنين ، فان دعوتهم محيطة من ورائهم ، ودعا بالبدن فصفت بين يديه وكانت مائة بدنة فنحر منها بيده ستين بدنة ﴿ وقيل ﴾ أربعـــاً وستين وأعطى علياً عليه السلام سائرها فنحرها وأخذ من كل ناقة بضعة فجمعت في قدر واحده فطبخت بالمـاء والملح ثم اكل هو وعلي عليه السلام وحسا من المرق ورمى جمرة العقبة على ناقته ووقف عند زمزم وأمر ربيعة بن أمية بن خلف فوقف تحت صدر راحلته وكان صبياً فقال يا ربيعة قل يا أيها الناس إن رسول الله يقول لعلـكم لا تلقوني على مثل حالي هذه وعليكم هذا هل تدرون أي بلد هذا وهل تدرون أي شهر هذا وهـل تدرون أي يوم هذا ، فقال الناس نعم هذا البـلد الحرام والشهر الحرام واليوم الحرام

قال ﴿ ص ﴾ فان الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة بلدكم هذا وكحرمة شهركم هذا وكحرمة يومكم هــذا ، ألا هل بلغت قالوا نعم ﴿ قال ﴾ اللهم اشهد واتقوا الله ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ فمن كانت عنده أمانة فليؤدها ﴿ ثم قال [ص] ﴾ الناس في الاسلام سواء ، الناس طف الصاع (١) لآدم وحواء لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي إلا بتقوى الله ، ألا هل بلغت قالوا نعم ، قال اللهم اشهد ﴿ ثم قال « ص » ﴾ لا تأتوني بأنسابكم واتوني باعمالكم فأقول للناس هكذا ولكم هكذا ، ألا هل بلغت ، قالوا نعم ، قال اللهم اشهد ﴿ ثم قال « ص » ﴾ كل دم كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي وأول دم أضعه دم آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان آدم بن ربيعة مسترضعاً في هذيل فقتله بنو سعد بن بكر ﴿ وقيل ﴾ في بني ليث فقتلته هذيل ، ألا هل بلغت قالوا نعم ، قال اللهم اشهد ﴿ قال (ص) ﴾ وكل ربا كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي وأول رباً أضعه ربا العباس بن عبد المطلب ، ألا هل بلغت ، قالوا نعم قال اللهم اشهد [قال] يا أيها الناس [إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله [ألا وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض [وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله منها أربعة حرم] رجب الذي بين جمادى وشعبان يدعونه رجب مضر (٢) وثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ألا هل بلغت قالوا نعم ، قال اللهم اشهد [قال (ص)] أوصيكم بالنساء خيراً فانما هن عوار عندكم لا يملكن لأنفسهن

---

(١) أي قريب بعضكم من بعض ، يقال هذا طف المكيال وطفافه أي ماقرب من ملئه ، وقيل هو ما علا فوق رأسه .

(٢) في الحديث (رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان) أضاف رجباً الى مضر لأنهم كانوا يعظمونه خلاف غيرهم فكأنهم اختصوا به . (نهاية)

شيئاً وإنما اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكتاب الله ولكم عليهن حق ولهن عليكم حق كسوتهن ورزقهن بالمعروف ولكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم أحداً ولا يأذنّ في بيوتكم إلا بعلمكم واذنكم فان فعلن شيئاً من ذلك فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرّح ، ألاهل بلغت قالوا نعم ، قال اللهم اشهد [قال ص] فاوصيكم بمن ملكت أيمانكم فاطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون وأن أذنبوا فكالوا عقوباتهم إلى شراركم ، ألاهل بلغت ، قالوا نعم ، قال اللهم اشهد قال (ص) إن المسلم أخو المسلم لا يغشه ولا يخونه ولا يغتابه ولا يحل له دمه ولا شيء من ماله إلا بطيب نفسه . ألاهل بلغت ، قالوا نعم ، قال اللهم اشهد

﴿ ثم قال ص ﴾ إن الشيطان قد يئس أن يعبد بعد اليوم ولكن يطاع فيما سوى ذلك من أعمالكم التي تحتقرون فقد رضي به ألاهل بلغت ، قالوا نعم ، قال اللهم اشهد ﴿ ثم قال ﴾ « ص » أعدى الأعداء على الله قاتل غير قاتله وضارب غير ضاربه ومن كفر نعمة مواليه فقد كفر بما أنزل الله على محمد ومن انتمى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . ألاهل بلغت ، قالوا نعم ، قال اللهم اشهد ﴿ ثم قال ﴾ « ص » ألا إني إنما امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله وإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق وحسابهم على الله ألاهل بلغت ، قالوا نعم ، قال اللهم اشهد (ثم قال ص) لا ترجعوا بعدي كفاراً مضلين يملك بعضكم رقاب بعض إني قد خلفت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ألاهل بلغت ، قالوا نعم ، قال اللهم اشهد ﴿ ثم قال ص ﴾ إنكم مسئولون فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

ولم ينزل صلى الله عليه وآله وسلم مكة ، وقيل له في ذلك لو نزلت يا رسول الله بعض منازلك . فقال ما كنت لأنزل بلداً أخرجت منه ، ولما كان يوم النفر دخل البيت فودع ونزل عليه [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت

لكم الاسلام دينا]

وخرج (ص) ليلا منصرفا إلى المدينة فصار الى موضع بالقرب من الجحفة يقال له « غدير خم » لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة وقام خطيبا واخذ بيد علي بن أبي طالب (ع) فقال : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى يا رسول الله قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ﴿ ثم قال ص ﴾ أيها الناس إني فرطكم وأنتم واردون علي الحوض وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، قالوا وما الثقلان يا رسول الله قال الثقل الاكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بايديكم فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا وعترتي أهل بيتي .

الوفاة

ولما قدم صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أقام أياما وعقد لأسامة بن زيد بن حارثة على جلة المهاجرين والأنصار وأمره أن نقصد حيث قتل أبوه من أرض الشام (وروي) عن أسامة أنه قال أمرني رسول الله أن أغزو ﴿ يبنى ﴾ من ارض فلسطين صباحا ثم أحرق ﴿ وروى آخرون ﴾ أن رسول الله ﴿ ص ﴾ أمره أن يوطئ الخيل أرض البلقاء وكان في الجيش أبو بكر وعمر وتكلم قوم وقالوا حدث السن وابن سبع عشرة سنة فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان طعنتم عليه فقبله طعنتم على أبيه وإن كان لخليقين للامارة ، واشتكى رسول الله « ص » قبل أن ينفذ الجيش وكان أسامة مقيما بالجرف فلما اشتدت عليه قال أنفذوا جيش أسامة فقالها مرارا واعتل أربعة عشر يوما ﴿ وتوفي ﴾ يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول ، ومن شهور العجم أذار ، وكان قران العقرب [قال ما شاء الله المنجم] كان طالع السنة التي توفي فيها رسول الله وهو القران الرابع من مولده الجدي ثماني عشرة درجة والزهرة في . . . . سبع عشرة درجة ، والشمس في الحمل دقيقة . والقمر في الحمل

درجتين وثلاثين دقيقة ، وعطارد ..... احدى عشرة درجة وثلاث عشرة دقيقة والمشتري في الميزان ثلاثاً وعشرين درجة واربع دقائق راجعاً ، والمريخ في الجدي خمس دقائق ﴿ وقال الخوارزمي ﴾ كانت الشمس يوم توفي رسول الله في الجوزاء ست درجات ، والقمر في الجوزاء ثلثاً وعشرين درجة ، وزحل في القوس تسعاً وعشرين درجة ، والمريخ في الحوت أحدى عشرة درجة ، والزهرة في السرطان ثماني عشرة درجة ، وعطارد في الجوزاء ثماني وعشرين درجة ، والرأس في الجدي خمساً وعشرين درجة .

وكان سنه ثلاثاً وستين سنة ، وغسله علي بن أبي طالب عليه السلام والفضل بن العباس بن عبد المطلب وأسامة بن زيد يناولان الماء وسمعوا صوتاً من البيت يسمعون الصوت ولا يرون الشخص فقال ﴿ السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، لتبلون في أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور ، إن في الله خلفاً من كل هالك ، وعزاء من كل مصيبة ، عظم الله أجوركم والسلام ورحمة الله ﴾ فقيل لجعفر بن محمد من كنتم ترونه فقال جبريل .

وكفن صلى الله عليه وآله وسلم في ثوبين صحاريين وبرد حبرة ونزل قبره علي ابن أبي طالب عليه السلام والعباس بن عبد المطلب ﴿ وقيل ﴾ الفضل بن العباس وشقران مولى رسول الله ﴿ ص ﴾ ونادت الأنصار اجعلوا لنا في رسول الله نصيباً في وفاته كما كان لنا في حياته فقال علي (ع) ينزل رجل منكم فانزلوا أوس بن خولي أحد بني الحبلى ، وكان حفر قبره ابو طلحة بن سهل الأنصاري ولم يكن

بالمدينة من يحفر غيره وغير أبي عبيدة بن الجراح ، وكان ابو عبيدة بن الجراح يشق ويحفر وسطاً وأبو طلحة يلحد ﴿ وقيل ﴾ إنهما سابقا حفراً فسبق أبو طلحة بالحفر وصلي عليه أياماً والناس يأتون ويصلون إرسالاً ، ودفن ليلة الأربعاء في بعض الليل وطرحت تحته قطعة رحله وكانت ارجوان وربّع قبره ولم يسنم .

ولما توفي صلى الله عليه وآله وسلم قال الناس ما كنا نظن أن رسول الله يموت حتى يظهر على الأرض ، وخرج عمر فقال والله ما مات رسول الله ولا يموت وانما تغيب كما غاب موسى بن عمران أربعين ليلة ثم يعود والله ليقطعن أيدي قوم وارجلهم وقال ابو بكر بل قد نعاه الله الينا فقال إنك ميت وانهم ميتون ، فقال عمر والله لكأني ما قرأتها قط ثم قال لعمري لقد أيقنت أنك ميت ولكنما أبدى الذي قلته الجزع .

ولم يخلف صلى الله عليه وآله وسلم من الولد إلا فاطمة وتوفيت بعده باربعين ليلة ﴿ وقال قوم ﴾ بسبعين ليلة ﴿ وقال آخرون ﴾ بثلاثين ليلة ﴿ وقال آخرون ﴾ ستة أشهر ، وأوصت علياً زوجها أن يغسلها فغسلها وأعانته أسماء بنت عميس وكانت تخدمها وتقوم عليها ، وقالت ألا ترين إلى ما بلغت أفأحمل على سرير ظاهراً قالت لا لعمري يا بنت رسول الله ولكني أصنع لك شيئاً كما رأيته يصنع بالحبشة ، قالت فاريني فارسلت الى جرائد رطبة فقطعتها ثم جعلتها على السرير نعشاً . وهو أول ما كانت النعوش . فتبسمت وما رؤيت متبسمة إلا يومئذ . ودفنت ليلاً ولم يحضرها أحد إلا سلمان وأبو ذر ﴿ وقيل ﴾ عمار . وكان بعض نساء رسول الله أتينها في مرضها فقلن يا بنت رسول الله صيّري لنا في حضور غسلك حظاً قالت أتردن تقلن فيّ كما قلتن في أمي لا حاجة لي في حضوركن . ودخلن اليها في مرضها نساء رسول الله وغيرهن من نساء قريش فقلن كيف أنت قالت أجدني كارهة لدنياكن مسرورة لفراقكن ألقى الله ورسوله بحسرات منكن فما حفظ لي الحق ولا رعيت مني الذمة ولا قبلت الوصية ولا عرفت الحرمة وكان سنها ثلاثاً وعشرين سنة .

صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخماً مفخماً ظاهر الوضاءة متبلج الوجه حسن الخلق أطول من المربوع وأقصر من المشذب لم تعبه ثجلة (١) ولم تزر به صعلة (٢) وسيماً قسيماً لم يماشه أحد من الناس إلا طاله وإن كان الماشي له طويلا . عظيم الهامة رجل الشعر . إن تفرقت (٣) عقيقته انفرقت فرقاً لا يجاوز شعره شحمة أذنه أزهر اللون . مشرباً حمرة . في عينيه دعج . وفي أشفاره وطف . وفي صوته صحل (٤) وفي لحيته كثافة . وكان أكثر شيبه في لحيته حول الذقن وفي رأسه في فودي رأسه ، سهل الخدين ، ضليع الفم . حلو المنطق لا نزر ولا هذر (٥) دقيق المسربة ، معتدل الخلق . عريض الصدر والكتف . بعيد ما بين المنكبين . واسع الظهر عبر ما تحت الأزرار من الفخذ والساق . أنور المتجرد . موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط . عاري ما سوى ذلك من الشعر . أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر . طويل الزندين . رحب الراحتين . شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف . خمصان الأخمصين . ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب أو يتقلع من صخر . وإذا التفت التفت معاً . خافض الطرف نظره الى الأرض أكثر من نظره الى السماء . جل نظره الملاحظة . يبدأ من لقي بالسلام . وكان جل جلوسه القرفصى وكان يأكل على الأرض . وكان إذا دعاه رجل فقال يارسول الله قال

---

(١) الثجلة بضم الثاء المثلثة وسكون الجيم ضخم البطن .

(٢) الصعلة بفتح الصاد وسكون العين المهملتين صغر الرأس . (نهاية)

(٣) الذي ورد في الحديث في صفة شعره صلى الله عليه وآله وسلم « إن انفرقت عقيقته فرق » أي شعره سمي عقيقة تشبيها بشعر المولود . (م . ص)

(٤) الصحل بالتحريك البحة .

(٥) النزر القليل أي ليس بقليل فيدل على عي ولا كثير فاسد . (نهاية)

لبيك ، وإذا قال يا أبا القاسم قال يا أبا القاسم ، وإذا قال يا محمد قال يا محمد ، وإذا أخذ الرجل بيده لم ينزعها منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها وإذا نازعه رداءه لا يجاذبه حتى يخليه ، وإذا سأله سائل حاجة لم يرده إلا بحاجته او بميسور من القول .

المشبهون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وكان المشبهون برسول الله ﴿ جعفر ﴾ بن أبي طالب ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشبهت خلقي وخلقي ﴿ والحسن ﴾ بن علي عليه السلام ، وكانت فاطمة (ع) تقول : —

﴿ بأبي شبيه بأبي * غير شبيه بعلي ﴾

﴿ ويقال ﴾ إن أبا بكر قال له وقد لقيه في بعض طرق المدينة :

﴿ بأبي شبيه بالنبي * غير شبيه بعلي ﴾

[وقثم] بن العبس بن عبد المطلب [وأبو سفيان] بن الحارث بن عبد المطلب [وأسهد] ابن العبرة [وهاشم] بن عبد المطلب بن عبد مناف [ومسلم] بن معتب بن ابي لهب .

نسبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمهاته الى ابراهيم والعواتك والفواطم اللاتي ولدنه

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن اد بن أدد بن هميسع بن يشجب بن أمين بن نبت بن قيذار بن إسماعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ — وهو إدريس النبي — بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم عليه السلام .

﴿ وأم ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب ، وأمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ﴿ وأم ﴾ عبد الله بن عبد المطلب ، فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ﴿ وأم ﴾ عبد المطلب — وهو شيبة الحمد — بن هاشم ، سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، واسمه زيد مناة [ويقال] بل اسمه تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ﴿ وأم ﴾ هاشم عاتكة بنت مرة ابن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم ﴿ وأم ﴾ عبد مناف — واسمه المغيرة بن قصي — حبى بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة ﴿ وأم ﴾ قصي — واسمه زيد ابن كلاب — فاطمة بنت سعد بن سيل بن عامر الجادر . . (١) . . من الأزد أزد شنوءة وهم حلفاء بني نفاثة بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة [وأم] كلاب بن مرة ، هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة [وأم] مرة بن كعب بن لوي . ماوية بنت القين بن جسر بن شيع الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة [وأم] كعب بن لؤي . وحشية بنت شيبان [وأم] لؤي بن غالب . سلمى بنت عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن خزاعة ﴿ وأم ﴾ غالب بن فهر . ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس ابن مضر [وأم] فهر بن مالك جندلة بنت الحارث بن جندل بن عامر بن سعد بن الحارث بن مضاض بن عامر بن دب بن جرهم [وأم] مالك بن النضر عاتكة

---

(١) بياض في الأصل . وعامر هذا الملقب بـ « الجادر » هو ابن عمرو بن خثعمة بن بكر بن يشكر بن قسي بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران الأزدي لقب بالجادر لأنه بنى جداراً للكعبة دون السيل الذي دخلها وصدع بنيانهـا . يسمى ذلك الجدار الجادر ، قاله في تاج العروس بمادة (جدر) (م . ص)

— وهي عكرشة وهي الحصان — بنت عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر ﴿ وأم ﴾ النضر بن كنانة ، برة بنت مر بن أد بن طابخه بن الياس بن مضر ﴿ وأم ﴾ كنانة بن خزيمة ، هند بنت قيس عيلان ﴿ وأم ﴾ خزيمة بن مدركة ، سلمى بنت أسد بن ربيعة بن نزار ﴿ وأم ﴾ مدركة بن الياس ، خندف وهي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة [وأم] الياس ابن مضر الحنفاء بنت أياد بن نزار بن معد بن عدنان ﴿ وأم ﴾ مضر بن نزار ، شقيقة بنت عك بن عدنان بن أدد ﴿ وأم ﴾ نزار بن معد ، ناعمة بنت جوشم بن عدي ابن دبّ بن جرهم ﴿ وأم ﴾ معد بن عدنان ، تيمة بنت يشجب بن يعرب بن قحطان « . (١) . » ﴿ وأم ﴾ أد بن أدد ، النعجا بنت عمرو بن تبع بن سعد ذي فائش بن حمير [وأم] أدد بن الهميسع ، حية بنت قحطان [وأم] الهميسع ابن بشجب ، حارثه بنت مراد بن زرعة بن ذي رعين بن حمير ﴿ وأم ﴾ يشجب ابن أمين ، قطامة بنت علي بن جرهم « . (٢) . » ﴿ وأم ﴾ إسماعيل بن ابراهيم هاجر أمة كانت لسارة أم اسحاق وهي قبطية ﴿ ويزعم آخرون ﴾ أنهـا رومية [وأم] ابراهيم — وهو ابراهيم بن تارخ — ادنيا بنت بر بن ارعو بن فالـغ ابن عابر بن شالخ .

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يكثر أن يقول انا ابن العواتك وربما قال أنا ابن العواتك من سليم ، واللاتي ولدنه من العواتك انتا عشرة عاتكة عشر منهن مضريات ، وقحطانية وقضاعية ، والمضريات ثلاث من قريش ، وثلاث

---

(١) بياض في الأصل ، وقد سقط منه ذكر أم عدنان ونسبها ولم نجد لها ذكراً فيما بايدينا من التواريخ .

(٢) بياض في الأصل ، وقد شقط منه ذكر أم أمين ونسبهـا كما أنه سقط بين امين و بين اسماعيل من آبائه (ص) وذكر أمهاتهم وأنسابها . (م . ص)

من سليم ، وعدوانيتان ، وهذلية وأسدية .

فأما القرشيات فولدته من قبل أسد بن عبد العزى ، أم اسد بن عبد العزى الحطيا وهي ريطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وأمها قيلة بنت حذافة بن جمح وأمها أمية بنت عامر بن الحسان بن الحارث ، وهو غسان بن خزاعة ، وأمها عاتكة بنت هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وأم هلال بن وهيب عاتكة بنت عنوارة بن الطرب بن الحارث بن فهر ، وأمها عاتكة بنت مخلد بن النضر بن كنانة بن خزيمة .

وأما السليميات فولدته من قبل هاشم ، أم هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مرة ابن سميم بن منصور ، وأم مرة بن هلال عاتكة بنت مرة بن عدي بن سليمان بن قصي بن حزاعة ، ويقال هي عاتكة بنت جابر بن قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس ابن بهثة بن سليم .

وأما العدوانيتان فولدتاه من قبل أمهات أبيه عبد الله ومن قبل مالك بن النضر فاما التي ولدته من قبل عبد الله فهي السابعة من أمهاته « ويقال » الخامسة وهي عاتكة بنت عامر بن طرب بن عمرو بن يشكر بن الحرث ، وهو عدوان بن عمرو بن قيس ابن عيلان ، ومن قال هي الخامسة فيقول عاتكة بنت عبد الله بن الحارث بن وائلة ابن طرب بن عمرو ، وأما العدوانية الثانية فأم مالك بن النصر بن كنانة ، وهي عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان .

وأما الهدلية فولدته من قبل هاشم . وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال ، وامها ماوية بنت حورة بن عمرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فأم معاوية بن بكر بن هوازن عاتكة بنت سعد بن هذيل .

واما الأسدية فولدته من قبل كلاب بن مرة . وهي الثالثة من امهاته وهي عاتكة بنت دودان بن اسد بن خزيمة .

وأما القحطانية فولدته من قبل غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وأم غالب بن فهر ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة ، وأمها سلمى بنت طابخة بن الياس ابن مضر ، وأمها عاتكة بنت الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وهي الثالثة من أمهات النضر بن كنانة .

وأما القضاعية فولدته من قبل كعب بن لوي ، وهي الثالثة من أمهاته عاتكة بنت رشدان بن قيس بن جهينة بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة .

تسمية من ولدته من الفواطم

قال وأخبرني غير واحد من أهل العلم أنه كان يكثر يوم حنين ويقول أنا ابن الفواطم ، فاخبرني النسابون أنه ولدته من الفواطم أربع فواطم قرشية وقيسيتان وأزدية فاما القرشية فولدته من قبل أبيه عبد الله بن عبد المطلب ، وهي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم .

والقيسيتان أم عمرو بن عائذ بن عمران ، وهي فاطمة بنت ربيعة بن عبد العزى ابن رزام بن بكر بن هوازن وأمها فاطمة بنت الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور والأزدية أم قصي بن كلاب ، وهي فاطمة بنت سعد بن سهل .

وكان عمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ لما قبضه الله على مكة عتاب بن أسيد ابن العاص ، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي والمنذر بن ساوى التميمي [وبعضهم] يقول مكان العلاء أبان بن سعيد بن العاص ، وعلى عمان عباد وجيفر ابنا الجلندى ﴿ وقال بعضهم ﴾ عمرو بن العاص ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ، وعلى اليمن معاذ بن جبل وابو موسى عبد الله بن قيس الأشعري بفقهان الناس ، وعلى مخاليف الجند وصنعاء المهاجر بن أبي أمية المخزومي ، وعلى حضرموت زياد بن لبيد الأنصاري ، وعلى مخاليف اليمن خالد بن سعيد بن العاص وعلى ناحية من نواحيها يعلى بن منبة التميمي ، وعلى نجران فروة بن مسيك المرادي ﴿ وقال بعضهم ﴾ أبو سفيان بن

حرب ، وعلى صدقات أسد وطيء عدي بن حاتم ، وعلى صدقات حنظلة مالك بن نويرة الحنظلي « وقال بعضهم » على صدقات بني يربوع ، وعلى صدقات بني عمرو وتميم سمرة بن عمرو بن جناب العنبري ، وعلى صدقات بني سعد الزبرقان بن بدر وعلى صدقات مقاعس والبطون قيس بن عاصم .

خبر سقيفة بني ساعدة

وبيعة أبي بكر

واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « . . (١) . . » يغسل فاجلست سعد بن عبادة الخزرجي وعصبته بعصابة وثنت له وسادة وبلغ أبا بكر وعمر والمهاجرين فاتوا مسرعين فنحوا الناس عن سعد وأقبل أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالوا يا معاشر الأنصار منا رسول الله فنحن أحق بمقامه ، وقالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر منا الأمراء وأنتم الوزراء ، فقام ثابت بن قيس بن شماس وهو خطيب الأنصار فتكلم وذكر فضلهم ، فقال أبو بكر ما ندفعكم عن الفضل وما ذكرتم من الفضل فانتم له أهل ولكن قريش أولى بمحمد منكم وهذا عمر بن الخطاب الذي قال رسول الله أعز الدين به ، وهذا أبو عبيدة بن الجراح الذي قال رسول الله أمين هذه الأمة فبايعوا أيهما شئتم فابيا وقالوا والله ما كنا لنتقدمك وأنت صاحب رسول الله وثاني اثنين فضرب أبو عبيدة على يد أبي بكر وثنى عمر ثم بايع من كان معه من قريش ، ثم نادى ابو عبيدة يا معشر الأنصار انكم كنتم أول من نصر فلا تكونوا أول من غير وبدل . وقام عبد الرحمان بن عوف وتكلم فقال يا معشر الأنصار إنكم وإن كنتم على فضل فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعلي . وقام المنذر بن الأرقم فقال ما ندفع فضل من ذكرت

(١) بياض في الأصل وفيه سقط ولعله (وهو بعد) لم يغسل الخ . (م ص)

وإن فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد — يعني علي بن أبي طالب — فوثب بشير بن سعد من الخزرج فكان أول من بايعه من الأنصار وأسيد بن حضير الخزرجي وبايع الناس حتى جعل الرجل يطفر وسادة سعد بن عبادة وحتى وطئوا سعداً وقال عمر اقتلوا سعداً قتل الله سعداً ، وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال يا معشر بني هاشم بويع أبو بكر ، فقال بعضهم ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولى بمحمد ، فقال العباس فعلوها ورب الكعبة ، وكان المهاجرون والأنصار لا يشكون في علي عليه السلام فلما خرجوا من الدار قام الفضل ابن العباس وكان لسان قريش فقال يا معشر قريش إنه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه ونحن أهلها دونكم وصاحبنا أولى بها منكم وقام عتبة بن أبي لهب فقال :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف * عن هاشم ثم منهـا عن أبي الحسن
عن أول الناس ايمانا وسابقة * وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن * جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به * وليس في القوم ما فيه من الحسن

فبعث اليه علي عليه السلام فنهاه ، وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم العباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام بن العاص ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبي ابن كعب ، فارسل أبو بكر الى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة ابن شعبة فقال ما الرأي قالوا الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب فتجعل له في هذا الأمر نصيباً نكون له ولعقبه من بعده فتقطعون به ناحية علي بن ابي طالب حجة لكم على علي إذا مال معكم فانطلق ابو بكر وعمر وابو عبيدة بن الجراح والمغيرة حتى دخلوا على العباس ليلاً ، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه ، ثم قال ﴿ إن الله بعث

محمداً نبياً وللمؤمنين ولياً فمنّ عليهم بكونه بين أظهرهم حتى اختار له ما عنده فخلى على الناس أموراً ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم مشفقين فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً فوليت ذلك، وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا حيرة ولا جبناً وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب وما أنفك يبلغني عن طاعن يقول الخلاف على عامة المسلمين يتخذكم لجأ فتكون حصنه المنيع وخطبه البديع فاما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه وإما صرفتموهم عما مالوا اليه ولقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك إذ كنت عم رسول الله وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك . . (١) . . عنكم ، على رسلكم بني هاشم فان رسول الله منا ومنكم » .

فقال عمر بن الخطاب إي والله وأخرى إنا لم نأتكم لحاجة اليكم ولكن كرهاً أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم .

فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال : إن الله بعث محمداً كما وصفت نبياً وللمؤمنين ولياً فمن على أمته به حتى قبضه الله اليه واختار له ما عنده فخلى على المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحق لا مائلين بزيغ الهوى فان كنت برسول الله فحقاً أخذت وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم فما تقدمنا في أمرك فرطاً ولا حللنا وسطاً ولا برحنا سخطاً وإن كان هذا الأمر إنما وجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين ما أبعد قولك من أنهم طعنوا عليك من قولك إنهم اختاروك ومالوا اليك وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلى على الناس امورهم ليختاروا فاختاروك فأما ما قلت إنك تجعله لي فان كان حقاً المؤمنين فليس لك أن تحكم فيه وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض وعلى رسلك فان رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها

(١) بياض في الأصل ، ولعل الساقط (فعدلوا بالأمر) عنكم الخ . كما في الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٦ . (م . ص)

فخرجوا من عنده ، وكان فيمن تخلف عن بيعة أبي بكر ابو سفيان بن حرب وقال أرضيتم يا بني عبد مناف أن يلي هذا الأمر عليكم غيركم وقال لعلي بن أبي طالب أمدد يدك أبايعك وعلي معه قصي فقال :

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم * ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيكم واليكم * وليس لها إلا أبو حسن علي
أبا حسن فاشدد بها كف حازم * فانك بالأمر الذي يرتجى ملي
وإن امرءاً يرمي قصياً وراءه * عزيز الحمى والناس من غالب قصي

وكان خالد بن سعيد غائباً فأتى علياً فقال هلم أبايعك فو الله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك واجتمع جماعة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام يدعونه الى البيعة له فقال لهم اغدوا على هذا محلقين الرؤوس فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر .

وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله فاتوا في جماعة حتى هجموا على الدار وخرج علي (١) ومعه السيف فلقيه عمر فصارعه عمر فصرعه وكسر سيفه ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجن الى الله فخرجوا وخرج من كان في الدار وأقام القوم أياماً ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع ولم يبايع علي عليه السلام إلا بعد ستة أشهر وقبل أربعين يوماً .

* *
*

(١) لعل تصحيح (فخرج الزبير) لاتفاق المؤرخين على أن الذي خرج من البيت وكسر عمر سيفه هو الزبير لا علي فالظاهر أن ذلك وقع من غلط الناسخ أو الطابع فراجع . (م . ص)

أيام أبي بكر

وكانت بيعة أبي بكر يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة في اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واسم أبي بكر عبد الله ابن عثمان بن عامر ، وكان يسمى عتيقاً لجماله ، وأمه سلمى بنت صخر من بني تيم بن مرة ، وكان منزله بالسنح (١) خارج المدينة ، وكانت امرأته حبيبة بنت خارجة فيه ، وكان له ايضاً منزل بالمدينة فيه أسماء بنت عميس فلما ولي كان منزله المدينة وأتته فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تطلب ميراثها من أبيها فقال لها قال رسول الله ﴿ إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة ﴾ فقالت أفي الله أن ترث أباك ولا أرث أبي أما قال رسول الله المرء يحفظ في ولده فبكى ابو بكر بكاء شديداً

وأمر أسامة بن زيد أن ينفذ في جيشه وسأله أن يترك له عمر يستعين به على أمره فقال فما تقول في نفسك فقال يا ابن أخي فعل الناس ما ترى فدع لي عمر وانفذ لوجهك فخرج أسامة بالناس وشيعه ابو بكر فقال له ما أنا بموصيك بشيء ولا آمرك به وإنما آمرك بما أمرك به رسول الله وامض حيث ولاك رسول الله فنفذ أسامة فاقام منذ خرج إلى أن قدم المدينة منصرفاً ستين يوماً أو اربعين يوماً ثم دخل المدينة ولواؤه معقود حتى دخل المسجد فصلى ثم دخل الى بيته ولواؤه الذي عقده رسول الله (ص) معه .

وصعد ابو بكر المنبر عند ولايته الأمر فجلس دون مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمرقاة ثم حمد الله وأثنى عليه وقال ﴿ إني وليت عليكم ولست بخيركم فان استقمت فاتبعوني وإن زغت فقوموني لا أقول إني أفضلكم فضلاً ولكني أفضلكم حملاً ﴾ وأثنى على الأنصار خيراً وقال انا وإياكم معشر الأنصار كما قال القائل .

جزى الله عنا جعفراً حين أزلفت * بنا نعلنا في الواطئين فزلت
ابوا أن يملونا ولو أن امنا * تلاقي الذي يلقون منا لملت

---

(١) بالضم ، كقفل .

فاعتزلت الأنصار عن أبي بكر فغضبت قريش وأحفظها ذلك فتكلم خطباؤها وقدم عمرو بن العاص فقالت له قريش قم فتكلم بكلام تنال فيه من الأنصار ففعل ذلك فقام الفضل بن العباس فرد عليهم ثم صار الى علي عليه السلام فأخبره وأنشده شعراً قاله فخرج علي مغضباً حتى دخل المسجد فذكر الأنصار بخير ورد على عمرو بن العاص قوله فلما علمت الأنصار ذلك سرها وقالت ما نبالي بقول من قال مع حسن قول علي واجتمعت الى حسان بن ثابت فقالوا أجب الفضل فقال إن عارضته بغير قوافيه فضحني فقالوا فاذكر علياً فقط ، فقال :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه * أبا حسن عنا ومن كأبي حسن

سبقت قريشاً بالذي أنت أهله * فصدرك مشروح وقلبك ممتحن

تمنت رجال من قريش أعزة * مكانك هيهات الهزال من السمن

وأنت من الاسلام في كل منزل * بمنزلة الطرف البطين من الرسن

وكنت المرجى من لوي بن غالب * لما كان منه والذي بعد لم يكن

حفظت رسول الله فينا وعهده * اليك ومن أولى به منك من ومن

ألست أخاه في الاخا ووصيه * وأعلم فهر بالكتاب وبالسنن

وتنبأ جماعة من العرب ، وارتد جماعة ووضعوا التيجان على رؤوسهم وامتنع قوم من دفع الزكاة الى أبي بكر ، وكان ممن تنبأ طليحة بن خويلد الأسدي بنواحيه وكان أنصاره غطفان ورئيسهم عيينة بن حصن الفزاري ، والأسود العنسي باليمن ومسيلمة بن حبيب الحنفي باليمامة ، وسجاح بنت الحارث التميمية ثم تزوجت بمسيلمة وكان الأشعث بن قيس مؤذنها ، فخرج ابو بكر في جيشه الى ذي القصة (١) ودعا عمرو بن العاص فقال يا عمرو إنك ذو رأي قريش وقد تنبأ طليحة فما ترى في علي قال لا يطيعك قال فالزبير قال شجاع جسر قال فطلحة قال للخفض والطعن قال فسعد

(١) ذو القصة بفتح القاف موضع على أربعة وعشرين من المدينة المشرفة (تاج العروس)

قال محش حرب قال فعثمان قال أجلسه واستعن برأيه قال فخالد بن الوليد قال بسوس للحرب نصير للموت له أناة القطاة ووثوب الأسد ، فلما عقد له قام ثابت بن قيس ابن شماس وقال ﴿ يا معشر قريش أما كان فينا رجل يصلح لما تصلحون له أما والله ما نحن عمياً عما نرى ولا صماً عما نسمع ولكن أمرنا رسول الله بالصبر فنحن نصبر ﴾ وقام حسان فقال :

يا للرجال لخلفة الأطوار * ولما أراد القوم بالأنصار
لم يدخلوا منا رئيساً واحداً * يا صاح في نقض ولا إمرار

فعظم على أبي بكر هذا القول فجعل على الأنصار ثابت بن قيس وأنفذ خالداً على المهاجرين فقصد طليحة ففرق جمعه وقتل خلقاً من أتباعه وأخذ عيينة بن حصن فبعث به الى أبي بكر مع ثلاثين أسيراً وهو مكبل بالحديد فجعل الصبيان يصيحون به لما دخل المدينة يا مرتد فيقول ما أمنت طرفة عين قط فاستتابه وأطلق سبيله ولحق طليحة بالشأم وجاور بني حنيفة وبعث بشعر الى أبي بكر يعتذر اليه ويراجع الاسلام يقول فيه :

فهل يقبل الصديق أني مراجع * ومعط بما أحدثت من حدث يدي
وأني من بعد الضلالة شاهد * شهادة حق لست فيها بملحد

فلما انتهى قوله الى أبي بكر رق له وبعث اليه فرجع ، وقد هلك ابو بكر وقام عمر على قبره وبعث به مع سعد بن أبي وقاص الى العراق وأمره أن لا يستعمله .

وأما الأسود بن عنزة (١) العبسي فقد كان تنبأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما بويع ابو بكر ظهر أمره واتبعه على ذلك قوم فقتله قيس بن مكشوح المرادي وفيروز الديلمي دخلا عليه منزله وهو سكران فقتلاه .

---

(١) كذا في الأصل ، وذكره ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ١١ وسماه عيهلة بن عوف بن كعب العنسي — بالنون — وعنس بطن من مذحج ، وكان يلقب ذا الخمار لأنه كان معتماً متخمراً أبداً . (م . ص)

وقد كان ابو بكر عقد لشرحبيل بن حسنة وأمره أن يقصد لمسيلمة الكذاب وإلا يأتيه برأيه ثم عقد لخالد وبعثه على شرحبيل فكتب خالد الى شرحبيل أن لا تعجل حتى آتيك ، ونفذ خالد بن الوليد مسرعاً إلى اليمامة الى مسيلمة الحنفي الكذاب وكان قد أسلم ثم تنبأ في سنة عشر وزعم أنه شريك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النبوة وكان كتب الى رسول الله ﴿ ص ﴾ إني أشركت معك فلك نصف الأرض ولي نصفها ولكن قريش قوم لا يعدلون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ فلقي خالد مجاعة في جماعة فأسرهم وضرب أعناقهم واستبقى مجاعة وزحف الى مسيلمة فخرج مسيلمة فقاتله بمن معه من ربيعه وغيرها قتالاً شديداً وقتل من المسلمين خلق عظيم ثم قتل مسيلمة في المعركة طعنه أبو دجانة الأنصاري فمشى اليه مسيلمة في الرمح فقتله ورماه وحشي بحربته فقتله وهو يومئذ ابن مائة وخمسين سنة وأتى مجاعة الحنفي الى خالد فأوهمه أن في الحصن قوماً بعد وقال ما أتاك إلا سرعان الناس ، ودعا الى الصلح فصالحهم خالد على الصفراء والبيضاء ونصف السبي ثم نظروا وليس في الحصن أحد إلا النساء والصبيان فألبسهم السلاح ووقفهم على الحصون ثم أسار الى خالد فقال أبوا علي فتأخذ الربع ففعل ذلك خالد وقبل منهم فلما فتحت الحصون لم يجدوا إلا النساء والصبيان فقال أمكراً يا مجاعة قال إنهم قومي وأجازلهم وافتتحت اليمامة وهربت سجاح فماتت بالبصرة ، وكان فتح مسيلمة في سنة إحدى عشرة وقتل في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة ، وخطب خالد إلى مجاعة ابنته فزوجه إياها فكتب اليه ابو بكر تتوثب على النساء وعند أطناب بيتك دماء المسلمين .

وأمر ابو بكر خالداً أن يسير الى العراق فسار ومعه المثنى بن الحارثة حتى صار الى مدينة « بانقيا » فافتتحها وسبى من فيها ثم صار الى مدينة « كسكر » فافتتحها وسبى من فيها ثم سار حتى لقي بعض ملوك الأعاجم يقال له « جابان » فهزمه وقتل

أصحابه ثم سار حتى انتهى الى فرات بادقلى يريد ﴿ الحيرة ﴾ وملكها النعمان فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزم النعمان فلحق بالمدائن ونزل خالد ﴿ الخورنق ﴾ وسار حتى صير الحيرة خلف ظهره وكانوا على محاربته ثم دعوا إلى الصلح فصالحهم على سبعين الفاً عن رؤوسهم ﴿ وقيل ﴾ مائه الف درهم .

وتجرد أبو بكر لقتال من ارتد وكان ممن ارتد وممن وضع التاج على رأسه من العرب [النعمان] بن المنذر بن ساوى التميمي بالبحرين فوجه العلاء بن الحضرمي فقتله ﴿ ولقيط ﴾ بن مالك ذو التاج بعمان وجه اليه حذيفة بن محصن فقتله بصحار من أرض عمان ، وكان ذو التاج « . . (١) . . » من بني ناجية وبشر كثير من عبد القيس فقتل الله ذا التاج وسبى المسلمون ذراريهم وبعثوا بها الى ابي بكر فباعها باربع مائة درهم ، ثم وجه لقتال من منع الزكاة وقال لو منعوني عقالاً لقاتلتهم وكتب الى خالد بن الوليد أن ينكفئ الى مالك بن نويرة اليربوعي فسار اليهم ﴿ وقيل ﴾ إنه كان نداهم (٢) فأتاه مالك بن نويرة يناظره واتبعته امرأته فلما رآها خالد أعجبته فقال والله لا نلت ما في مثابتك حتى أقتلك فنظر مالكاً فضرب عنقه وتزوج امرأته فلحق ابو قتادة بابي بكر فاخبره الخبر وحلف أن لا يسير تحت لواء خالد لأنه قتل مالكاً مسلماً ، فقال عمر بن الخطاب لأبي بكر يا خليفة رسول الله إن خالداً قتل رجلا مسلماً وتزوج امرأته من يومها فكتب ابو بكر الى خالد فأشخصه فقال يا خليفة رسول الله إني تأولت وأصبت وأخطأت ، وكان متمم بن نويرة شاعراً فرثى أخاه

---

(١) بياض في الأصل ، قال ابن الأثير في الكامل ج ٢ ص ١٤٣ « جمع لقيط ذو التاج جموعه وعسكر بدبا وخرج جيفر وعياذ وعسكرا بصحار وارسلا الى حذيفة وعكرمة وعرفجة فقدموا عليهما . . فاقتتلوا وجاءت المسلمين موادهم العظمى من بني ناجية » الخ .

(٢) كذا في الأصل ، واعله تصحيف [بدأهم] . (م . ص)

بمراث كثيرة ولحق بالمدينة الى أبي بكر فصلى خلف ابي بكر صلاة الصبح فلما فرغ ابو بكر من صلاته قام متمم فاتكأ على قوسه ثم قال :

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت يابن الأزور

أدعوته بالله ثم غدرته * لو هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال ما دعوته ولا غدرت به ، وكتب ابو بكر الى زياد بن لبيد البياضي في قتل من ارتد باليمن ومنع الزكاة فقاتلهم ، وكان لكندة ملوك عدة يتسمون بالملك ولكل واحد منهم حمى لا يرعاه غيره فأغار زياد ليلاً وهم في محاجرهم فأصاب الملوك [جمداً ومخوصاً ومشرح وأبضعة] وسبى النعم وسباياً كثيرة فعارضهم الأشعث بن قيس فانتزع السبايا من أيديهم وانتهى الى ابي بكر بارتداد الأشعث وما فعل فوجه عكرمة ابن أبي جهل في جيش لمحاربتهم فوافى وقد حصرهم زياد بن لبيد والمهاجر بن أبي أمية وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغنموا غنائم كثيرة فقال المهاجر وزياد لمن معهما قد قدم إخوانكم من الحجاز فأشركوهم وأعطوهم وطلب الأشعث الصلح وأخذ الأمان لعشيرته ونسي نفسه فلما قرأ عكرمة الصحيفة وليس فيها اسم الأشعث كبر وأخذه فأتى به أبا بكر في وثاق فمن عليه أبو بكر وأطلق سبيله وزوجه أم فروة أخته .

وأراد ابو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقدموا وأخروا فاستشار علي بن أبي طالب عليه السلام فأشار أن يفعل فقال إن فعلت ظفرت فقال بشرت بخير ، فقام ابو بكر في الناس خطيباً وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم فسكت الناس فقام عمر فقال لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لانتدبتموه فقام عمرو بن سعيد فقال لنا تضرب أمثال المنافقين يا ابن الخطاب فما يمنعك انت ماعبت علينا فيه فتكلم خالد بن سعيد وأسكت أخاه فقال ما عندنا إلا الطاعة فجزاه ابو بكر خيراً ، ثم نادى في الناس بالخروج وأميرهم خالد بن سعيد وكان خالد من عمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باليمن فقدم وقد توفي رسول الله ﴿ ص ﴾ فامتنع عن البيعة

ومال الى بني هاشم فلما عهد ابو بكر لخالد قال له عمر أتولي خالداً وقد حبس عنك بيعته وقال لبني هاشم ما قد بلغك فو الله ما أرى أن توجهه وحل لواءه ودعا يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص فعقد لهم وقال إذا اجتمعتم فأمير الناس ابو عبيدة وقدمت عليه العشاير من اليمن فانفذهم جيشاً بعد جيش فلما قدمت الجيوش الشام كتب اليه ابو عبيدة يعلمه إقبال ملك الروم في خلق عظيم فجعل يسرح اليه الجيش بعد الجيش والأول فالأول ممن يقدم عليه من قبائل العرب ثم تتابعت عليه كتب ابي عبيدة بكل أخبار جمع الروم فوجه ابو بكر عمرو بن العاص في جيش من قريش وغيرهم ثم كتب ابو بكر الى خالد بن الوليد أن يسير الى الشأم ويخلف المثنى بن حارثة بالعراق فنفذ خالد في أهل القوة ممن كان معه وخلف المثنى ابن حارثة الشيباني في بقية الجيش بالعراق وسار خالد الى الشأم فلما صار الى عين التمر لقي رابطة لكسرى عليهم عقبة بن أبي هلال النمري فتحصنوا منه ثم نزلوا على حكمه فضرب عنق النمري ثم سار حتى لقي جمعاً لبني تغلب عليهم الهذيل بن عمران فقدمه فضرب عنقه وسبى منهم سبايا كثيرة بعث بهم الى المدينة وبعث الى كنيسة اليهود فأخذ منهم عشرين غلاماً وصار الى الأنبار فاخذ دليلا يدله على طريق المفازة فمر بتدمر فتحصن أهلها فاحاط بهم ففتحوا له وصالحهم ثم مضى الى حوران فقاتلهم قتالا شديداً .

فقيل إن خالداً سار في البرية والمفازة ثمانية أيام حتى وافاهم فافتتحوا ﴿ بصرى وأجنادين ﴾ من فلسطين وكانت بينهم وبين الروم وقعات باجنادين صعبة في كل ذلك يهزم الله الروم وتكون العاقبة للمسلمين .

وروى بعضهم أن خالد بن الوليد صار الى غوطة دمشق ثم فرعها الى ثنية ومعه راية بيضاء تدعى ﴿ العقاب ﴾ فبها سميت ثنية العقاب وصار الى حوران فقصد مدينة ﴿ بصرى ﴾ فحاربهم فسألوه الصلح فصالحهم ثم صار الى [أجنادين] وبها جمع للروم فحاربهم محاربة شديدة وتفرق جمع الكفرة وكانت وقعة أجنادين يوم السبت

لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة .

وبعث ابو بكر عثمان بن ابي العاص وندب معه عبد القيس فسار في جيش الى توّج فافتتحها وسبى أهلها وافتتح مكران وما يليها ، ووجه العلاء بن الحضرمي في جيش فافتتح ﴿ الزرارة ﴾ وناحيتها من أرض البحرين وبعث الى أبي بكر بالمال فكان أول مال قسمه ابو بكر في الناس بين الأحمر والأسود والحر والعبد ديناراً لكل انسان .

وقدم أياس بن عبد الله بن الفجاءة السلمي على أبي بكر فقال يا خليفة رسول الله إني قد اسلمت فاعطاه ابو بكر سلاحاً فخرج من عنده فبلغه أنه يقطع الطريق فكتب الى طريفة بن حاجزة إن عدو الله ابن الفجاءة خرج من عندي فبلغني أنه قطع الطريق وأخاف السبيل فسر اليه حتى تأخذه ، وتقدم طريفة فسار اليه فقتل قوماً من أصحابه ثم لقيه فقال إني مسلم وإنه مكذوب علي فقال طريفة فان كنت صادقاً فاستأسر حتى تأتي أبا بكر فتخبره فاستأسر فلما قدم به على ابي بكر أخرجه الى البقيع فحرّقه بالنار وحرق ايضاً رجلا من بني أسد يقال له [شجاع] بن ورقاء كان ينكح « ..... »

وقال عمر بن الخطاب لأبي بكر يا خليفة رسول الله إن حملة القرآن قد قتل اكثرهم يوم اليمامة فلو جمعت القرآن فاني أخاف عليه أن يذهب حملته فقال ابو بكر أفعل مالم نفعله رسول الله فلم يزل به عمر حتى جمعه وكتبه في صحف وكان مفترقاً في الجريد وغيرها وأجلس خمسة وعشرين رجلا من قريش وخمسين رجلا من الأنصار وقال اكتبوا القرآن واعرضوا على سعيد بن العاص فانه رجل فصيح .

﴿ وروى بعضهم ﴾ أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان جمعه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتى به يحمله على جمل فقال هذا القرآن قد جمعته وكان قد جزأه سبعة أجزاء .

﴿ فالجزء الأول ﴾ البقرة وسورة يوسف والعنكبوت والروم ولقمان وحم السجدة والذاريات وهل أتى على الانسان وآلم تنزيل السجدة والنازعات وإذا الشمس

كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت وسبح اسم ربك الأعلى ولم يكن فذلك جزء البقرة ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

﴿ الجزء الثاني ﴾ آل عمران وهود والحج والحجر والأحزاب والدخان والرحمن والحاقة وسأل سائل وعبس والشمس وضحاها وإنا أنزلناه وإذا زلزلت وويل لكل همزة لمزة وألم تر ولايلاف ، فذلك جزء آل عمران ثمان مائة وست وثمانون آية وهو خمس عشرة سورة .

﴿ الجزء الثالث ﴾ النساء والنحل والمؤمنون ويس وحم عسق والواقعة وتبارك الملك ويا أيها المدثر وأرأيت وتبت وقل هو الله احد والعصر والقارعة والسماء ذات البروج والتين والزيتون وطس النمل ، فذلك جزء النساء ثمانمائة وست وثمانون آية وهو سبع عشرة سورة .

﴿ الجزء الرابع ﴾ المائدة ويونس ومريم وطس والشعراء والزخرف والحجرات وق والقرآن المجيد واقتربت الساعة والممتحنة والسماء والطارق ولا أقسم بهذا البلد وألم نشرح لك والعاديات وإنا أعطيناك الكوثر وقل يا أيها الكافرون ، فذلك جزء المائدة ثمانمائة وست وثمانون آية وهو خمس عشرة سورة .

﴿ الجزء الخامس ﴾ الأنعام وسبحان واقترب والفرقان وموسى وفرعون وحم المؤمن والمجادلة والحشر والجمعة والمنافقون ون والقلم وإنا أرسلنا نوحاً وقل أوحي إلي والمرسلات والضحى وألهاكم ، فذلك جزء الأنعام ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

﴿ الجزء السادس ﴾ الأعراف وابراهيم والكهف والنور وص والزمر والجاثية والذين كفروا والحديد والمزمل ولا أقسم بيوم القيامة وعم يتساءلون والغاشية والفجر والليل إذا يغشى وإذا جاء نصر الله ، فذلك جزء الأعراف ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

﴿ الجزء السابع ﴾ الأنفال وبراءة وطه والملائكة والصافات والأحقاف والفتح والطور والنجم والصف والتغابن والطلاق والمطففين والمعوذتين ، فذلك جزء الأنفال ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

﴿ وقال بعضهم ﴾ إن عليًا قال نزل القرآن على أربعة ارباع ربع فينا وربع في عدونا وربع أمثال وربع محكم ومتشابه .

وقسم ابو بكر بين الناس بالسوية لم يفضل احداً على أحد وكان يأخذ في كل يوم من بيت المال ثلاثة دراهم أجرة ، وكان تسمى خليفة رسول الله ، واعتل ابو بكر في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة فلما اشتدت به العلة عهد الى عمر بن الخطاب فامر عثمان أن يكتب عهده وكتب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد ابو بكر خليفة رسول الله الى المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فاني أحمد اليكم الله أما بعد فاني قد استعملت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا وأطيعوا وإني ما آلوتكم نصحاً والسلام ﴾ وقال لعمر بن الخطاب يا عمر أحبك محب وأبغضك مبغض فلئن أبغض الحق فلقديماً ما ولئن استمر في الباطل فلربما ، ودخل عبد الرحمان بن عوف في مرضه الذي توفي فيه فقال كيف أصبحت يا خليفة رسول الله فقال أصبحت موليًا وقد زدتموني على ما بي إذ رأيتموني استعملت رجلا منكم فكلكم قد أصبح ورماً أنفه وكل يطلبها لنفسه ، فقال عبد الرحمن والله ما أعلم صاحبك إلا صالحاً مصلحاً فلا تأس على الدنيا قال ما آسى إلا على ثلاث خصال صنعتها ليتني لم أكن صنعتها ، وثلاث لم أصنعها ليتني كنت صنعتها وثلاث ليتني كنت سألت رسول الله عنها ، فاما الثلاث التي صنعتها فليت أني لم أكن تقلدت هذا الأمر وقدمت عمر بين يدي فكنت وزيراً خيراً مني أميراً ، وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال ولو كان أغلق على حرب ، وليتني لم أحرق الفجاءة السلمي إما أن اكون قتلته سريحاً أو أطلقته نجيحاً ، والثلاث التي ليت اني كنت فعلتها فليتني قدمت الأشعث بن قيس وضربت عنقه فانه تخيل إلي انه لا يرى شيئاً

من الشر إلا أعان عليه ، وليت أني بعثت أبا عبيدة الى المغرب وعمر الى أرض المشرق فأكون قدمت يدي في سبيل الله ، وليت أني ما بعثت خالد بن الوليد الى براخة ولكن خرجت فكنت ردءاً له في سبيل الله ، والثلاث التي وددت أني سألت رسول الله عنهن فلمن هذا الأمر فلا ننازعه فيه وهل للأنصار فيه من شيء ، وعن العمة والخالة أيورثان او لا يورثان ، وإني ما أصبت من دنياكم بشيء ولقد أقمت نفسي في مال الله وفيء المسلمين مقام الوصي في مال اليتيم إن استغنى تعفف وإن افتقر أكل بالمعروف ، وإن والي الأمر بعدي عمر بن الخطاب ، وإني استسلفت من بيت المال مالاً فاذا مت فابيع حائطي في موضع كذا وليرد الى بيت المال ، وأوصى ابو بكر بغسله أسماء بنت عميس امرأته فغسلته ودفن ليلاً وورثه ابو قحافة السدس .

وكان الغالب على ابي بكر عمر بن الخطاب ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة ومن شهور العجم في آب « وقيل » لليلتين بقيتا منه سنة ثلاث عشرة ، وصلى عليه عمر بن الخطاب ودفن في البيت الذي فيه قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان له يوم توفي ثلاث وستون سنة ، وكان له من الولد الذكور ثلاثة ، توفي أحدهم في حياته وهو عبد الله ، وخلف اثنين محمداً وعبدالرحمن وكان حاجبه مولاه سديد ، وكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر وحج بالناس سنة اثنتي عشرة ، وكان عمال ابي بكر لما توفي عتاب بن أسيد في مكة ، وعثمان بن ابي العاص على الطائف ، ورجل من الأنصار على اليمامة ، وحذيفة بن محصن على عمان والعلاء بن الحضرمي على البحرين ، وخالد بن الوليد على جيش الشأم ، والمثنى بن حارثة الشيباني على الكوفة ، وسويد بن قطبة على البصرة .

صفة أبي بكر

وكان ابو بكر أبيض نحيفاً خفيف العارضين أحنى لا يستمسك أزاره على حقويه معروق الوجه غائر العينين عاري الاشاجع يخضب لحيته بالحناء والكتم .

وكان من يؤخذ عنه الفقه في أيام أبي بكر علي بن أبي طالب عليه السلام وعمر ابن الخطاب ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله ابن مسعود .

أيام عمر بن الخطاب

ثم استخلف عمر بن الخطاب — بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب ، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة « وقيل » لسبع بقين منه سنة ثلاث عشرة ، وكان ذلك من شهور العجم في آب ، والشمس يومئذ في الأسد ست عشرة درجة ، والقمر في العقرب اربعاً وعشرين درجة وعشر دقائق وزحل في القوس ثلاثين درجة راجعاً ، والمشتري في الحوت تسع درجات وثلاثين دقيقة راجعاً ، والمريخ في الثور إحدى وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، والزهرة في الحوت تسع درجات ، وعطارد في السنبلة عشر درجات وثلاثين دقيقة ، والرأس في القوس اثنتي عشرة درجة وخمساً وثلاثين دقيقة .

فصعد المنبر فجلس دون مجلس أبي بكر بمرقاة وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وذكر أبا بكر وفضله وترحم عليه ، ثم قال « ما أنا إلا رجل منكم ولولا إني كرهت أن أرد أمر خليفة رسول الله لما تقلدت أمركم » فأثنى الناس عليه خيراً .

وكان أول ما عمل به عمر أن رد سبايا أهل الردة الى عشائرهم وقال اني كرهت أن يصير السبي سنة على العرب ، وكتب عمر الى أبي عبيدة بن الجراح يخبره بوفاة أبي بكر مع يرفأ مولاه وكتب بعقده وولايته على الشأم مكان خالد بن الوليد مع شداد ابن أوس ، وصير خالداً موضع أبي عبيدة .

وكان عمر سيء الرأي في خالد على أنه ابن خاله لقول كان قاله في عمر وقد

كان خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين فتحوا ﴿ مرج الصفر ﴾ من أرض دمشق وحاصروا مدينة دمشق قبل وفاة أبي بكر باربعة أيام فستر ابو عبيدة الخبر عن خالد حتى ورد كتاب ثان من عمر على أبي عبيدة يأمره أن يتوجه الى ﴿ حمص ﴾ ونواحي الشأم فعلّم بذلك خالداً فقال رحم الله أبا بكر لو كان حيّاً ما عزلني ، وكتب عمر الى ابي عبيدة إن كذب خالد نفسه فيما كان قاله عمّله وإلا فانزع عمامته وشاطره ماله فشاور خالد أخته فقالت والله ما أراد ابن حنتمة إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك من عملك فلا تفعلن فلم يكذب نفسه فقام بلال فنزع عمامته وشاطره ابو عبيدة ماله حتى نعله فافرد واحدة عن الأخرى وأقاموا على ما كانوا عليه في حصار دمشق حولا كاملاً واياماً ، وكان ابو عبيدة بباب الجابية وخالد بباب الشرقي وعمرو بن العاص بباب توما ويزيد بن أبي سفيان بباب الصغير فلما طال على صاحب دمشق الأمر أرسل الى أبي عبيدة فصالحه وفتح له باب الجابية وألح خالد على باب الشرقي لما بلغه أن أبا عبيدة عزم على أن يصالح القوم وأن القوم قد وثقوا به للصلح ففتحه عنوة فقال خالد لأبي عبيدة اسبهم فاني دخلتها عنوة فقال لا قد أمنتهم ، ودخل المسلمون المدينة وتم الصلح وذلك في رجب سنة أربع عشرة .

﴿ وروى الواقدي ﴾ أن خالد بن الوليد صالحهم وكتب الأسقف كتاباً للصلح وأعطاهم الأمان فأجاز ابو عبيدة ذلك .

وفي هذه السنة سن عمر قيام شهر رمضان وكتب بذلك الى البلدان وأمر أبي بن كعب وتميم الداري أن يصليا بالناس فقيل له في ذلك إن رسول الله لم يفعله وإن ابا بكر لم يفعله فقال إن تكن بدعة فما احسنها من بدعة (١)

---

(١) الذي ذكره البخاري في صحيحه ج ٣ في باب فضل من قام رمضان ما رواه عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمان بن عبد القاري أنه قال خرجت مع عمر بن الخطاب [رض] ليلة في رمضان الى المسجد فاذا الناس اوزاع —

ووجه أبو عبيدة عمرو بن العاص الى الأردن وفلسطين لجمع القوم جموعاً ليدفعوا عمراً وأصحابه فوجه ابو عبيدة الى عمرو شرحبيل بن حسنة وتوجه ابو عبيدة نحو جمع الروم ففتح الأردن عنوةً ما خلا طبرية فان أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسهم ، وكان المتولي لذلك شرّحبيل بن حسنة ، وقد كان الروم لما بلغهم إقبال ابي عبيدة تحولوا إلى فحل فعبأ ابو عبيدة المسلمين فجعل على ميمنته معاذ بن جبل وعلى ميسرته هاشم بن عتبة وعلى الرجالة سعد بن زيد وعلى الخيل خالد بن الوليد وأقبلت الروم فكان أول من لقيهم خالد فهزم الله الروم وطلبوا الصلح على ان يؤدوا الجزية فاجابهم ابو عبيدة الى ذلك وانصرف وخلف عمرو بن العاص على باقي الأردن ووجه بخالد على مقدمته الى بعلبك وأرض البقاع فافتتحها وصار الى حمص ولحقه ابو عبيدة فحصروا أهل حمص حصاراً شديداً ثم طلبوا الصلح فصالحهم عن جميع بلادهم على أن عليهم خراج مائة وسبعين الف دينار ثم دخل المسلمون المدينة وبث ابو عبيده عماله في نواحي حمص ثم أتاه خبر ما جمع طاغية الروم من الجموع في جميع البلدان وبعثه اليهم من لاقبل لهم به فرجع الى دمشق وكتب الى عمر بن الخطاب بذلك وكتب اليهم عمر أنه قد كره رجوعكم من أرض حمص الى دمشق ، وجمع ابو عبيدة اليه المسلمين وعسكر باليرموك وكان جبلة بن الأيهم الغساني على مقدمة الروم في جيش من قومه وجعل ابو عبيدة خالد بن الوليد

— متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله وفي تاريخ ابن الأثير (ج ٣ ص ٢٣) عن الواقدي إنه أول من جمع الناس على إمام يصلي بهم التراويح في شهر رمضان وكتب به الى البلدان وأمرهم به ، وعد ذلك السيوطي في [تاريخ الخلفاء] من أوليات عمر « رض »   (م . ص)

على مقدمته فواقع المشركين ولقي ماهان صاحب الروم واقتتلوا قتالاً شديداً ولحقه ابو عبيدة والمسلمون وكانت وقعة جليلة الخطب فقتل من الروم مقتلة عظيمة وفتح الله على المسلمين ، وكان ذلك في سنة خمس عشرة ، وأوفد ابو عبيدة الى عمر وفداً فيهم حذيفة بن اليمان وقد كان عمر أرق عدة ليال واشتد تطلعه الى الخبر فلما ورد عليه الخبر خرّ ساجداً وقال الحمد لله الذي فتح على ابي عبيدة فو الله لو لم يفتح لقال قائل لو كان خالد بن الوليد ، ورجع ابو عبيدة الى حمص ووجه بخالد في آثار الروم حتى صار الى قنسرين وانتهى الى حلب فتحصن أهلها وجاء ابو عبيدة حتى نزل عليها وطلبوا الصلح والأمان فقبل ابو عبيدة ذلك منهم وكتب أماناً ووجه بمالك بن الحارث الأشتر على جمع الى الروم وقد قطعوا الدرب فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم انصرف وقد عافاه الله واصحابه ورجع ابو عبيدة نحو الأردن فحاصر أهل إيلياء — وهو بيت المقدس — فامتنعوا عليه وطاولوه ووجه ابوعبيدة عمرو بن العاص الى قنسرين فصالحهم أهل حلب وقنسرين ومنبج ووضع عليهم الخراج على نحو ما فعل ابو عبيدة بحمص وجمعت غنائم اليرموك بالجابية وكتبوا الى عمر فكتب اليهم لا تحدثوا فيها حدثاً حتى تفتحوا بيت المقدس ، وكان جبلة بن الأيهم الغساني لما انهزمت الروم من اليرموك صار الى موضعه في جماعة قومه فارسل اليه يزيد بن أبي سفيان أن اقطع على ارضك بالخراج وأداء الجزية فقال إنما يؤدي الجزية العلوج وأنا رجل من العرب .

وكان عمر قد بعث أبا عبيد بن مسعود الثقفي في جيش مع المثنى بن حارثة الشيباني الى العراق وكان كسرى قد توفي وقامت بوران ابنته بالملك وصيرت رستم والفيرزان القيمين بامر الملك وكانا ضعيفين مهينين فتقدم ابو عبيد الثقفي فلقي مسلحة من مسالح الفرس فاوقع بهم واقتتلوا قتالاً شديداً ثم أظفر الله المسلمين بهم ومنحهم اكتافهم وبعث اليهم رستم لما بلغه الخبر برجل يقال له « جالينوس » فالتقوا بموضع يقال له [باروسما] فانهزمت الفرس وافتتح ابو عبيد باروسما فوجه اليهم رستم بذي الحاجب وبعث معه

بالفيل فاقتتلوا قتالاً شديداً فجعلت خيل المسلمين تنفر من الفيل فشد عليه ابو عبيد الثقفي بالسيف فقطع مشفره وبرك عليه الفيل فقتله وقام بالجيش المثنى بن حارثة الشيباني فلما انتهى الخبر الى عمر اشتد غمه بذلك وقدم جرير بن عبد الله البجلي من اليمن في ركب من بجيلة رئيسهم عرفجة بن هرثمة — حليف لهم من الأزد — فامرهم عمر بالنفوذ الى العراق وأمر عليهم عرفجة فغضب جرير وقال والله ما الرجل منا فقال عرفجة صدق فوجه عمر جرير بن عبدالله فقدم الكوفة ثم خرج منها فواقع مرزبان بـ ﴿ المذار ﴾ فقتله وانهزم جيشه وغرق اكثرهم في دجلة ثم صار الى ﴿ النخيلة ﴾ وبها مهران في جمعه فواقعه فاقتتلوا قتالاً شديداً وشد المنذر بن حسان على مهران فطعنه فالقاه عن دابته فبادر جرير فاحتز رأسه فاختصما في سلبه فاخذ جرير السلاح والمنذر المنطقة وذلك في سنة أربع عشرة فلما رأت الفرس ما هم فيه من الضعف والمهانة وظهور المسلمين عليهم اجتمعوا على قتل رستم والفيرزان ثم قالوا إن في هذا إشتاتاً لأمرنا فطلبوا ابن كسرى حتى وجدوا ﴿ يزدجرد ﴾ وهو ابن عشرين سنة فملكوه عليهم فضبط أمورهم وحسن تدبيره واشتدت المملكة وقوي أمر الفرس وأخرجوا المسلمين عن المروج فارتد أهل السواد وخرقوا العهود التي كانت في أيديهم وصار المسلمون في الأطراف فلما بلغ ذلك عمر أراد الخروج الى العراق ثم استشار فاشير عليه بسعد بن أبي وقاص فوجهه بثمانية آلاف فسار حتى نزل ﴿ القادسية ﴾ .

ووجه عتبة بن غزوان الى كور دجلة والأبلة وأبر قباذ وميسان ففتحها واختط البصرة وبنى مسجدها بالقصب ﴿ وقد قيل ﴾ ان عمر وجهه لذلك وأقام سعد بالقادسية ثم ظفر المسلمون ببنت ﴿ ازاذ مرد ﴾ وهي تزف على بعض الملوك وأخذوا ما كان معها من الأموال والأثقال وفرقوها على المسلمين فطابت أنفسهم وحسنت قوتهم .

ثم وجه سعد الى كسرى بالنعمان بن مقرّن وجماعة معه يدعونه الى الاسلام فدخلوا

عليه في أحسن زي وعليهم البرود والنعال فأخبروه بما وجههم له سعد ودعوه الى الاسلام والى شهادة الحق والى أداء الجزية فأغضبه ذلك ودعا بتليس تراب فقال احملوه على رأس سيدهم فلولا أن الرسل لا تقتل لقتلتهم فقال عاصم بن عمرو التميمي أنا سيد القوم فحملوه التراب فمضى مسرعاً وقال قد ظفرنا والله بهم ووطئنا أرضهم وبلغ رستم الخبر فغلظ ذلك عليه وقال ما لابن الحجامة ولتدبير الملك ﴿ ويقال ﴾ إن أم يزدجرد كانت حجامة ثم وجه رسلاً في آثارهم ففاتوا الرسل فاشتد رعب كسرى والفرس منهم وأمر رستم أن يتوجه اليهم فكره ذلك فحمل عليه بالقول حتى خرج وهو مكره فلما صار الى ﴿ النجف ﴾ وجه الى سعد أن ابعث إلي بقوم من عندكم لاناظرهم فأرسل سعد المغيرة بن شعبة وبشر بن أبي رهم وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن وربعي بن عامر وقرفة بن زاهر ومذعور بن عدي ومضارب بن يزيد وشعبة بن مرة وكانوا من دهاة العرب فدخلوا عليه رجلاً رجلاً يقول كل واحد منهم مثل مقالة صاحبه ويدعونه الى الاسلام أو أداء الجزية فتبينوا فيه أنه يهوى الدخول في الاسلام ويخاف من اصحابه وكلما عرض على واحد منهم لم ير عنده مسارعة ثم خرج رستم في التعبية للجيش وجلس على سرير من ذهب وأقام مصافه وعدل أصحابه وأيقن بالهلكة وكان منجماً وكتب الى أخيه ﴿ بسم الله ولي الرحمة من الاصبهبذ رستم الى أخيه أما بعد فاني رأيت المشتري في هبوط والزهرة في علو وهو آخر العهد منك والسلام عليك الدهر الدائم ﴾

وخطب سعد بن أبي وقاص المسلمين فرغبهم في الجهاد وأعلمهم ما وعد الله نبيه من النصر وإظهار الدين ورغب كل رجل من المسلمين صاحبه وأنشبت الحرب بينهم بعد صلاة الظهر واقتتلوا قتالاً شديداً وحسن بلاء المسلمين وغناؤهم ، وكان سعد يومئذ عليلاً فصار الى قصر العذيب فنزله وتحصن فيه فبلغ رستم فوجه خيلاً فاحدقت بالقصر فلما بلغ المسلمين ذلك صاروا الى القصر فانهزم أصحاب رستم ثم أصبحوا من غد فوافاهم ستة آلاف من جيش أبي عبيدة بن الجراح وهم الذين كانوا مع خالد بن

الوليد خمسة آلاف من مضر وربيعة والف من أفناء المسلمين عليهم المر قال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص — وكان فتح الشأم قبل القادسية بشهر — فاصبحوا في اليوم الثالث على مواقفهم وأخرج رستم الفيلة فلما نظرت اليها الكتائب كادت أن تفترق ثم حمل المسلمون عليها ففقؤا أعينها وقطعوا مشافرها وزحف المسلمون وأصبحوا في اليوم الرابع والمسلمين العلو وقتل رستم وقع عليه عدل كان على بغل فقتله و كان الذي طرح عليه العدل هلال بن علفة وصعد على سريره وصاح قتلت رستم ورب الكعبة إلي إلي .

﴿ وقيل ﴾ قتله زهير بن عبد شمس ابن أخي جرير بن عبد الله ، وقتل منهم مقتلة عظيمة وانكشفوا مدبرين وجمعت الأموال والأسلاب وبيع سلب رستم فبلغ سهم الرجل لكل فارس اربعة عشر الفًا وسهم الراجل سبعة آلاف ومائة ورضخ لعيال الشهداء من صلب الفيء ورضخ للنساء من صلب الفيء فأما العبيد فانهم عفوا ، وأوفد سعد الى عمر وفداً فأجازهم عمر ثمانين ديناراً ثمانين ديناراً ، وكان بالقادسية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بدر سبعون رجلاً ومن أهل بيعة الرضوان ومن شهد الفتح مائة وعشرون ، ومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مائة ونفرت جميع الفرس إلى المدائن منهزمين لا يلوون على شيء ويزدجرد الملك بها فاتبعهم سعد بالمسلمين فحاصرهم شهراً وخمسة عشر يوماً ثم خرج الفرس هاربين وفتحت المدائن ﴿ وقيل ﴾ إن ذلك كان في سنة ست عشرة .

وفيها أرخ عمر الكتب وأراد أن يكتب التأريخ منذ مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال من المبعث فأشار عليه علي بن أبي طالب عليه السلام أن يكتبه من الهجرة فكتبه من الهجرة .

وتوجه عتبة بن غزوان إلى عمر واستخلف على البصرة مجاشع بن مسعود السلمي والمغيرة بن شعبة في الجيش فلما شخص عتبة جاء من كان بميسان ومن كان بكور دجلة من الأعاجم وعليهم الفيلكان فجمع لهم المغيرة بن شعبة عدة من المسلمين فسار بهم حتى

لبني الأعاجم بـ ﴿ ميسان ﴾ فهزمهم وسبى أهلها عنوة ، وكتب المغيرة بذلك الى عمر بن الخطاب فقال عمر لعتبة استعمل أهل الوبر على أهل المدر ، وكتب الى المغيرة إنك خليفة عتبة بن غزوان حتى يقوم عتبة وخرج عتبة من عند عمر فلما كان ببين المدينة والبصرة توفي عتبة فكتب عمر الى المغيرة بولايته على البصرة فلما كانت وقعة ﴿ القادسية ﴾ صار المغيرة الى سعد ثم رجع الى عمله ، وكان يختلف الى امرأة من بني هلال يقال له ﴿ أم جميل ﴾ زوجة الحجاج بن عتيك الثقفي فاستراب به جماعة من المسلمين فرصده ابو بكرة ونافع بن الحارث وشبل بن معبد وزياد بن عبيد حتى دخل اليهـا فرفعت الريح الستر فاذا به عليها فوفدوا على عمر فسمع عمر صوت أبي بكرة وبينه وبينه حجاب فقال ابو بكرة قال نعم قال لقد جئت ببشر قال انما جاء به المغيرة ثم قص عليه القصة فبعث عمر ابا موسى الأشعري عاملاً مكانه وأمره أن يشخص المغيرة فلما قدم عليه جمع بينه وبين الشهود فشهد الثلاثة وأقبل زياد فلما رآه عمر قال أرى وجه رجل لا يخزي الله به رجلا من أصحاب محمد ، فلما دنا قال ما عندك يا سلح العقاب قال رأيت أمراً قبيحاً وسمعت نفساً عالياً ورأيت أرجلا مختلفة ولم أر الذي مثل الميل في المكحلة فجلد عمر أبا بكرة ونافعاً وشبل بن معبد فقام ابو بكرة وقال أشهد أن المغيرة زان فاراد عمر أن يجلده ثانية فقال له علي عليه السلام إذن توفي صاحبك حجارة ، وكان عمر إذا رأى المغيرة قال يا مغيرة ما رأيتك قط إلا خشيت أن يرجمني الله بالحجارة ، وكان بالبصرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمانية وستون رجلا .

﴿ رجع الحديث ﴾ إلى خبر أبي عبيدة بن الجراح وحصاره أهل بيت المقدس لأنا جعلنا كل خبر في سنته ووقته ، وكتب ابو عبيدة الى عمر يعلمه مطاولة أهل ايلياء وصبرهم ﴿ وقال بعضهم ﴾ إن أهل ايلياء سألوه أن يكون الخليفة المصالح لهم فاخذ عليهم العهود والمواثيق وكتب الى عمر فخرج الى الشام واستخلف على المدينة عثمان بن عفان وقرب خالداً وأدناه وأمره فسار في الناس على مقدمته وذلك في رجب سنة

ست عشرة فنزل [الجابية] من أرض دمشق ثم صار الى بيت المقدس فافتتحها صلحاً وكتب لهم كتاباً ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس إنكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم لا تسكن ولا تخرب إلا أن تحدثوا حدثاً عاماً ﴾ وأشهد شهوداً وأتاه عمرو بن العاص بالطلاء فقال كيف يصنع هذا فقال يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه فقال ما أرى بذلك بأساً .

واختلف القوم في صلح بيت المقدس فقالوا صالح اليهود وقالوا النصارى والمجمع عليه النصارى وقام اليه بلال فقال يا أمير المؤمنين إن أمراء أجناد الشأم ما يأكلون إلا لحوم الطير والخبز النقي وما يجد ذلك عامة الناس فاخذ عمر أمراء الشام بان ضمنوا له القوت للمسلمين في كل يوم خبزين لكل رجل وما يصلحه من الخل والزيت ، وأمر عمر أن يقسم الغنائم بين الناس بالسوية خلا لخم وجذام وقال لا أجعل من خرج من الشقة الى عدوه كمن خرج من بيته ، فقام اليه رجل فقال إن كان الله جعل الهجرة الينا فخرجنا من بيوتنا الى عدونا نحرم حظنا ، ومر عمر راجعاً الى المدينة فمر على قوم قد أقيموا يعذبون في الخراج فقال عمر دعوهم لا تعذبوهم فاني سمعت رسول الله يقول إن الذين يعذبون الناس في الدنيا يعذبهم الله في الآخرة يوم القيامة فارسل اليهم فخلى سبيلهم فاتاه جبلة بن الأيهم فقال له تأخذ مني الصدقة كما تصنع بالعرب قال بل الجزية وإلا فالحق بمن هو على دينك فخرج في ثلاثين الفاً من قومه حتى لحق بأرض الروم وندم عمر على ما كان منه في أمره .

ووجه عمرو بن العاص فقال له يا أمير المؤمنين تأذن لي في أن أصير الى مصر فانا إن فتحناها كانت قوة للمسلمين وهي من اكثر الأرض أموالا وأعجزه عن القتال ولم يزل يعظم أمرها في نفسه ويهون عليه فتحها حتى عقد له على أربعة آلاف كلهم من علث وقال له سيأتيك كتابي سريعاً فان لحقك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخل شيئاً من أرضها فانصرف فان دخلتها ثم جاءك كتابي فامض واستعن بالله

وسار عمرو مسرعاً فلما كان بـ ﴿ رفح ﴾ وهي آخر عمل فلسطين أتاه رسول عمر ومعه كتاب فلم يفض الكتاب ونفذ حتى صار الى قرية بالقرب من الـ ﴿ عريش ﴾ وقرأ الكتاب ثم قال من أين هذه القرية قالوا من مصر قال فان أمير المؤمنين أمرني إن اتاني كتابه وقد دخلت شيئاً من أرض مصر أن امضي لوجهي وأستعين بالله حتى أتى الـ ﴿ فرماء ﴾ فقاتلوه نحواً من ثلاثة أشهر ثم فتح الله عليه ومضى حتى صار الى ﴿ أم دنين ﴾ فقاتلوه قتالا شديداً وأبطأ عنه الفتح وكتب الى عمر يستمده فوجه بأربعة آلاف وكتب اليه إنه قد صير على كل الف رجل رجلا يقوم مقام الف رجل ﴿ منهم ﴾ الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وخارجة بن حذافة ﴿ وقيل ﴾ مسلمة بن مخلد فقتتلوا قتالا شديداً ، ثم قال الزبير إني أهب نفسي لله وأرجو أن يفتح الله على المسلمين فوضع السلم ليلا الى جانب الحصن ثم اقتحم معه جماعة وكبر المسلمون فلما استحر القتل دعوا الى الصلح ﴿ فقال بعضهم ﴾ صالح المقوقس عمرو بن العاص على دينارين دينارين لكل رجل ﴿ وقيل ﴾ لم يكن صلح وإنما افتتح عنوة ثم مضى حتى صار الى ﴿ الاسكندرية ﴾ وبها جموع الروم وعليها ثلاثة حصون فقاتلوه قتالا شديداً فطالت المدة بينهم ثلاثة أشهر وكان المقوقس قد سأل عمراً أن يصالحه عن الاسكندرية على أن يطلق من أراد منهم أن يمضي الى بلاد الروم ومن أقام فعليه ديناران خراج فأجابه الى ذلك فلما بلغ ﴿ هرقل ﴾ ملك الروم غضب . . . . فقال المقوقس إني قد نصحت لهم فاستغشوني فلا تجبهم الى ما أجبتني اليه .

وخرج عمر الى مكة سنة سبع عشرة فاعتمر عمرة رجب ووسع المقام وباعده من البيت ووسع الحجر وبنى المسجد الحرام ووسع فيه واشترى من قوم منازلهم وامتنع آخرون فهدم عليهم ووضع أثمان منازلهم في بيت المال وكان فيما هدم بيت العباس بن عبد المطلب فقال له تهدم داري قال لأوسع بها في المسجد الحرام فقال العباس سمعت رسول الله يقول إن الله أمر داود أن يبني له بيتاً بايلياء فبناه بيت المقدس وكان كلما

ارتفع البناء سقط فقال داود يا رب إنك أمرتني أن أبني لك بيتاً وإني كلما بنيت سقط البناء فأوحى الله اليه أني لا أقبل إلا الطيب وإنك بنيت لي في غصب فنظر داود فاذا قطعة أرض لم يكن شراها فابتاعها من صاحبها بحكمه ثم بنى فتم البناء ﴿ قال ﴾ ومن يشهد أنه سمع هذا من رسول الله فقام قوم فشهدوا قال فتحكم الينا يا أبا الفضل وإلا أمسكنا قال فاني قد تركتها لله وانصرف عمر بعد عشرين يوماً ، وكان العباس يسايره وتحت العباس دابة مصعب فتقدمه عمر ثم وقف له حتى لحقه فقال تقدمتك وما لأحد أن يتقدمكم معشر بني هاشم قوم . . . (١) . . . فيكم ضعف قال رآنا الله نقوى على النبوة ونضعف عن الخلافة ، ثم خرج يريد الشأم حتى بلغ الى ﴿ سرغ ﴾ فبلغه أن الطاعون قد كثر فرجع فلقيه أمراء الشام وكلمه ابو عبيدة بن الجراح أشد كلام وقال أفراراً من قدر الله تعالى قال عمر نعم أفر من قدر الله الى قدر الله .

وفي هذه السنة خطب عمر الى علي بن أبي طالب عليه السلام أم كلثوم بنت علي وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال علي عليه السلام إنها صغيرة فقال إني لم أرد حيث ذهبت لكني سمعت رسول الله يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري فأردت أن يكون لي سبب وصهر برسول الله فتزوجها وأمهرها عشرة آلاف دينار .

وفي هذه السنة نزل المسلمون الكوفة واختطوا بها الخطط وبنوا المنازل [وقيل] كان ذلك في أول سنة ثماني عشرة ونزلها من أصحاب رسول الله ثمانون رجلا .

وأصاب الناس جدب وقحط ومجاعة شديدة في عام الرمادة وهي سنة ثماني عشرة فخرج عمر يستسقي وأخرج الناس وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب فقال ﴿ اللهم إنا نتقرب اليك بعم نبيك اللهم فلا تخيب ظنهم في رسولك ﴾ فأسقوا .

وأجرى عمر الأقوات في تلك السنة على عيالات قوم من المسلمين وأمر أن تكون

---

(١) بياض في الأصل ، وفيه نقص ولعل العبارة (ولكنكم قوم فيكم ضعف)

نفقات أولاد اللقط ورضاعهم من بيت المال .

وفي هذه السنة سمي عمر أمير المؤمنين وكان يسمى خليفة رسول الله ، وكتب اليه أبو موسى الأشعري ﴿ لعبد الله عمر امير المؤمنين ﴾ وجرت عليه ﴿ وقيل ﴾ إن المغيرة بن شعبة دخل عليه فقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقال لتخرجن مما قلت فقال ألسنا مسلمين قال بلى قال وانت أميرنا قال اللهم نعم .

وكان ابو عبيدة بن الجراح قد وجه عياض بن غنم الفهري الى الجزيرة فلم يزل محاصر عليهم ثم افتتح الرقة وسروج والرها ونصيبين وسائر مدن الجزيرة وكانت صلحا كلها ووضع عليها الخراج على الأرضين ورقاب الرجال ، على كل انسان أربعة وخمسة دنانير وستة ، في سنة ثماني عشرة فانصرف الى أبي عبيدة .

وكثر الطاعون بالشام وكان طاعون عمواس فمات ابوعبيدة بن الجراح واستخلف عياض بن غنم على حمص وما والاها من قنسرين ، ومعاذ بن جبل على الأردن ولم يلبث معاذ بن جبل إلا أياماً حتى توفي ، ومات يزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة فاقر عمر معاوية على عمل يزيد ، ومات في تلك السنة في طاعون عمواس خمسة وعشرون الفاً سوى من لم يحصر منهم وعلا السعر واحتكر الناس فنهى عمر عن الاحتكار وفيها توفي الفضل بن العباس بن عبد المطلب بفلسطين وكانت فلسطين قد فتحت خلا قيسارية ، وكان معاوية بن أبي سفيان مقيماً عليها فافتتحها سنة ثماني عشرة [وقيل] كان بها ثمانون الف مقاتل وبعث رجلين من جذام الى عمر بالبشارة ثم أردفهم برجل من خثعم يقال له زهير وقال له إن قدرت أن تسبق الجذاميين فافعل فمر بهما الخثعمي وهما نائمان فجازهما وقدم المدينة ليلاً فاتى عمر فاخبره فكبر وحمد الله ثم خرج الى المسجد وأمر بنار فاتي بها فحمد الله وأعلمهم بفتح قيسارية .

وكتب سعد بن أبي وقاص من المدائن الى عمر بعد مقامه بثلاث سنين يعلمه اجتماع الفرس بجلولاء وهي قرية من قرى السواد بالقرب من حلوان ، وكتب اليه

أن ينهض اليهم فيمن معه ووجه عبد الله بن مسعود فاقامه مقام سعد ﴿ وقيل ﴾ صير سلمان بالمدائن وكان ابن مسعود يفقهم ويعلمهم فكانت وقعة ﴿ جلولاء ﴾ سنة تسع عشرة (١) فلم يزل يقاتلهم حتى فتح الله عليه وقتل من الفرس مقتلة عظيمة وهرب [يزدجرد] فيمن بقي معه فلحق بـ [اصبهان] ثم سار الى ناحية الري وأتاه صاحب ﴿ طبرستان ﴾ فاعلمه حصانة بلاده فامتنع عليه ومضى الى [مرو] وكان معه الف أسوار من أساورته والف جبار والف صناجة ، فكاتب ﴿ نيزك طرخان ﴾ (٢) فعلاه بعمود فمضى منهزماً حتى دخل بيت طحان ولحقوه فقتلوه في بيت الطحان فصارت أساورته الى بلخ ووقعت صناجته الى هراة وجباروه الى مرو

وافترقت جموع الفرس وأذهب الله ملكهم وفرّق جمعهم ، ورجع سعد الى الكوفة فاختط مسجدها وقصر إمارتها ، فاختط الأشعث جبانة كندة ، واختطت كندة حوله ، واختط يزيد بن عبد الله ناحية البجيلة ، واختطت بجيلة حوله ، وشاور عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سواد الكوفة فقال له بعضهم تقسمه بيننا فشاور علياً عليه السلام فقال إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء ولكن تقرها في أيديهم يعملونها فتكون لنا ولمن بعدنا ، فقال وفقك الله هذا الرأي .

ووجه عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان فمسحا السواد وأمرهما أن لا يحملا احداً فوق طاقته ، فاجتبى خراج السواد ثمانين الف الف درهم ، وأجرى على عثمان بن حنيف خمسة دراهم في كل يوم وجراباً من دقيق وأمره أن لا يمسح تلاً ولا أجمة ولا مستنقع ماء ولا مالا يبلغه الماء وأن يمسح بالذراع السوداء وهو ذراع وقبضة وأبهام إبهامه فوق القبضة شيئاً يسيراً ، فمسح عثمان كل شيء دون جبل ﴿ حلوان ﴾ لى

(١) كذا في الأصل والذي ذكره المؤرخون منهم الطبري في التاريخ أن وقعة جلولاء كانت سنة ست عشرة .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل في العبارة نقصاً . (م . ص)

أرض العرب وهو أسفل الفرات فكتب الى عمر إني وجدت كل شيء بلغه الماء من عامر وغير عامر يلغه الماء عمله صاحبه أو لم يبلغه « . . (١) . . » درهماً وقفيزاً وعلى الكرم عشرة دراهم ، وعلى الرطاب خمسة دراهم ، وفرض على رقابهم على الموسر ثمانية وأربعين ، وعلى من دون ذلك أربعة وعشرين ، وعلى من لا يجد اثني عشر درهماً ، وقال درهم في الشهر لا يعوز رجلاً فحمل من خراج السواد في أول سنة ثمانون الف الف درهم وحمل من قابل عشرون ومائة الف الف درهم ، واجتمع الدهاقين الى عثمان بن حنيف في الكرم فقالوا إنما في قرب من المصر يباع العنقود منه بدرهم ، فكتب الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر أن يحمل من هذا ويوضع على هذا بقدر الوضعين وكان عمر يأخذ الجزية من أهل كل صناعة من صناعتهم قيمة ما يجب عليهم وكذلك فعل علي عليه السلام ، وكتب عمر الى أبي موسى أن يضع على أهل البصرة من الخراج مثل ما وضع عثمان بن حنيف على أرض الكوفة ، وكتب الى عثمان بن حنيف أن احمل الى أهل المدينة أعطياتهم فانهم شركاؤهم فكان يحمل ما بين العشرين الف الف الى الثلاثين الف الف ، ودوّن عمر الدواوين ، وفرض العطاء سنة عشرين فقال قد كثرت الأموال فاشير عليه أن يجعل ديواناً .

---

(١) بياض في الأصل ، والذي ذكره ياقوت الحموي في المعجم بمادة [السواد] عن محمد بن عبد الله الثقفي قال « وضع عمر (رض) على كل جريب من السواد عامراً كان أو غامراً يبلغه الماء درهماً وقفيزاً ، وعلى جريب الرطبة خمسة دراهم وخمسة أقفزة وعلى جريب الكرم عشرة دراهم وعشرة أقفزة ولم يذكر النخل وعلى رؤوس الرجال ٤٨ و ٢٤ و ١٢ درهماً وختم عثمان بن حنيف على رقاب خمسمائة الف وخمسين الف علج لأخذ الجزية ، وبلغ الخراج في ولايته مائة الف الف درهم ، ومسح حذيفة ابن اليمان سقي الفرات . . . . وكان ذراعه وذراع ابن حنيف ذراع اليد وقبضة وإبهاماً ممدودة » . (م . ص)

فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم بن نوفل بن عبد مناف وقال اكتبوا الناس على منازلهم وابدأوا ببني عبد مناف فكتب أول الناس علي بن أبي طالب في خمسة آلاف والحسن بن علي في ثلاثة آلاف والحسين بن علي في ثلاثة آلاف ﴿ وقيل ﴾ بدأ بالعباس بن عبد المطلب في ثلاثة آلاف وكل من شهد بدراً من قريش في ثلاثة آلاف ومن شهد بدراً من الأنصار في أربعة آلاف ولأهل مكة من كبار قريش مثل أبي سفيان بن حرب ومعاوية بن أبي سفيان في خمسة آلاف ثم قريش على منازلهم ممن لم يشهد بدراً ، ولأمهات المؤمنين ستة آلاف ستة آلاف ولعائشة وأم حبيبة وحفصة في اثنى عشر الفاً ، ولصفية وجويرية في خمسة آلاف خمسة آلاف ولنفسه في أربعة آلاف ، ولابنه عبد الله بن عمر في خمسة آلاف ، وفي أهل مكة الذين لم يهاجروا في ستمائة وسبعمائة ، وفرض لأهل اليمن في اربعمائة ، ولمضر في ثمانمائة ولربيعة في مائتين .

وكان أول مال أعطاه مال قدم به ابو هريرة من البحرين مبلغه سبع مائة الف درهم قال اكتبوا الناس على منازلهم وكتبوا بني عبد مناف ثم اتبعوهم ابا بكر وقومه ثم اتبعوهم عمر بن الخطاب وقومه على الخلافة ، فلما نظر عمر قال وددت والله أني هكذا في القرابة برسول الله ولكن ابدأوا برسول الله ثم الأقرب فالأقرب منه حتى تضعوا عمر بحيث وضعه الله ، وفرض للنساء المهاجرات وغيرهن على قدر فضلهن ، وكانت فريضته لهن في الفين والف وخمسمائة والف ، وفرض لأسماء بنت عميس وأم كلثوم بنت عقبة ابن ابي معيط وخولة بنت حكيم بن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون في الفين ، وفرض لأم عبد في الف وخمسمائة ، وفرض لأشراف الأعاجم ، وفرض لفيروز بن يزدجرد دهقان نهر الملك والنخير خان ، ولخالد ولجميل ابني بصبهرى دهقان الفلوجة ، وللهرمزان ولبسطام بن نرسى دهقان بابل وجفينة العبادي في الفين الفين ﴿ وقال ﴾ قوم أشراف أحببت أن أتألف بهم غيرهم ﴿ وقال عمر ﴾ في آخر سنيه إني كنت تألفت الناس

بما صنعت في تفضيل بعض على بعض وإن عشت هذه السنة ساويت بين الناس فلم أفضل أحمر على أسود ولا عربياً على عجمي وصنعت كما صنع رسول الله وابو بكر .

ومصّر الأمصار في هذه السنة ، وقال الأمصار سبعة فالمدينة مصر ، والشأم مصر ، والجزيرة مصر ، والكوفة مصر ، والبصرة مصر (. . . « ١ » . . .)

وجنّد الأجناد فصيّر فلسطين جنداً والجزيرة جنداً والموصل جنداً وقنسرين جنداً .

وفي هذه السنة فتح عمرو بن العاص الاسكندرية وسائر أعمال مصر واجتباها أربعة عشر الف الف دينار من خراج رؤوسهم لكل رأس دناراً ، وخراج غلاتهم من كل مائة إردب (٢) إردبين ، وأخرج أصحاب هرقل ، ومات هرقل ملك الروم فزاد ذلك في وهنهم وضعفهم ، ولما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية أوفد الى عمر بن الخطاب معاوية بن خديج الكندي فقال له معاوية أكتب معي فقال وما أصنع بالكتاب معك خبّره بما رأيت وأد اليه الرسالة فلما أتى عمر وخبره الخبر خرّ ساجداً وكتب عمر الى عمرو بن العاص أن يحمل طعاماً في البحر الى المدينة يكفي عامة المسلمين حتى يصير به الى ساحل الجار فحمل طعاماً الى القلزم ثم حمله في البحر في عشرين مركباً في المركب ثلاثة آلاف إردب وأقل واكثر حتى وافى الجار وبلغ عمر قدومها فخرج ومعه جلة اصحاب رسول الله ﴿ ص ﴾ حتى قدم الجار فنظر السفن ثم وكل من قبض ذلك الطعام وبنى هنالك قصرين وجعل ذلك الطعام فيهما ثم أمر زيد بن ثابت ان يكتب الناس على منازلهم وامره ان يكتب لهم صككاً من قراطيس ثم يختم اسافلها فكان اول من

---

(١) بياض في الأصل ، ولم يذكر السادس والسابع من الأمصار وقد جعلها السيوطي في تاريخ الخلفاء مصر والموصل وعدّ تمصير الأمصار من اوليات عمر .

(٢) الاردب ، بكسر الهمزة وسكون الراء وفتح الدال المهملة مع تشديد الباء لوحدة مكيال ضخم وهو اربعة وعشرون صاعاً بصاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو اربعة امداد ، وفي الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت مصر إردبها .

صك وختم أسفل الصكاك .

﴿ رجع الحديث الى سعد بن أبي وقاص ﴾ وقد رجع سعد بن أبي وقاص الى الكوفة وأقام بها واختطت الخطط وبنيت المنازل والحال ثم إن أهل الكوفة شكوا سعداً وقالوا لا يحسن يصلي فعزله عمر عنهم فدعا عليهم سعد أن لا يرضيهم الله عز وجل عن أمير ولا يرضي اميراً عنهم ، وولى عمر مكان سعد بن ابي وقاص عمار بن ياسر . . . . ثم قدم عليه أهل الكوفة فقال كيف خلفتم عمار بن ياسر أميركم قالوا مسلم ضعيف فعزله ووجه جبير بن مطعم فمكر به المغيرة وحمل عنه خبراً الى عمر وقال له ولني يا أمير المؤمنين قال أنت رجل فاسق قال وما عليك مني كفايتي ورجلتي لك وفسقي على نفسي فولاه الكوفة فسألهم عن المغيرة فقالوا أنت أعلم به وبفسقه فقال ما اقيت منكم يا أهل الكوفة إن وليتكم مسلماً تقياً قلتم هو ضعيف وإن وليتكم مجرماً قلتم هو فاسق ، فيقال إنه ردّ سعد بن أبي وقاص .

وأخرج عمر يهود خيبر من الحجاز لما قتل مظهر بن رافع الحارثي وقال سمعت رسول الله يقول لا يجتمع في جزيرة العرب دينان وقسم خيبر على ستة عشر سهماً .

ووجه ميسرة بن مسروق العبسي إلى أرض الروم فكان أول جيش دخلها جيش ميسرة في هذه السنة وهي سنة عشرين ، وأغزى حبيب بن مسلمة الفهري وقدّر له أجلاً فجاز ذلك الوقت واشتد غم عمر حتى وافى فقال له ما أخرك عن الوقت الذي وقته لك قال اعتل رجل من المسلمين فاقمنا عليه حتى قضى الله ما قضى ، ولم يغز عمر بلاد الروم بعد حبيب ، وكان عمر يقول إذا ذكر الروم والله لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم لنا ما دونه وللروم ما وراءه لما كان يكره قتالهم ، ووجه علقمة بن مجزز المدلجي في عشرين مركباً او نحوها فاصيبوا جميعاً فحلف عمر لا يحمل في البحر أحداً ابداً .

وفي هذه السنة كانت الزلازل التي لم تر مثلها ، وافتتحت نهاوند سنة إحدى

وعشرين وأمير الناس النعمان بن مقرن المزني ، وكانت الأعاجم قد اجتمعت من الري وقومس واصبهان وعدة بلدان حتى صاروا إلى نهاوند وقالوا قد غلبنا على بلدنا ونالنا الذل في دارنا فبعث عمر النعمان في جيش فصار الى نهاوند وقد ملك الأعاجم عليهم ملكا يقال له ﴿ دوبر ﴾ واقتتلوا قتالاً شديداً وقتل النعمان بن مقرن ثم هزم الله الأعاجم وفتحت نهاوند ، وفي غزاة نهاوند كان عمر بن الخطاب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فبينا هو يخطب إذ قال يا سارية الجبل الجبل وكان سارية في جيش نهاوند فقال سارية لما قدم من نهاوند أحدق بنا العدو فسمعنا صوتك يا أمير المؤمنين وأنت تقول يا سارية الجبل الجبل فانحزنا الى الجبل فسلمنا .

وفتح عمرو بن العاص برقة وصالحهم على ثلاثة عشر الف دينار على أن يبيعوا من أبنائهم من أحبوا في جزيتهم في هذه السنة ثم سار حتى أتى طرابلس افريقية فافتتحها وكتب الى عمر يستأذنه في غزو باقي افريقية فكتب اليه أنها مفرقة ولا يغزوها أحد ما بقيت ، ووجه بسر بن ابي أرطاة فصالح أهل ودان وأهل فزان ، وبعث عقبة بن نافع الفهري — وكان أخا العاص بن وائل السهمي لأمه — إلى أرض النوبة ولقي المسلمون من النوبة قتالا شديداً ، ولما انصرف المسلمون من بلاد النوبة اختطوا الجيزة وكتب عمرو بن العاص بذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر لا تجعل بيني وبينك ماء وانزلوا موضعاً متى أردت أن أركب راحلتي وأصير اليكم فعلت .

وافتتحت آذربايجان سنة اثنتين وعشرين وأمير الناس المغيرة بن شعبة ﴿ وقيل ﴾ هاشم بن عتبة بن ابي وقاص ، وافتتح أبو موسى الأشعري كور الأهواز واصطخر سنة ثلاث وعشرين وكتب اليه عمر أن ضع عليهما الخراج كما وضع على سائر أرض العراق ففعل ذلك ، وافتتح عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي همدان واصبهان في هذه السنة ، وافتتح قرظة بن كعب الأنصاري الري ، وافتتح معاوية بن أبي سفيان عسقلان ، وولى عمر خالد بن الوليد الرها وحران والرقة وتل موزن وآمد فاقام بها

سنة ثم استعفى فاعفاه وقدم المدينة فاقام بها أياماً ثم توفي خالد بالمدينة ﴿ وقال الواقدي ﴾ إن خالد بن الوليد توفي بحمص فأوصى إلى عمر ولمـــا ورد اليه خبر وفاته بكته حفصة وآل عمر وكثر بكاؤهن عليه فقال عمر حق لهن أن يبكين على أبي سليمان وأظهر عليه جزعاً ، ووجه حبيب بن مسلمة الفهري الى ارمينية ثم أردفه بسلمان بن ربيعة مدداً له فلم يصل اليه إلا بعد قتل عمر .

وأذن عمر لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحج في هذه السنة وحج معهن ﴿ قال بعضهم ﴾ فرأيت أزواج رسول الله في الهودج وعليهن الطيالسة الزرق سنة ثلاث وعشرين وكان يكون أمامهن عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وراءهن فلا يدعان أحداً يدنو منهن .

وشاطر عمر جماعة من عماله أموالهم ﴿ قيل ﴾ إن فيهم سعيد بن أبي وقاص عامله على الكوفة ، وعمرو بن العاص عامله على مصر ، وأبا هريرة عامله على البحرين والنعمان بن عدي بن حرتان عامله على ميسان ، ونافع بن عمرو الخزاعي عامله على مكة ويعلى بن منية عامله على اليمن ، وامتنع ابو بكرة من المشاطرة وقال والله لئن كان هذا المال لله فلا يحل لك أن تأخذ بعضاً وتترك بعضاً وإن كان انا فما لك أخذه فقال له عمر إما أن تكون مؤمناً لا تغل أو منافقاً أفك ، فقال بل مؤمن لا أغل ، واستأذن قوم من قريش عمر في الخروج للجهاد فقـــال قد تقدم لكم مع رسول الله ، قال إني آخذ بحلاقيم قريش على أفواه هذه الحرة لا تخرجوا فتسللوا بالناس يميناً وشمالاً قال عبد الرحمان بن عوف فقلت نعم يا امير المؤمنين ولِمَ تمنعنا من الجهاد فقال لأن أسكت عنك فلا أجيبك خير لك من أن أجيبك ، ثم اندفع يحدث عن أبي بكر حتى قال كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها فمن عاد لمثلها فاقتلوه .

﴿ وروي ﴾ عن ابن عباس قال طرقني عمر بن الخطاب بعد هدأة من الليل فقال اخرج بنا نحرس نواحي المدينة فخرج وعلى عنقه درته حافياً حتى أتى بقيع الغرقد

فاستلقى على ظهره وجعل يضرب أخمص قدميه بيده وتأوه صعـــداء فقلت له يا اميرُ المؤمنين ما أخرجك الى هذا الأمر ﴿ قال ﴾ أمر الله يابن عباس | قال | قلت إن شئت أخبرتك بما في نفسك ﴿ قال ﴾ غص يا غواص إن كنت لتقول فتحسن ﴿ قال ﴾ قلت ذكرت هذا الأمر بعينه والى من تصيره ﴿ قال ﴾ صدقت ، قال فقلت له اين انت عن عبد الرحمن بن عوف ﴿ فقال ﴾ ذاك رجل ممسك وهـــذا الأمر لا يصلح إلا لمعطٍ في غير سرف ومانع في غير اقتار ، قال قلت سعد بن أبي وقاص ﴿ قال ﴾ مؤمن ضعيف ، قال فقلت طلحة بن عبدالله ﴿ قال ﴾ ذاك رجل يناول للشرف والمديح يعطي ماله حتى يصل الى مال غيره وفيه بأو وكبر ، قال فقلت فالزبير بن العوام فهو فارس الاسلام ﴿ قال ﴾ ذاك يوماً انسان ويوماً شيطان وعقـة لقس (١) إن كان ليكادح على المكيلة من بكرة الى الظهر حتى تفوته الصلاة ، قال فقلت عثمان بن عفان ﴿ قال ﴾ إن ولي حمل بني أبي معيط وبني أمية على رقاب الناس وأعطاهم مال الله ولئن ولي ليفعلن ، والله لئن فعل لتسيرن العرب اليـه حتى تقتله في بيته ثم سكت ﴿ قال ﴾ فقال امضها يابن عباس أترى صاحبكم لها موضعاً قال فقلت وأين يتبعد من ذلك مع فضله وسابقته وقرابته وعلمه ﴿ قال ﴾ هو والله كما ذكرت ولو وليهم لحملهم على منهج الطريق فاخذ المحجة الواضحة إلا أن فيه خصالاً الدعابة في المجلس واستبداد الرأي والتبكيت للناس مع حداثة السن ﴿ قال ﴾ قلت يا امير المؤمنين هلا استحدثتم سنه يوم الخندق إذ خرج عمرو بن عبد ود وقد كعم عنه الأبطال وتأخرت عنه الأشياخ ويوم بدر إذ كان يقط الأقران قطاً وهلا سبقتموه بالاسلام (اذ كان جعلته (٢) السعب وقريش يستوفيكم) فقال اليك يابن عباس

(١) وعقة بفتح الواو وسكون العين المهملة الذي يضجر ويتبرم ، واللقس بفتح اللام وكسر القاف السيء الخلق وقيل الشحيح قاله ابن الأثير في النهاية بمادة (وعق ، ولقس) وذكر حديث عمر في الزبير (٢) كذا في الاصل وفي العبارة اضطراب فليراجع (م ص)

مريد أن تفعل بي كما فعل أبوك وعلي بأبي بكر يوم دخلا عليه ﴿ قال ﴾ فكرهت أن أغضبه فسكت ، فقال والله يابن عباس إن علياً ابن عمك لأحق الناس بها ولكن قريشاً لا تحتمله ولئن وليهم ليأخذهم بمر الحق لا يجدون عنده رخصة ولئن فعل لينكثن بيعته ثم ليحاربن .

وحج عمر جميع سني ولايته إلا السنة الأولى وهي سنة ثلاث عشرة فان عبدالرحمن ابن عوف حج بالناس وكان الغالب عليه عبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن عبد الله بن عباس كان على شرطه وكان حاجبه ﴿ يرفأ ﴾ مولاه فطعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وكان ذلك من شهور العجم في تشرين الآخر ، وكان الذي طعنه ﴿ أبو لؤلؤة ﴾ عبد المغيرة بن شعبة وجأه بخنجر مسموم .

وكانت سني عمر يومئذ ثلاثاً وستين سنة ﴿ وقيل ﴾ اربعاً وخمسين سنة وكانت ولايته عشر سنين وثمانية أشهر ، ولما طعن عمر قال لابنه إني كنت استسلفت من بيت مال المسلمين ثمانين الفاً فليرد من مال ولدي فان لم يف ما لهم فمال آل الخطاب فان لم يف فمال بني عدي وإلا فمال قريش عامة ولا تعدهم .

ولما حضرته الوفاة اجتمع اليه الناس فقال إني قد مصرت الأمصار ودونت الدواوين وأجريت العطايا وغزوت في البر والبحر فان أهلك فالله خليفتي عليكم وسترون رأيكم إني قد تركتكم على الواضحة إنما أخاف عليكم أحد رجلين إما رجل يرى أنه أحق بالملك من صاحبه فيقاتله عليه (. . . . . .) واني قد قرأت في كتاب الله [الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عليم حكيم] فلا تهالكوا عن الرجم وقد رجم رسول الله ورجمنا ولولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي فقد قرأتها في كتاب الله .

وصير الأمر شورى بين ستة نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ابن العوام ، وطلحة بن عبد الله ، وسعد بن أبي وقاص وقال أخرجت سعيد بن زيد لقرابته مني ، فقيل له في ابنه عبد الله بن عمر قال حسب آل الخطاب ما تحملوا منها إن عبد الله لم يحسن أن يطلق امرأته ، وأمر صهيباً أن يصلي بالناس حتى يتراضوا من الستة بواحد ، واستعمل أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري وقال إن رضي أربعة وخالف اثنان فاضرب عنق الاثنين وإن رضي ثلاثة وخالف ثلاثة فاضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن وإن جازت الثلاثة الأيام ولم يتراضوا باحد فاضرب أعناقهم جميعاً ، وكانت الشورى بقية ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وصهيب يصلي بالناس وهو الذي صلى على عمر ، وكان ابو طلحة يدخل رأسه اليهم ويقول العجل العجل فقد قرب الوقت وانقضت المدة .

ودفن عمر الى جانب ابي بكر وخلف من الولد الذكور ستة عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمان وعاصماً وزيداً وابا عبيد الله ، ووثب ابنه عبيد الله فقتل [أبا لؤلؤة] وابنته وامرأته ، واغتر الهرمزان فقتله ، وكان عبيد الله يحدث أنه تبعه فلما أحس الهرمزان بالسيف قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن عمر أوصى أن يقاد عبيد الله بالهرمزان وأن عثمان أراد ذاك وقد كان قبل أن يلي الأمر أشد من حلق الله على عبيد الله حتى جر بشعره وقال يا عدو الله قتلت رجلاً مسلماً وصبية طفلة وامرأة لا ذنب لها قتلني الله إن لم اقتلك ، فلما ولي رده الى عمرو ابن العاص ﴿ وروى بعضهم ﴾ عن عبد الله بن عمر أنه قال يغفر الله لحفصة فانها شجعت عبيد الله على قتلهم .

صفة عمر بن الخطاب

وكان عمر طويلاً أصلع أقبل شديد الأدمة أعسر يسر (١) يعمل بيديه جميعا

(١) أعسر وزان أفعل ويسر بفتح الياء والسين قال [رجل أعسر يسر] اي يعمل بكلتا يديه

ويصفر لحيته ، وقيل يغيرها بالحناء والكتم

وكان الفقهاء في أيامه الذين يؤخذ عنهم العلم علي بن أبي طالب عليه السلام وعبدالله ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وابو الدرداء وابو سعيد الخدري وعبد الله بن عباس .

وكان عمال عمر وقت وفاته سعد بن ابي وقاص على الكوفة * وقيل * المغيرة وابو موسى الأشعري على البصرة ، وعمير بن سعد الأنصاري على حمص ، ومعاوية ابن أبي سفيان على بعض الشأم ، وعمرو بن العاص على مصر ، وزياد بن لبيدالبياضي على بعض اليمن ، وأبوهريرة على عمان ، ونافع بن الحارث على مكة ، ويعلى بن منية التميمي على صنعاء ، والحارث بن أبي العاص الثقفي على البحرين ، وعبد الله بن أبي ربيعة على الجند .

أيام عثمان بن عفان

ثم استخلف عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وكان عبد الرحمن بن عوف الزهري لما توفي عمر واجتمعوا للشورى وسألهم أن يخرج نفسه منها على أن يختار منهم رجلا ففعلوا ذلك فاقام ثلاثة أيام وخلا بعلي بن أبي طالب عليه السلام فقال لنا الله عليك إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر فقال أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت ، فخلا بعثمان فقال له لنا الله عليك إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر فقال لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر ، ثم خلا بعلي عليه السلام فقال له مثل مقالته الأولى فاجابه مثل الجواب الأول ثم خلا بعثمان فقال له مثل المقالة الأولى فاجابه مثل ما كان أجابه ثم خلا بعلي عليه السلام فقال له مثل المقالة الأولى ، فقال إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معهما الى إجيري أحد انت مجتهد أن تزوي هذا الأمر

عني ، فخلا بعثمان فاعاد عليه القول فاجابه بذلك الجواب وصفق على يده فخرج عثمان والناس يهنونه ، وكان ذلك يوم الاثنين مستهل المحرم سنة اربع وعشرين ، ومن شهور العجم في تشرين الآخر ، وكانت الشمس يومئذ في العقرب ثلاث عشرة درجة وزحل في الحمل إحدى وعشرين درجة وثلاثين دقيقة راجعاً ، والمشتري في الجدي أربع درجات وأربعين دقيقة ، والمريخ في الميزان خمسين دقيقة ، والزهرة في العقرب احدى عشرة درجة راجعاً ، والرأس في الثور أربعاً وعشرين درجة .

فصعد عثمان المنبر في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يجلس ابو بكر ولا عمر فيه ، جلس ابو بكر دونه بمرقاة ، وجلس عمر دون أبي بكر بمرقاة فتكلم الناس في ذلك فقال بعضهم اليوم ولد الشر ، وكان عثمان رجلا حيياً فارتج عليه فقام مليــاً لا يتكلم ، ثم قال إن ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانتم الى إمام عادل أحوج منكم الى إمام يشقق الخطب وإن تعيشوا فستأتيكم الخطبة ثم نزل ﴿ وروى بعضهم ﴾ إن عثمان خرج من الليلة التي بويع له في يومها لصلاة العشاء الآخرة وبين يديه شمعة فلقيه المقداد بن عمرو فقال ما هــذه البدعة .

ومال قوم مع علي بن أبي طالب عليه السلام وتحاملوا في القول على عثمان [وروى بعضهم] قال دخلت مسجد رسول الله فرأيت رجلا جاثياً على ركبتيه يتلهف تلهف من كأن الدنيا كانت له فسلبها وهو يقول ﴿ واعجباً لقريش ودفعهم هذا الأمر على أهل بيت نبيهم وفيهم أول المؤمنين وابن عم رسول الله أعلم الناس وأفقههم في دين الله وأعظمهم عناء في الاسلام وأبصرهم بالطريق وأهداهم للصراط المستقيم ، والله لقد زووها عن الهادي المهتدي الطاهر النقي وما أرادوا إصلاح الأمة ولا صواب في المذهب ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين ﴾ فدنوت منه فقلت من أنت يرحمك الله ومن هذا الرجل فقال أنا المقداد بن عمرو وهذا الرجل علي بن

أبي طالب ، قال فقلت ألا تقوم بهذا الأمر فأعينك عليه فقال يا ابن اخي إن هـذا الأمر لا يجزي فيه الرجل ولا الرجلان ، ثم خرجت فلقيت أبا ذر فذكرت له ذلك فقال صدق أخي المقداد . ثم أتيت عبد الله بن مسعود فذكرت ذلك له فقال لقد أخبرنا فلم نأل .

وأكثر النـاس في دم الهرمزان وإمساك عثمان عبيد الله بن عمر فصعد عثمان المنبر فخطب الناس ثم قال « ألا إني ولي دم الهرمزان وقد وهبته لله ولعمر وتركته لدم عمر » فقام المقداد بن عمرو فقال إن الهرمزان مولى لله ولرسوله وليس لك أن تهب ما كان لله ولرسوله قال فننظر وتنظرون ، ثم أخرج عثمان عبيد الله بن عمر من المدينة الى الكوفة وأنزله داراً فنسب الموضع اليه « كويفة ابن عمر » فقال بعضهم :

أبا عمرو عبيد الله رهن * فلا تشكك بقتل الهرمزان

وافتتح المغيرة بن شعبة همذان وكتب الى عثمان أنه قد دخل في الري وأنزلها المسلمين ، وكانت الري قد افتتحت في أيام عمر « وقيل » لم تفتح ولكنها محاصرة وافتتحت سنة أربع وعشرين .

وكتب عثمان الى الحكم بن أبي العاص أن يقدم عليه وكان طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان عثمان لما ولي ابو بكر اجتمع هو وقوم من بني أمية الى أبي بكر فسألوه في الحكم فلم يأذن له ، فلما ولي عمر فعلوا ذلك فلم يأذن له ، فانكر الناس إذنه له « وقال بعضهم » رأيت الحكم بن أبي العاص يوم قدم المدينة عليه فزر خلق وهو يسوق تيساً حتى دخل دار عثمان والناس ينظرون الى سوء حاله وحال من معه ثم خرج وعليه جبة خز وطيلسان .

وانتقضت الاسكندرية سنة خمس وعشرين وحاربهم عمرو بن العاص حتى فتحها وسبى الذراري ووجه بهم الى المدينة فردهم عثمان الى دمهم الأولى (١) وعزل عمرو

(١) كذا في الأصل ، والظاهر أنه تصحيف (دينهم الأول) أنظر تاريخ الطبري

ابن العاص وولى عبد الله بن أبي سرح فكان ذلك سبب العداوة بين عثمان وعمرو وقال عثمان لعمرو لما قدم كيف تركت عبد الله بن سعد قال كما أحببت قال وماذاك قال قوي في ذات نفسه ضعيف في ذات الله قال لقد أمرته أن يتبع أثرك قال لقد كلفته شططًا ، واجتبى عبد الله مصر اثني عشر الف الف دينار فقال عثمان لعمرو درّت اللقاح قال ذاك إن يتم يضر بالفصلان .

ووسع عثمان المسجد الحرام وزاد فيه سنة ست وعشرين ، وابتاع من قوم منازلهم وأبى آخرون فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال فصاحوا بعثمان فأمر بهم للحبس وقال ما جرأكم علي إلا حلمي وقد فعل هذا عمر فلم تصيحوا وجدد أنصاب الحرم .

وفي هذه السنة افتتح عثمان بن ابي العاص الثقفي سابور ، وفيها ولي الوليد بن عقبة بن أبي معيط الكوفة مكان سعد وصلى بالناس الغداة وهو سكران أربع ركعات ثم تهوّع في المحراب والتفت الى من كان خلفه فقال أزيدكم ثم جلس في صحن المسجد وأتي بساحر يدعى بطروى من الكوفة فاجتمع الناس عليه فجعل يدخل من دبر الناقة ويخرج من فيها ويعمل أعاجيب فرآه جندب بن كعب الأزدي فخرج الى بعض الصياقلة فاخذ منه سيفًا ثم أقبل في الزحام وقد ستر السيف حتى ضرب عنقه ثم قال له أحي نفسك إن كنت صادقًا فاخذه الوليد فاراد أن يضرب عنقه فقام قوم من الأزد فقالوا لا تقتل والله صاحبنا فصيره في الحبس وكان يصلي الليل كله فنظر اليه السجان وكان يكنى أبا سنان فقال ما عذري عند الله إن حبستك على الوليد بقتالك فاطلقه فصار جندب الى المدينة وأخذ الوليد أبا سنان فضربه مائتي سوط فوثب عليه جرير بن عبد الله وعدي بن حاتم وحذيفة بن اليمان والأشعث بن قيس وكتبوا الى عثمان مع رسلهم فعزله وولى سعيد بن العاص مكانه فلما قدم الوليد قال عثمان من يضربه فاحجم الناس لقرابته وكان أخا عثمان لأمه فقام علي عليه السلام فضربه ثم بعث به عثمان على صدقات كلب وبلقين .

وأغزى عثمان الناس إفريقية سنة سبع وعشرين وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح فلقى جرجيس ودعاه الى الاسلام أو أداء الجزية فامتنع وكان جرجيس في جمع عظيم ففض الله ذلك الجمع فطلب جرجيس الصلح فابى عليه وهزموه حتى صار الى مدينة سبيطلة والتحمت الحرب حتى قتل جرجيس وكثرت الغنائم وبلغت الفي الف دينار وخمسمائة الف دينار وعشرين الف دينار ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن عثمان زوج ابنته من مروان بن الحكم وأمر له بخمس هذا المال ، ووجه عبد الله بن سعد بن ابي سرح عبد الله بن الزبير الى عثمان بالبشارة فسار عشرين ليلة حتى قدم المدينة وأخبر عثمان فصعد عثمان المنبر فخبر به الناس ، ووجه عبد الله بن سعد جيشاً الى أرض النوبة فسألوه الموادعة والصلح على أن عليهم في كل سنة ثلاثمائة رأس ويبعث اليهم مثل ذلك من الطعام والشراب فكتب الى عثمان بذلك فأجابهم الى ذلك ، وافتتح معاوية بن ابي سفيان قبرس .

وفي هذه السنة بنى عثمان داره وبنى الزوراء ، ووسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سنة تسع وعشرين وحملت له الحجارة من بطن نخل وجعل في عمده الرصاص وجعل طوله مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة ذراع وخمسين ذراعاً وابوابه ستة على ما كانت عليه على عهد عمر .

وعزل أبا موسى الأشعري وولى مكانه عبد الله بن عامر بن كريز وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة فلما بلغ ابا موسى ولاية عبد الله بن عامر قام خطيباً فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال قد جاءكم غلام كثير العمات والخالات والجدات في قريش يفيض عليكم المال فيضاً فلما قدم ابن عامر البصرة وجه الجنود لفتح سابور وفسا ودرابجرد واصطخر من أرض فارس ، وعلى ذلك الجند الذي فتح اصطخر عبيد الله بن معمر التيمي فقتل عبيد الله بن معمر في أصل مدينة اصطخر فقام مكانه عمر بن عبيدالله حتى فتح المدينة ، ثم سار عبد الله بن عامر بنفسه الى اصطخر ووجه عبد الرحمن بن

ميمرة — وكانت له صحبة — الى سجستان فافتتح زرنج بعد نكبة شديدة ، ولما ولى عثمان عبد الله بن عامر البصرة وولى سعيد بن العاص الكوفة كتب اليهما أيكما سبق الى خراسان فهو أمير عليها فخرج عبد الله بن عامر وسعيد بن العاص فاتى دهقان من دهاقين خراسان الى عبد الله بن عامر فقال ما تجعل لي إن سبقت بك قال لك خراجك وخراج أهل بيتك الى يوم القيامة فاخذ به على طريق مختصر الى قومس وعبد الله ابن خازم السلمي على مقدمته فسار الى نيسابور وأقام على المدينة ولقيه عبد الله بن عامر فافتتح نيسابور عنوة في سنة ثلاثين وصالح أهل الطبسين على خمسة وسبعين الفاً ثم سار حتى صار الى مدينة أبر شهر فحاصرهم شهوراً ثم فتحها وصالحهم وكتب الى أهل هراة فكتبوا اليه إن فتحت أبر شهر أجبناك الى ما سألت ، وبوشنج وبادغيس يومئذ الى هراة ، وكانت طوس ونيسابور الى ابر شهر ، ثم فتحها وصالحهم على الف الف درهم وبعث الأحنف بن قيس الى هراة ومرو الروذ فسار الى هراة فلقيه صاحبها بالميرة والطاعة ثم سار الى مرو الروذ ففتحها عنوة وفتح الطالقان والفارياب وطخارستان ولم يرجع الى عبد الله بن عامر حتى شرب من نهر بلخ ﴿ وقال ﴾ بعض أهل خراسان وجه عبد الله بن عامر حين افتتح نيسابور بالجيوش فبعث الأحنف بن قيس الى مرو الروذ ، وبعث أوس بن ثعلبة التميمي الى هراة ، وبعث حاتم بن النعمان الباهلي الى مرو ، وعبد الله بن خازم السلمي الى سرخس ففتح القوم جميعاً ما بعثوا له خلا مرو فانها صالحت حاتماً على الفي الف ومائتي الف أوقية وعلى أن يوسعوا للمسلمين في منازلهم .

ولما فتح عبد الله بن عامر هذه الكور انصرف الى عثمان وخالف بين الترك والديلم وكان قد صير خراسان أرباعا وولى قيس بن الهيثم السلمي على ربع ، وراشد ابن عمرو الجديدي على ربع ، وعمران بن الفصيل البرجمي على ربع ، وعمرو بن مالك الخزاعي على ربع ، فلما رده عثمان وجه أمير بن أحمر اليشكري الى خراسان

فصار الى مرو فاناخ بها ثم أدركه الشتاء وأدخله أهل مرو وبلغه أنهم يريدون الوثوب به فجرد فيهم السيف حتى أفناهم ثم قفل الى عثمان فلما رآه عثمان خوفه فانصرف عنه مغضباً وكان عثمان أنكر عليه قتل أهل مرو ، ورجع عبد الله بن عامر الى البصرة ثم صار الى كرمان فاناخ بها فنالهم مجاعة شديدة حتى كان الرغيف بدينار ، ثم أتاه الخبر بان عثمان قد حوصر فانصرف وخلف بخراسان قيس بن الهيثم بن الصلت فافتتح قيس طخارستان ، وكان عثمان قد وجه حبيب بن مسلمة الفهري الى ارمينية ثم أردفه سلمان ابن ربيعة الباهلي مدداً له فلما قدم عليه تنافرا وقتل عثمان وهم على تلك المنافرة ، وقد كان حبيب بن مسلمة فتح بعض أرمينية .

وكتب عثمان الى سلمان بامرته على ارمينية فسار حتى أتى البيلقان فخرج اليه أهلها فصالحوه ومضى حتى أتى برذعة فصالحه أهلها على شيء معلوم ﴿ وقيل ﴾ إن حبيب ابن مسلمة افتتح جرزان ثم نفذ سلمان الى شروان فصالحه ملكها ثم سار حتى أتى أرض مسقط فصالح أهلها وفعل مثل ذلك ملك اللكز وأهل الشابران وأهل فيلان ، ولقيه خاقان ملك الخزر في جيشه خلف نهر البلنجر في خاق عظيم فقتل ومن معه وهم أربعة آلاف فولى عثمان حذيفة بن اليمان العبسي ثم صرفه وولى المغيرة بن شعبة .

وزوج عثمان ابنته من عبد الله بن خالد بن أسيد وأمر له بستمائة الف درهم وكتب الى عبد الله بن عامر أن يدفعها اليه من بيت مال البصرة ﴿ وحدث ابو اسحاق ﴾ عن عبد الرحمن بن يسار قال رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى أتاها عثمان فقال له ادفعها الى الحكم بن أبي العاص ، وكان عثمان إذا أجاز احداً من اهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال فجعل يدافعه ويقول له يكون فنعطيك إن شاء الله فألح عليه فقال إنما أنت خازن لنا فإذا أعطيناك فخذ وإذا سكتنا عنك فاسكت فقال كذبت والله ما انا لك بخازن ولا لأهل بيتك إنما انا خازن المسلمين وجاء بالمفتاح يوم الجمعة وعثمان يخطب فقال ايها الناس زعم عثمان أني خازن له ولأهل بيته وانما كنت

خازناً للمسلمين وهذه مفاتيح بيت مالكم ورمى بها فاخذها ودفعها الى زيد بن ثابت .

وفي هذه السنة توفي ابو سفيان بن حرب وصلى عليه عثمان وهي سنة إحدى وثلاثين ، وأغزى عثمان جيشاً اميرهم معاوية على الصائفة سنة أثنتين وثلاثين فبلغوا الى مضيق القسطنطينية وفتحوا فتوحاً كثيرة ، وصير عثمان الى معاوية غزو الروم على أن يوجه من رأى على الصائفة فولى معاوية سفيان بن عوف الغامدي فلم يزل عليها أيام عثمان . . (١) . . لشيء شجر بينهما في خلافة عثمان ﴿ وروي ﴾ أن عثمان اعتل علة اشتدت به فدعا حمران بن أبان وكتب عهداً لمن بعده وترك موضع الاسم ثم كتب بيده عبد الرحمن بن عوف وربطه وبعث به الى أم حبيبة بنت ابي سفيان فقرأه حمران في الطريق فاتى عبد الرحمن فاخبره فقال عبد الرحمن — وغضب غضباً شديداً — أستعمله علانية ويستعملني سراً ونمي الخبر وانتشر بذلك في المدينة وغضب بنو أمية فدعا عثمان بحمران مولاه فضربه مائة سوط وسيره الى البصرة فكان سبب العداوة بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ووجه اليه عبد الرحمن بن عوف بابنه فقال له قل له والله لقد بايعتك وإن في ثلاث خصال أفضلك بهن إني حضرت بدراً ولم تحضرها ، وحضرت بيعة الرضوان ولم تحضرها ، وثبت يوم أحد وانهزمت فلما أدى ابنه الرسالة الى عثمان قال له قل له أما غيبتي عن بدر فاني أقمت على بيت رسول الله فضرب لي رسول الله سهمي وأجري ، وأما بيعة الرضوان فقد صفق لي رسول الله بيمينه على شماله فشمال رسول الله خير من ايمانكم ، وأما يوم أحد فقد كان ما ذكرت إلا أن الله قد عفا عني ولقد فعلنا أفعالا لا ندري أغفرها الله ام لا .

وكان عبد الرحمن قد طلق امرأته تماضر بنت الأصبغ الكلبية لما اشتدت علته فورثها عثمان فصولحت عن ربع الثمن على مائة الف دينار وقيل ثمانين الف دينار .

وجمع عثمان القرآن والفه وصير الطوال مع الطوال والقصار مع القصار من السور

(١) بياض في الأصل ، ولعل الساقط (ثم عزله) لشيء شجر الخ . (م ص)

وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتى جمعت ثم سلقها بالماء الحار والخل ﴿وقيل﴾ أحرقها فلم يبق مصحف إلا فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود ، وكان ابن مسعود بالكوفة فامتنع أن يدفع مصحفه الى عبد الله بن عامر وكتب عليه عثمان أن أشخصه إن لم يكن هذا الدين خبالا وهذه الأمة فساداً فدخل المسجد وعثمان يخطب فقال عثمان إنه قد قدمت عليكم دابة سوء فكلم ابن مسعود بكلام غليظ فأمر به عثمان فجر برجله حتى كسر له ضلعان فتكلمت عائشة وقالت قولاً كثيراً .

وبعث بها الى الأمصار وبعث بمصحف الى الكوفة ومصحف الى البصرة ومصحف الى المدينة ومصحف الى مكة ومصحف الى مصر ومصحف الى الشأم ومصحف الى البحرين ومصحف الى اليمن ومصحف الى الجزيرة .

وأمر الناس ان يقرأوا على نسخة واحدة وكان سبب ذلك أنه بلغه أن الناس يقولون قرآن آل فلان فاراد أن يكون نسخة واحدة ﴿وقيل﴾ إن ابن مسعود كان كتب بذلك اليه فلما بلغه أنه يحرق المصاحف قال لم أرد هذا ﴿وقيل﴾ كتب اليه بذلك حذيفة بن اليمان واعتل ابن مسعود فاتاه عثمان يعوده فقال له ما كلام بلغني عنك قال ذكرت الذي فعلته بي إنك أمرت بي فوطئ جوفي فلم أعقل صلاة الظهر ولا العصر ومنعتني عطائي قال فاني أقيدك من نفسي فافعل بي مثل الذي فعل بك قال ما كنت بالذي أفتح القصاص على الخلفاء . قال فهذا عطاؤك فخذه ، قال منعتنيه وانا محتاج اليه وتعطينيه وانا غني عنه لا حاجة لي به فانصرف فاقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفي وصلى عليه عمار بن ياسر وكان عثمان غائباً فستر أمره فلما انصرف رأى عثمان القبر فقال قبر من هذا فقيل قبر عبد الله بن مسعود قال فكيف دفن قبل أن أعلم فقالوا ولي أمره عمار بن ياسر وذكر أنه أوصى أن لا يخبر به ولم يلبث إلا يسيراً حتى مات المقداد فصلى عليه عمار وكان أوصى اليه ولم يؤذن عثمان به فاشتد غضب عثمان على عمار وقال ويلي على ابن السوداء أما لقد كنت به عليما .

وبلغ عثمان أن أبا ذر يقعد في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجتمع اليه الناس فيحدث بما فيه الطعن عليه وأنه وقف بباب المسجد فقال ﴿ أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا ابو ذر الغفاري أنا جندب بن جنادة الربذي [إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم] محمد الصفوة من نوح فالأول من ابراهيم والسلالة من اسماعيل والعترة الهادية من محمد إنه شرف شريفهم واستحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة وكالكعبة المستورة أو كالقبلة المنصوبة او كالشمس الضاحية او كالقمر الساري او كالنجوم الهادية او كالشجر الزيتونية أضاء زيتها وبورك زيدها (١) ومحمد وارث علم آدم وما فضلت به النبيون وعلي بن أبي طالب وصي محمد ووارث علمه أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها أما لو قدمتم من قدم الله وأخرتم من أخر الله وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم ولما عال ولي الله ولا طاش سهم من فرائض الله ولا اختلف اثنان في حكم الله إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيه فاما إذا فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ .

وبلغ عثمان أن أبا ذر يقع فيه ويذكر ما غير وبدل من سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسنن ابي بكر وعمر فسيره الى الشأم الى معاوية ، وكان يجلس في المجلس فيقول كما كان يقول ويجتمع اليه الناس حتى كثر من يجتمع اليه ويسمع منه ، وكان يقف على باب دمشق إذا صلى صلاة الصبح فيقول جاءت القطار تحمل النار ، لعن الله الآمرين بالمعروف والتاركين له ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له .

وكتب معاوية الى عثمان إنك قد أفسدت الشأم على نفسك بابي ذر فكتب اليه ان

---

(١) كذا في الأصل بالزاء ثم الياء المثناة التحتانية وفي كتاب سليم بن قيس الهلالي ـ المخطوط ـ (زندها) بالنون ، وهو العود الذي يقدح به النار ، ولعله الصحيح

احمله على قتب بغير وطاء فقدم به الى المدينة وقد ذهب لحم فخذيه فلما دخل اليه وعنده جماعة قال بلغني أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إذا كملت بنو أمية ثلاثين رجلاً اتخذوا بلاد الله دولاً وعباد الله خولاً ودين الله دغلاً ، فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك ، فقال لهم أسمعتم رسول الله يقول ذلك فبعث الى علي بن أبي طالب عليه السلام فاتاه فقال يا أبا الحسن أسمعت رسول الله يقول ما حكاه ابو ذر وقص عليه الخبر فقال علي عليه السلام نعم قال فكيف تشهد قال لقول رسول الله ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر ، فلم يقم بالمدينة إلا أياماً حتى أرسل اليه عثمان والله لتخرجن عنها ، قال أتخرجني من حرم رسول الله ﴿ ص ﴾ قال نعم وأنفك راغم ، قال فالى مكة ، قال لا قال فالى البصرة ، قال لا ، قال فالى الكوفة ، قال لا ولكن الى الربذة التي خرجت منها حتى تموت بها ، يا مروان أخرجه ولا تدع أحداً يكلمه حتى يخرج فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته فخرج علي والحسن والحسين عليهم السلام وعبدالله ابن جعفر (رض) وعمار بن ياسر (رض) ينظرون فلما رأى ابو ذر علياً قام اليه فقبل يده ثم بكى وقال إني إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله [ص] فلم أصبر حتى أبكي فذهب علي ﴿ ع ﴾ يكلمه فقال مروان إن أمير المؤمنين قد نهى أن يكلمه أحد فرفع علي السوط فضرب وجه ناقة مروان وقال تنح نحاك الله الى النار ثم شيعه وكلمه بكلام يطول شرحه ، وتكلم كل رجل من القوم وانصرفوا وانصرف مروان الى عثمان فجرى بينه وبين علي في هذا بعض الوحشة وتلاحيا كلاماً .

فلم يزل ابو ذر بالربذة حتى توفي ، ولما حضرته الوفاة قالت له ابنته إني وحدي في هذا الموضع وأخاف أن تغلبني عليك السباع قال كلا إنه سيحضرني نفر مؤمنون فانظري أترين أحداً فقالت ما أرى أحداً ، قال ما حضر الوقت ، ثم قال انظري هل ترين أحداً قالت نعم أرى ركباً مقبلين فقال الله اكبر صدق رسول الله ﴿ص﴾

حولي وجهي إلى القبلة فاذا حضر القوم فاقرأيهم مني السلام فاذا فرغوا من أمري فاذبحي لهم هذه الشاة وقولي لهم أقسمت عليكم إن برحتم حتى تأ كلوا ، ثم قضي عليه ، فاتى القوم فقالت لهم الجارية هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﴿ ص ﴾ قد توفي فنزلوا وكانوا سبعة نفر فيهم حذيفة بن اليمان والأشتر فبكوا بكاءً شديداً وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه ، ثم قالت لهم إنه يقسم عليكم أن لا تبرحوا حتى تأ كلوا فـذبحوا الشاة وأكلوا ثم حملوا ابنته حتى صاروا بها الى المدينة .

فلما بلغ عثمان وفاة ابي ذر قال رحم الله أبا ذر ، قال عمـار نعم رحم الله أبا ذر من كل أنفسنا ، فغلظ ذلك على عثمان وبلغ عثمان عن عمار كلام فاراد أن يسيره ايضاً فاجتمعت بنو مخزوم الى علي بن أبي طالب عليه السلام وسألوه إعانتهم فقال علي لاندع عثمان ورأيه فجلس عمار في بيته ، وبلغ عثمان ما تكلمت بنو مخزوم فامسك عنه وسير عبد الرحمن بن حنبل صاحب رسول الله ﴿ ص ﴾ الى القموس من خيبر ، وكان سبب تسييره إياه أنه بلغه كرهه مساوي ابنه وخاله وانه هجاه .

وكان عثمان جواداً وصولاً بالأموال ، وقدم أقاربه وذوي ارحامه فسوى بين الناس في الأعطية ، وكان الغالب عليه مروان بن الحكم بن ابي العاص وابو سفيان ابن حرب ، وعلى شرطه عبد الله بن قنفذ التيمي ، وحاجبه حمران بن أبان مولاه .

ونقم الناس على عثمان بعد ولايته بست سنين وتكلم فيه من تكلم وقالوا آثر القرباء وحمى الحمى وبنى الدار واتخذ الضياع والأموال بمال الله والمسلمين ، ونفى أباذر صاحب رسول الله وعبد الرحمان بن حنبل ، وآوى الحكم بن ابي العاص وعبد الله بن سعد بن ابي سرح طريدي رسول الله ، وأهدر دم الهرمزان ، ولم يقتل عبيد الله بن عمر به ، وولى الوليد بن عقبة الكوفة فاحدث في الصلاة ما احدث فلم يمنعه ذلك من إعادته إياه ، وأجاز الرجم وذلك إنه كان رجم امرأة من جهينة دخلت على زوجها فولدت لستة اشهر فامر عثمان برجمها فلما أخرجت دخل اليه علي بن ابي طالب ﴿ ع ﴾

فقال إن الله عزوجل يقول ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ وقال في رضاعه [حولين كاملين] فارسل عثمان في أثر المرأة فوجدت قد رجمت وماتت واعترف الرجل بالولد .

وقدم عليه أهل البلدان فتكلموا وبلغ عثمان أن اهل مصر قدموا عليهم بالسلاح فوجه اليهم عمرو بن العاص وكلمهم فقال لهم إنه يرجع الى ما تحبون ثم كتب لهم بذلك وانصرفوا فقال لعمرو بن العاص أخرج فاعذرني عند الناس فخرج عمرو وصعد المنبر ونادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس حمد الله وأثنى عليه ثم ذكر محمداً بما هو أهله وقال ﴿ بعثه الله رأفة ورحمة فبلغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة أفليس ذلك كذلك ﴾ قالوا بلى فجزاه الله خير ما جزى نبياً عن أمته ، ثم قال ﴿ وولي من بعده رجل عدل في الرعية وحكم بالحق ﴾ أفليس ذلك كذلك قالوا بلى فجزاه الله خيراً ، قال ﴿ ثم ولي الأعسر الأحول ابن حنتمة فأبدت له الأرض أفلاذ كبدها وأظهرت له مكنون كنوزها فخرج من الدنيا وما أبنل عصاه أفليس ذلك كذلك ﴾ قالوا بلى فجزاه الله خيراً ، قال ﴿ ثم ولي عثمان فقلتم وقال ، تلومونه ويعذر نفسه أفليس ذلك كذلك ﴾ قالوا بلى ، قال ﴿ فاصبروا له فان الصغير يكبر والهزبل يسمن ولعل تأخير أمر خير من تقديمه ﴾ ثم نزل فدخل أهل عثمان عليه فقالوا له هل عابك أحد بمثل ما عابك به عمرو ، فلما دخل عليه عمرو قال يا ابن النابغة والله مازدت أن حرضت الناس علي ، قال والله لقد قلت فيك أحسن ما علمت ولقد ركبت من الناس وركبوها منك فاعتزل إن لم تعتدل ، فقال يا ابن النابغة ، قمل درعك منذ عزلتك عن مصر .

وسار الركب الذين قدموا من مصر فلما صاروا في بعض الطريق إذا براكب على جمل فانكروه ففتشوه فوجدوا معه صحيفة من عثمان الى خليفته عبد الله بن سعد إذا قدم عليك النفر فاقطع أيديهم وأرجلهم ، فقدموا واتفقوا على الخروج وكان من يأخذون عنه محمد بن ابي بكر ، ومحمد بن ابي حذيفة ، وكنانة بن بشر ، وابن

عديس البلوي فرجعوا الى المدينة .

وكان بين عثمان وعائشة منافرة وذلك إنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب وصيّرها أسوة غيرها من نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان عثمان يوماً ليخطب إذ دلّت عائشة قميص رسول الله ﴿ ص ﴾ ونادت يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله ﴿ ص ﴾ لم يبل وقد أبلى عثمان سنته ، فقال عثمان ﴿ رب اصرف عني كيدهن إن كيدهن عظيم ﴾ .

وحصر ابن عديس البلوي عثمان في داره فناشدهم الله ، ثم نشد مفاتيح الخزائن فاتوا بها الى طلحة بن عبيد الله وعثمان محصور في داره ، وكان اكثر من يؤلب عليه طلحة والزبير وعائشة ، فكتب الى معاوية يسأل تعجيل القدوم عليه فتوجه اليه فى اثني عشر الف ، ثم قال كونوا بمكانكم فى أوائل الشأم حتى آتي امير المؤمنين لأعرف صحة أمره فاتى عثمان فسأله عن العدة فقال قد قدمت لأعرف رأيك وأعود اليهم فاجيئك بهم فقال لا والله ولكنك أردت أن أقتل فتقول انا ولي الثار إرجع فجئني بالناس فرجع فلم يعد اليه حتى قتل .

وصار مروان الى عائشة فقال يا أم المؤمنين لو قمت فأصلحت بين هذا الرجل وبين الناس قالت قد فرغت من جهازي وأنا اريد الحج قال فيدفع اليك بكل درهم أنفقته درهمين قالت لعلك ترى أني فى شك من صاحبك أما والله لوددت انه مقطع فى غرارة من غرائري وأني اطيق حمله فاطرحه فى البحر .

واقام عثمان محاصراً اربعين يوماً وقتل لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثلاث وثمانين سنة ﴿ وقيل ﴾ ست وثمانين سنة ، وكان الذين تولوا قتله محمد بن ابي بكر ، ومحمد بن ابي حذيفة ، وابن حزم ﴿ وقيل ﴾ كنانة بن بشر التجيبي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وعبد الرحمن بن عديس البلوي وسودان بن حمران ، واقام ثلاثاً لم يدفن ، وحضر دفنه حكيم بن حزام ، وجبير بن

مطعم ، وحويطب بن عبد العزى ، وعمرو بن عثمان ابنه ، ودفن بالمدينة ليلا في موضع يعرف بحش كوكب وصلى عليه هؤلاء الأربعة ﴿ وقيل ﴾ لم يصلّ عليه [وقيل] احد الأربعة قدصلى عليه ، فدفن بغيرصلاة وكانت أيامه اثنتي عشرة سنة .

وحج عثمان بالناس أيامه كلها إلا السنة الأولى وهي سنة أربع وعشرين فانه حج بالناس عبد الرحمن بن عوف ، والسنة التي قتل فيها فانه حج بالناس عبد الله بن عباس وهي سنة خمس وثلاثين وكان له من الولد الذكور سبعة عمرو ، وعمر ، وخالد وأبان ، والوليد ، وسعيد ، وعبد الملك .

صفة عثمان بن عفان

وكان عثمان بن عفان مربوعاً حسن الوجه رقيق البشرة كثير (١) اللحية عظيمها أسمر عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين كثير شعر الرأس أسنانه مشدودة بالذهب يصفر لحيته .

وكان عمل عثمان على اليمن يعلى بن منية التميمي ، وعلى مكة عبد الله بن عمرو الحضرمي ، وعلى همذان جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي ، وعلى الكوفة ابو موسى الأشعري ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر بن كريز وعلى مصر عبد الله بن سعد بن ابي سرح ، وعلى الشأم معاوية بن أبي سفيان ابن حرب .

وكان الفقهاء في أيامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعبد الله ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبدالله ابن عباس ، وابو الدرداء ، وابو سعيد الخدري ، وعبد الله بن عمر ، وسلمان ابن ربيعة الباهلي .



---

(١) كذا في الأصل ، والصحيح [كبير اللحية] كما ذكره ابن الأثير وغيره .

خلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

واستخلف علي بن ابي طالب — بن عبد المطلب ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف — يوم الثلاثاء لسبع ليال بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ومن شهور العجم في حزيران ، وكانت الشمس يومئذٍ في الجوزاء ستاً وعشرين درجة وأربعين دقيقة ، والقمر في الدلو ثماني عشرة درجة واربعين دقيقة ، وزحل في السنبلة خمساً وعشرين درجة ، والمريخ في الجدي سبع درجات « . . . . . . »

بايعه طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار ، وكان اول من بايعه وصفق على يده طلحة بن عبيد الله ، فقال رجل من بني أسد أول يد بايعت يد شلاء او يد ناقصة (١) وقام الأشتر وقال أبايعك يا امير المؤمنين على أن علي بيعة أهل الكوفة ، ثم قام طلحة والزبير فقالا نبايعك يا أمير المؤمنين على أن علينا بيعة المهاجرين ، ثم قام ابو الهيثم بن التيهان وعقبة بن عمرو وابو ايوب فقالوا نبايعك على أن علينا بيعة الأنصار وسائر قريش وبايع الناس إلا ثلاثة نفر من قريش مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة ، وكان لسان القوم فقال يا هذا إنك قد وترتنا جميعاً أما انا فقتلت أبي صبراً يوم بدر وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر وكان أبوه من نور قريش ، وأما مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمه اليه « . . . . » على ذلك بنو عبد مناف فتبايعنا على أن تضع عنا ما أصبنا وتعفي لنا عما في أيدينا وتقتل قتلة صاحبنا ، فغضب علي عليه السلام وقال أما ما ذكرت من وتري إياكم فالحق وتركم ، وأما وضعي عنكم عما في ايديكم فليس لي أن اضع حق الله ، واما إعفائي عما في ايديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم ، واما قتلي قتلة عثمان فلولزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً ولكن لكم ان احملكم على كتاب الله وسنة نبيه فمن ضاق عليه الحق فالباطل عليه

(١) لعل في العبارة سقطاً وتمامها « لا يتم هذا الأمر » كما في تاريخ ابن الأثير وغيره . (م . ص)

أضيق وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم ، فقال مروان بل نبايعك ونقيم معك فترى ونرى وقام قوم من الأنصار فتكلموا وكان أول من تكلم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري وكان خطيب الأنصار ، فقال ﴿ والله يا أمير المؤمنين لئن كانوا تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين ، ولئن كانوا سبقوك أمس لقد لحقتهم اليوم ، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك ولا يجهل مكانك يحتاجون اليك فيما لا يعلمون وما احتجت الى احد مع علمك ﴾ .

ثم قام خزيمة بن ثابت الأنصاري وهو ذو الشهادتين فقال ﴿ يا أمير المؤمنين ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك ولا كان المنقلب إلا اليك ولئن صدقنا أنفسنا فيك لأنت أقدم الناس إيمانا وأعلم الناس بالله وأولى المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لك ما لهم وليس لهم مالك ﴾ .

وقام صعصعة بن صوحان فقال ﴿ والله يا أمير المؤمنين لقد زنت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك ولهي اليك أحوج منك اليها ﴾ .

ثم قام مالك بن الحرث الأشتر فقال ﴿ أيها الناس هذا وصي الأوصياء ووارث علم الأنبياء العظيم البلاء الحسن العناء الذي شهد له كتاب الله بالايمان ورسوله بجنة الرضوان من كملت فيه الفضائل ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل ﴾

ثم قام عقبة بن عمرو فقال ﴿ من له يوم كيوم العقبة وبيعة كبيعة الرضوان والامام الأهدى الذي لا يخاف جوره والعالم الذي لا يخاف جهله ﴾ .

وعزل علي عليه السلام عمال عثمان عن البلدان خلا أبي موسى الأشعري كلمه فيه الأشتر فاقره ، وولى قثم بن العباس مكة ، وعبيد الله بن العباس اليمن ، وقيس بن سعد بن عبادة مصر ، وعثمان بن حنيف البصرة ، وأتاه طلحة والزبير فقالا إنه قد نالتنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جفوة فأشركنا في أمرك ، فقال انما شريكاي في القوة والاستقامة وعوناي على العجز والاود ﴿ وروى بعضهم ﴾ أنه ولى

طلحة اليمن والزبير اليمامة والبحرين فلما دفع اليهما عهديهما قالا له وصلتك رحم ، قال وانما وصلتكما بولاية أمور المسلمين واسترد العهد منهما فعتبا من ذلك وقالا آثرت علينا فقال لو لا ما ظهر من حرصكما فقد كان لي فيكما رأي ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن المغيرة ابن شعبة قال له يا أمير المؤمنين أنفذ طلحة الى اليمن والزبير الى البحرين واكتب بعهد معاوية على الشأم فاذا استقامت الأمور فشأنك وما تريده فيهم فاجابه في ذلك بجواب فقال المغيرة والله ما نصحت له قبلها ولا أنصح له بعدها .

وكانت عائشة بمكة خرجت قبل أن يقتل عثمان فلما قضت حجها انصرفت راجعة فلما صارت في بعض الطريق لقيها ابن أم كلاب فقالت له ما فعل عثمان قال قتل قالت بعداً وسحقاً ، قالت فمن بايع الناس قال طلحة ، قالت أيهاً ذو الاصبع ثم لقيها آخر فقالت ما فعل الناس قال بايعوا علياً ، قالت والله ما كنت أبالي أن تقع هذه على هذه ثم رجعت الى مكة ، وأقام علي عليه السلام أياماً ثم أتاه طلحة والزبير فقالا إنا نريد العمرة فأذن لنا في الخروج .

﴿ وروى بعضهم ﴾ أن علياً [ع] قال لهما أو لبعض اصحابه ﴿ والله ما أرادا العمرة ولكنهما أرادا الغدرة ﴾ فلحقا عائشة بمكة فحرضاها على الخروج فاتت أم سلمة بنت أبي امية زوج رسول الله ﴿ ص ﴾ فقالت إن ابن عمي وزوج أختي أعلماني أن عثمان قتل مظلوماً وأن أكثر الناس لم يرض ببيعة علي وأن جماعة من البصرة خالفوا فلو خرجت بنا لعل الله أن يصلح أمر أمة محمد على ايدينا ، فقالت لها ام سلمة ﴿ إن عماد الدين لا يقام بالنساء ، حماديات (١) النساء غض الأبصار وخفض الأطراف وجر الذيول إن الله وضع عني وعنك هذا ، ما أنت قائلة لو ان رسول الله عارضك

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية بمادة (حمد) في حديث أم سلمة (حماديات النساء غض الأطراف) اي غاياتهن ومنتهى ما يحمد منهن يقال حماداك ان تفعل وقصاراك ان تفعل اي جهدك وغايتك) . (م . ص)

باطراف الفلوات فد هتكت حجاباً قد ضربه عليك ﴾ فنادى مناديها ألا إن أم المؤمنين مقيمة فأقيموا وناداها طلحة والزبير وأزالاها عن رأيها وحملاها على الخروج فسارت الى البصرة مخالفة على علي ومعها طلحة والزبير في خلق عظيم وقدم يعلى بن منية بمال من مال اليمن ، قيل إن مبلغه اربعمائة الف دينار فأخذه منه طلحة والزبير فاستعانا به وسارا نحو البصرة ومرّ القوم في الليل بماء يقال له ماء ﴿ الحوأب ﴾ فنبحتهم كلابه فقالت عائشة ما هذا الماء ، قال بعضهم ماء الحوأب قالت إنا لله وإنا اليه راجعون ردوني ردوني هذا الماء الذي قال لي رسول الله لا تكوني التي تنبحك كلاب الحوأب فاتاها القوم باربعين رجلاً فاقسموا بالله إنه ليس بماء الحوأب ، وقدم القوم البصرة وعامل علي عثمان بن حنيف فمنعها ومن معها من الدخول فقالا لم نأت لحرب وإنما جئنا لصلح فكتبوا بينهم وبينه كتاباً أنهم لايحدثون حدثاً الى قدوم علي وأن كل فريق منهم آمن من صاحبه ثم افترقوا فوضع عثمان بن حنيف السلاح فنتفوا لحيته وشاربه وأشفار عينيه وحاجبيه وانتهبوا بيت المال وأخذوا ما فيه فلما حضر وقت الصلاة تنازع طلحة والزبير وجذب كل واحد منهما صاحبه حتى فات وقت الصلاة وصاح الناس الصلاة الصلاة يا أصحاب محمد فقالت عائشة يصلي محمد بن طلحة يوماً وعبد الله بن الزبير يوماً فاصطلحوا على ذلك .

فلما أتى علياً الخبر سار الى البصرة واستخلف على المدينة أبا حسن (١) بن عبد عمرو أحد بني النجار وخرج من المدينة ومعه أربعمائة راكب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما صاروا الى أرض أسد وطيئ تبعه منهم ستمائة ثم صار الى ذي قار ووجه الحسن وعمار بن ياسر فاستنفرا أهل الكوفة وعامله يومئذ على الكوفة

(١) أبو حسن الأنصاري المازني مشهور بكنيته واسمه تميم بن عمرو ، وقيل ابن عبد عمرو ، وقيل ابن عبد قيس بن مخرمة بن الحارث بن ثعلبة بن مازن ، بدري له صحبة ، وهو جد يحيى بن عمارة بن أبي حسن . (الاصابة لابن حجر)

ابو موسى الأشعري فخذل الناس عنه فوافاه منهم ستة آلاف رجل ولقيه عثمان بن حنيف فقال يا أمير المؤمنين وجهتني ذا لحية فاتيتك أمرد وقص عليه القصة ، فلما قدم أمير المؤمنين البصرة وكانت وقعة الجمل بموضع يقال له الحريبة في جمادى الاولى سنة ست وثلاثين .

وخرج طلحة والزبير فيمن معهما فوقفوا على مصافهم فارسل اليهم علي عليه السلام ما تطلبون وما تريدون قالوا نطلب بدم عثمان قال علي لعن الله قتلة عثمان ، واصطف أصحاب علي فقال لهم لا ترموا بسهم ولا تطعنوا برمح ولا تضربوا بسيف .. (١) .. أعذروا فرمى رجل من عسكر القوم بسهم فقتل رجلاً من أصحاب أمير المؤمنين فاتي به اليه فقال اللهم اشهد ، ثم رمى رجل آخر فاصاب عبد الله (٢) بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقتله فاتى به أخوه عبد الرحمن يحمله فقال علي اللهم اشهد ، ثم كانت الحرب وأطافت بنو ضبة بالجمل وكانت تحمل الراية فقتل منهم الفان وحفت به الأزد فقتل الفان وسبعمائة وكان لا يأخذ خطام الجمل أحد إلا سالت نفسه فقتل طلحة بن عبيد الله في المعركة رماه مروان بن الحكم بسهم فصرعه وقال لا أطلب والله بعد اليوم بثأر عثمان وانا قتلته فقال طلحة لما سقط تالله ما رأيت كاليوم قط شيخاً من قريش أضيع مني إني والله ما وقفت موقفاً قط إلا عرفت موضع قدمي فيه إلا هذا الموقف .

وقال علي بن ابي طالب عليه السلام للزبير يا أبا عبد الله ادن إلي اذكرك كلاماً سمعته انا وانت من رسول الله (ص) فقال الزبير اعلي لي الأمان فقال علي عليه السلام عليك الأمان فبرز اليه فذكره الكلام فقال اللهم إني ما ذكرت هذا إلا هذه

(١) بياض في الأصل ، ولعل العبارة (وأعذروا الى القوم) فرمى (الخ)

(٢) أما عبد الله بن بديل بن ورقاء (رض) فلم يقتل يوم الجمل ولكنه استشهد في صفين على سرادق معاوية وإنما قتل أخوه (كذا في هامش الأصل) وهذا هو الذي ذكره المؤرخون منهم المسعودي في مروج الذهب في وقعة الجمل . (م . ص)

الساعة وثنى عنان فرسه لينصرف فقال له عبد الله الى أين قال ذكرني علي كلاماً قاله رسوله الله ، قال كلا ولكنك رأيت سيوف بني هاشم حداداً تحملها شداد ، قال ويلك أومثلي يعّير بالجبن هلم إلي بالرمح وأخذ الرمح وحمل على اصحاب علي فقال افرجوا للشيخ إنه محرج فشق الميمنة والميسرة والقلب ثم رجع فقال لابنه لا ام لك ايفعل هذا جبان وانصرف فاجتاز بالأحنف بن قيس فقال ما رأيت مثل هذا اتى بحرمة رسول الله يسوقها فهتك عنها حجاب رسول الله وستر حرمته في بيته ثم اسلمها وانصرف الا رجل يأخذ لله منه فاتبعه عمرو بن جرموز التميمي فقتله بموضع يقال له وادي السباع .

وكانت الحرب اربع ساعات من النهار * فروى بعضهم * انه قتل في ذلك اليوم نيف وثلاثون الفاً ثم نادى منادي علي عليه السلام الا لا يجهز على جريح ، ولا يتبع مول ، ولا يطعن في وجه مدبر ، ومن القى السلاح فهو آمن ، ومن اغلق بابه فهو آمن ، ثم آمن الأسود والاحمر ، ووجّه ابن عباس الى عائشة بأمرها بالرجوع فلما دخل عليها ابن عباس قالت اخطأت السنة يابن عباس ، مرتين دخلت بيتي بغير إذني وجلست على متاعي بغير امري ، قال نحن علمنا إياك (١) السنة إن هذا ليس ببيتك بيتك الذي خلفك رسول الله [ص] به وامرك القرآن ان تقرى فيه ، وجرى بينهما كلام موضعه في غير هذا من الكتاب ، واتاها علي عليه السلام وهي في دار عبد الله ابن خلف الخزاعي وابنه المعروف بطلحة الطلحات ، فقال إيهاً يا حميراء الم تنهي عن هذا المسير فقالت يا ابن ابي طالب قدرت فأسجح (٢) فقال اخرجي الى المدينة

(١) كذا في الأصل ولعل الصحيح (علمناك السنة) .

(٢) المثل المشهور « ملكت فأسجح » الاسجاح حسن العفو اى ملكت الأمر علي فحسن العفو عني ، ذكره الميداني في مجمع الأمثال ورواه لعائشة انها قالته لعلي عليه السلام يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كلمها بكلام فأجابته (ملكت فأسجح) وكذا في النهاية لابن الأثير . (م . ص)

وارجعي الى بيتك الذي أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آن تقري فيه ، قالت أفعل ، فوجه معها سبعين امرأة من عبد القيس في ثياب الرجال حتى وافوا بهـا المدينة وأعطى الناس بالسوية لم يفضل احداً على أحدٍ وأعطى الموالي كما اعطى الصابية ، وقيل له في ذلك فقال قرأت ما بين الدفتين فلم أجد لولد اسماعيل على ولد اسحاق فضل هذا وأخذ عوداً من الأرض فوضعه بين اصبعيه .

ولما فرغ من حرب الجمل وجه جعدة بن هبيرة بن ابي وهب المخزومي الى خراسان وقدم عليه ماهويه مرزبان (١) مرو فكتب له كتاباً وأنفذ له شروطه وأمره أن يحمل من الخراج ما كان وظفه عليه فحمل اليه مالاً على الوظيفة المتقدمة .

وخرج علي عليه السلام من البصرة متوجهاً الى الكوفة وقدم الكوفة في رجب سنة ست وثلاثين وكان جرير بن عبد الله على همذان فعزله فقال لعلي وجهني الى معاوية فان جل من معه قومي فلعلي اجمعهم على طاعتك فقال له الاشتر يا امير المؤمنين لا تبعثه فان هواه هواهم فقال دعه يتوجه فان نصح كان ممن ادى امانته وإن داهن كان عليه وزر من اوتمن ولم يؤد الأمانة ووثق به فخالف الثقة ، ويا ويحهم مع من يميلون ويدعونني فو الله ما اردتهم إلا على إقامة حق ولا يريدهم غيري إلا على باطل ، فقدم جرير على معاوية وهو جالس والناس حوله فدفع اليه كتاب علي ﴿ ع ﴾ فقرأه ثم قام جرير فقال يا اهل الشام إنه من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير وقد كانت بالبصرة ملحمة لئن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للاسلام فاتقوا الله يا اهل الشأم ﴿ وروا في علي (٢) ومعاوية خيراً ﴾ فانظروا لأنفسكم ولا يكونن أنظر لها منكم ، ثم سكت وصمت

(١) المرزبان بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاء ، الرئيس عند الفرس وجمعهُ المرازبة .

(٢) كتب في هامش الأصل بدل العبارة المذكورة ما يلي (وروا اين معاوية من علي واين اهل الشأم من المهاجرين والانصار) . (م . ص)

معاوية فلم ينطق أبلعني ريقي يا جرير .

وبعث معاوية من ليلته الى عمرو بن العاص أن يأتيه وكتب اليه ﴿ أما بعد فانه قد كان من أمر علي وطلحة والزبير وعائشة ما قد بلغك فقد سقط الينا مروان في رافضة أهل البصرة وقدم علي جرير بن عبد الله في بيعة علي وحبست نفسي عليك حتى تأتيني فاقدم على بركة الله تعالى ﴾ فلما انتهى الكتاب اليه دعا ابنيه عبد الله ومحمداً فاستشارهما فقال له عبد الله أيها الشيخ إن رسول الله قبض وهو عنك راض ومات ابو بكر وعمر وهما عنك راضيان فانك إن تفسد دينك بدنيا يسيرة تصيبها مع معاوية فتضجعان غداً في النار ، ثم قال لمحمد ما ترى فقال بادر هذا الأمر فكن فيه رأساً قبل أن تكون ذنباً فانشأ يقول :

تطاول ليلي للهموم الطوارق * وخوف التي تجلو وجوه العواتق
فان ابن هند سائلي أن أزوره * وتلك التي فيها بنات البوائق
أتاه جرير من علي بخطة * أمرّت عليه العيش مع كل ذائق
فان نال منه ما يؤمل ردّه * وإن لم ينله ذلّ ذل المطابق
فوالله ما أدري وإني لهكذا * أكون ومهما قادني فهو سائقي
أأخدعه فالخدع فيه دنية * أم اعطيه من نفسي نصيحة وامق
أم اجلس في بيتي وفي ذاك راحة * لشيخ يخاف الموت في كل شارق
وقد قال عبد الله قولاً تعلقت * به النفس إن لم تعتقلني عوائقي
وخالفه فيه أخوه محمد * وإني لصلب العود عند الحقايق

فلما سمع عبد الله شعره قال بال الشيخ على عقبيه وباع دينه بدنياه فلما أصبح دعا وردان مولاه فقال له ارحل يا وردان ثم قال حط يا وردان فحط ورحل ثلاث مرات فقال وردان لقد خلطت أبا عبد الله فان شئت أخبرتك بما في نفسك قال هات قال اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت علي معه آخرة بلا دنيا ومعاوية معه دنيا بلا

آخرة وليس في الدنيا عوض من الآخرة ، فلست تدري أيهما تختار ، قال لله درك ما أخطأت مما في نفسي شيئاً فما الرأي يا وردان قال الرأي أن تقيم في منزلك فان ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغن عنك قال عمرو الآن وقد شهرتني العرب بمسيري الى معاوية ارحل يا وردان ثم أنشأ يقول :

يا قاتل الله وردانا وفطنته * أبدى لعمرك ما في الصدر وردان

فقدم على معاوية فذاكره أمره فقال له أما علي فوالله لا تساوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء وإن له في الحرب لحظاً ما هو لأحد من قريش إلا أن تظلمه ، قال صدقت ولكنا نقاتله على ما في أيدينا ونلزمه قتل عثمان ، قال عمرو واسوأتاه إن أحق الناس أن لا يذكر عثمان لأنا ولأنت قال ولم ويحك قال أما انت فخذلته ومعك أهل الشأم حتى استغاث بيزيد بن أسد البجلي فسار اليه ، وأما أنا فتركته عياناً وهربت الى فلسطين ، فقال معاوية دعني من هذا مد يدك فبايعني قال لا لعمر الله لا أعطيك ديني حتى آخذ من دنياك ، قال له معاوية لك مصر طعمة فغضب مروان بن الحكم وقال مالي لا أستشار فقال معاوية اسكت فانما يستشار بك ، فقال له معاوية يا أبا عبد الله بت عندنا الليلة وكره أن يفسد عليه الناس فبات عمرو وهو يقول :

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل * به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصراً فأربح بصفقة * أخذت بها شيخاً يضر وينفع
وما الدين والدنيا سواء وإنني * لآخذ ما أعطى ورأسي مقنع
ولكنني أعطيك هذا وإنني * لأخدع نفسي والمخادع يخدع
أأعطيك امراً فيه للملك قوة * وأبقى له إن زلت النعل أصرع
وتمنعني مصراً وليست برغبة * وإن نرى القنوع يوماً لمولع (١)

---

(١) كذا في الاصل وفي الشطر الاخير اضطراب ، وقد ذكر الابيات ابن ابي الحديد المعتزلي في شرح النهج ج ١ ص ١٣٧ وروى الشطر الاخير كما يلي (وإني بذا الممنوع قدماً لمولع)

فكتب له بمصر شرطاً وأشهد له شهوداً وختم الشرط وبايعه عمرو وتعاهدا على الوفاء ، واحتال معاوية لقيس بن سعد بن عبادة عامل علي عليه السلام على مصر فجعل يكاتبه رجاء أن يستميله وكتب اليه قيس بن سعد ﴿ من قيس بن سعد الي معاوية ابن صخر أما بعد فانما أنت وثن من أوثان مكة دخلت فى الاسلام كارهاً وخرجت منه طائعاً ﴾ وكتب معاوية الى سعد بن ابي وقاص ﴿ إن أحق الناس بنصر عثمان أهل الشورى من قريش الذين اثبتوا حقه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك فى الأمر ونظيراك فى الاسلام وخفت لذلك أم المؤمنين ولا تكرهن ما رضوا ولا تردن ما قبلوا ﴾ فكتب اليه سعد ﴿ أما بعد فان عمر لم يدخل فى الشورى إلا من تحل له الخلافة فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلا باجتماعنا عليه غير أن علياً قد كان فيه ما فينا ولم يكن فينا ما فيه وأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما كان خيراً لهما والله يغفر لأم المؤمنين ﴾ .

وبلغ علياً عليه السلام أن معاوية قد استعد للقتال واجتمع معه اهل الشام فسار علي فى المهاجرين والأنصار حتى أتى المدائن فلقيه الدهاقين بالهدايا فردها فقالوا ولم ترد علينا يا أمير المؤمنين قال نحن أغنى منكم بحق وأحق بأن نفيض عليكم ، ثم صار الى الجزيرة فلقيه بطون تغلب والنمر بن قاسط (١) فسار معه منهم خلق عظيم ، ثم سار الى الرقة وجل اهلها العثمانية الذين هربوا من الكوفة الى معاوية فغلقوا ابوابها وتحصنوا وكان اميرهم سماك بن مخرمة الأسدي فغلقوا دونه الباب فصار اليهم الأشتر مالك بن الحارث النخعي فقال والله لتفتحن او لاضعن فيكم السيف ففتحوا واقام بها أمير المؤمنين يومه ثم عبر الى الجانب الشرقي من الفرات حتى صار الى صفين وقد سبق معاوية الى الماء ووسعه المناخ فلما وافى علي واصحابه لم يصلوا الى الماء فتوسل الناس الى معاوية وقالوا

(١) وكان عدة أصحاب علي ﴿ ع ﴾ الذين جاهد بهم معوية سبعين الفاً ، وقيل إن عسكر معاوية مثل ذلك والله اعلم . (عن هامش الاصل)

لا تقتل الناس عطشاً فيهم العبد والأمة والأجير ، فابى معاوية وقال لا سقاني الله ولا أبا سفيان من حوض رسول الله إن شربوا منه ابداً ، فوجه علي عليه السلام الأشتر والأشعث ، الأشتر في الخيل والأشعث بن قيس في الرجالة ، وكانت خيل معاوية مع أبي الأعور السلمي فقاتله أصحاب علي حتى صارت سنابك الخيل في الفرات وغلبوا على المشرعة وكان الواقف عليها عبد الله بن الحارث أخو الأشتر فلما غلب علي عليه السلام على المشرعة قال أصحاب معاوية إنه لا قوام لنا وقد أخذ علي الماء فقال عمرو بن العاص إن علياً لا يستحل منك ومن اصحابك ما استحللت منه ومن أصحابه فاطاق علي عليه السلام الماء وكان ذلك في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ، ثم وجه علي الى معاوية يدعوه ويسأله الرجوع أن لا يفرق الأمة بسفك الدماء فابى إلا الحرب فكانت الحرب في صفين سنة سبع وثلاثين وأقامت بينهم أربعين صباحاً ، وكن مع علي يوم صفين من أهل بدر سبعون رجلاً وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل ومن سائر المهاجرين والأنصار اربعمائة رجل ، ولم يكن مع معاوية من الأنصار إلا النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد ، وصدقت نيات اصحاب علي ﴿ ع ﴾ في القتال ، وقام عمار بن ياسر فصاح في الناس فاجتمع اليه خلق عظيم فقال والله إنهم لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ، ثم قال ألا من رائح الى الجنة فتبعه خلق فضرب حول سرادق معاوية فقاتل القوم قتالاً وقتل عمار بن ياسر واشتدت الحرب فى تلك العشية ونادى الناس قتل صاحب رسول الله وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقتل عماراً الفئة الباغية وزحف اصحاب علي ﴿ ع ﴾ وظهروا على اصحاب معاوية ظهوراً شديداً حتى لصقوا به فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فقال له عمرو بن العاص الى اين قال قد نزل ما ترى فما عندك قال لم يبق إلا حيلة واحدة أن ترفع المصاحف فتدعوهم الى ما فيها فتستكفهم وتكسر من حدّهم وتفت فى أعضادهم ، قال معاوية فشأنك فرفعوا المصاحف ودعوهم الى التحكيم بما فيها وقالوا ندعوكم الى كتاب الله فقال علي

عليه السلام إنها مكيدة وليسوا بأصحاب قرآن فاعترض الأشعث بن قيس الكندي وقد كان معاوية استماله وكتب اليه ودعاه الى نفسه ، فقال قدعوا القوم الى الحق فقال علي ﴿ ع ﴾ إنهم انما كادوكم وأرادوا صرفكم عنهم فقال الاشعث والله لئن لم تجبهم انصرفت عنك ، ومالت اليمانية مع الاشعث ، فقال الاشعث والله لتجيبنهم الى ما دعوا اليه أو لندفعنك اليهم برمتك فتنازع الأشتر والاشعث فى هذا كلاماً عظيماً حتى كاد أن يكون الحرب بينهم وحتى خاف علي ﴿ ع ﴾ أن يفترق عنه أصحابه فلما رأى ما هو فيه أجابهم الى الحكومة ، وقال علي أرى أن أوجه بعبد الله بن عباس فقال الاشعث إن معاوية يوجه بعمرو بن العاص ولا يحكم فينا مضريان ولكن توجه أبا موسى الاشعري فانه لم يدخل في شيء من الحرب ، فقال علي عليه السلام إن أبا موسى الاشعري عدو وقد خذّل الناس عني بالكوفة ونهاهم أن يخرجوا معي ، قالوا لا نرضى بغيره ، فوجه علي أبا موسى على علمه بعداوته له ومداهنته فيما بيننا وبينه ، ووجه معاوية عمرو بن العاص وكتبوا كتابين بالقضية كتاباً من علي ﴿ ع ﴾ بخط كاتبه عبدالله بن أبي رافع وكتاباً من معاوية بخط كاتبه عمير بن عباد الكناني ، واختصموا فى تقديم علي ﴿ ع ﴾ او تسمية علي بامرة المؤمنين ، فقال ابو الاعور السلمي لا نقدم علياً وقال اصحاب علي لا نغير اسمه ولا نكتب إلا بامرة المؤمنين ، فتنازعوا على ذلك منازعة شديدة حتى تضاربوا بالايدي ، فقال الاشعث امحوا هذا الاسم ، فقال له الاشتر والله يا اعور لهممت ان املى سيفي منك فلقد قتلت قوماً ما هم بأشر منك وإني اعلم انك ما تحاول إلا الفتنة وما تدور إلا على الدنيا وايثارها على الآخرة فلما اختلفوا قال علي ﴿ ع ﴾ الله اكبر قد كتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية لسهيل بن عمرو هذا ما صالح عليه رسول الله فقال سهيل لو علمنا انك رسول الله ما قاتلناك فمحا رسول الله اسمه بيده وامرني فكتبت من محمد بن عبدالله وقال ان اسمي واسم ابي لا يذهبان بنبوتي وكذلك كتبت الأنبياء كما كتب رسول الله الى الآباء وإن اسمي

واسم ابي لا يذهبان بامرتي ، وأمرهم فكتبوا من علي بن ابي طالب وكتب كتاب القضية على الفريقين يرضون بذلك بما أوجبه كتاب الله واشترط على الحكمين في الكتابين أن يحكما بما في كتاب الله من فاتحته الى خاتمته لا يتجاوزان ذلك ولا يحيدان عنه الى هوى ولا ادهان وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق فان هما جاوزا بالحكم كتاب الله من فاتحته الى خاتمته فلا حكم لهما .

ووجه علي عليه السلام بعبدالله بن عباس في أربعمائة من اصحابه ونفذ معاوية اربعمائة من أصحابه واجتمعوا ﴿ بدومة الجندل ﴾ في شهر ربيع الأول سنة ثماني وثلاثين فخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري وذكر له معاوية فقال هو ولي ثأر عثمان وله شرفة في قريش فلم يجد عنده ما يحب قال فابني عبد الله قال ليس بموضع لذلك قال فعبد الله بن عمر قال اذاً يحيي سنة عمر ، الآن جئت به فقال فاخلع علياً وأخلع انا معاوية ويختار المسلمون وقدم عمرو أبا موسى الى المنبر فلما رآه عبد الله بن عباس قام الى عبدالله ابن قيس فدنا منه فقال إن كان عمرو فارقك على شيء فقدمه قبلك فانه غدر ، فقال لا قد اتفقنا على أمر فصعد المنبر وخلع علياً ثم صعد عمرو بن العاص فقال قد ثبت معاوية كما ثبت خاتمي هذا في يدي ، فصاح به ابو موسى غدرت يا منافق انما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، فقال عمرو انما مثلك مثل الحمار يحمل أسفاراً ، وتنادى الناس حكم والله الحكمان بغير ما في كتاب الله والشرط عليهما غير هذا ، وتضارب القوم بالسياط واخذ قوم بشعور بعض وافترق الناس ونادت الخوارج كفر الحكمان لا حكم إلا لله ﴿ وقيل ﴾ أول من نادى بذلك عروة بن أدية التميمي قبل أن يجتمع الحكمان وكانت الحكومة في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين .

﴿ قال ﴾ ابن الكلبي أخبرني عبد الرحمن بن حصين بن سويد « . . (١) . . »

---

(١) بياض في الأصل ، ولعل الساقط (أخبرني جدي سويد بن غفلة) كما في هامش الأصل .

(م . ص)

قال اني لأساير أبا موسى الأشعري على شاطيء الفرات وهو إذ ذاك عامل لعمر فجعل يحدثني فقال إن بني إسرائيل لم تزل الفتن ترفعهم وتخفضهم أرضاً بعد أرض حتى حكموا ضالين اضلا من اتبعها قلت فان كنت يا أبا موسى أحد الحكمين قال فقال لي إذاً لا ترك الله لي فى السماء مصعداً ولا فى الأرض مهرباً إن كنت انا هو ، فقال سويد لربما كان البلاء موكلا بالمنطق واقيته بالتحكيم فقلت إن الله إذا قضى أمراً لم يغالب .

وانصرف علي عليه السلام الى الكوفة فلما قدمها قام خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال « أيها الناس إن أول وقوع الفتن هوى يتبع وأحكام تبتدع يعظم فيها رجال رجالاً يخالف فيها حكم الله ولو أن الحق أخلص فعمل به لم يخف على ذي حجى ولكن يؤخذ ضغث من ذا وضغث من ذا فيخلط فيعمل به فعندذلك يستولي الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت لهم منا الحسنى » .

وصارت الخوارج الى قرية يقال لها « حروراء » بينها وبين الكوفة نصف فرسخ وبها سموا « الحرورية » ورئيسهم عبد الله بن وهب الراسبي وابن الكوا وشبث بن ربعي فجعلوا يقولون لا حكم إلا لله فلما بلغ علياً ذلك قال كلمة حق أريد بها باطل ، ثم خرجوا فى ثمانية آلاف « وقيل » فى اثني عشر الفاً فوجه اليهم علي « ع » عبد الله بن عباس فكلمهم واحتجوا عليه فخرج اليهم علي « ع » فقال أتشهدون علي بجهل قالوا لا قال فتنفذون أحكامي قالوا نعم قال ارجعوا الى كوفتكم حتى نتناظر فرجعوا من عند آخرهم ثم جعلوا يقومون فيقولون لا حكم إلا لله فيقول علي [ع] حكم الله ننتظر فيكم ، وخرجوا من الكوفة فوثبوا على عبد الله بن خباب بن الأرت فقتلوه واصحابه فخرج اليهم علي [ع] فناشدهم الله ووجه اليهم عبدالله بن عباس فقال يا ابن عباس قل لهؤلاء الخوارج ما نقمتم على امير المؤمنين ألم يحكم فيكم بالحق ويقيم فيكم العدل ولم يبخسكم شيئاً من حقوقكم ، فناداهم عبد الله بن عباس بذلك فقالت طائفة منهم والله لا نجيبه وقالت الأخرى والله لنجيبنه ثم نخصمنه ، نعم يا ابن عباس نقمنا على علي

خصالاً كلها موبقة لو لم نخصمه منها إلا بخصلة خصمناه ، محا اسمه من امرة المؤمنين يوم كتب الى معاوية ، ورجعنا عنه يوم صفين فلم يضربنا بسيفه حتى نفيء الى الله وحكم الحكمين ، وزعم أنه وصي فضيع الوصية وجئتنا يابن عباس في حلة حسنة جميلة تدعونا الى مثل ما يدعونا اليه ، فقال ابن عباس قد سمعت يا أمير المؤمنين مقالة القوم وانت أحق بالجواب فقال حججتهم والذي فاق الحبة وبرأ النسمة ، قل لهم الستم راضين بما في كتاب الله وبما فيه من إسوة رسول الله قالوا بلى قال فعلي بذلك أرضى ، كتب كاتب رسول الله يوم الحديبية إذ كتب الى سهيل بن عمرو وصخر بن حرب ومن قبلهما من المشركين ﴿ من محمد رسول الله ﴾ فكتبوا اليه لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك فاكتب الينا ﴿ من محمد بن عبد الله ﴾ انجيبك فمحا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسمه بيده وقال إن اسمي واسم أبي لا يذهبان بنبوتي وأمري فكتب ﴿ من محمد بن عبد الله ﴾ وكذلك كتب الأنبياء كما كتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الآباء ففي رسول الله إسوة حسنة .

وأما قولكم إني لم أضربكم بسيفي يوم صفين حتى تفيئوا الى أمر الله فان الله جل وعز يقول ﴿ ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ﴾ وكنتم عدداً جماً وانا واهل بيتي في عدة يسيرة .

وأما قولكم إني حكمت الحكمين فان الله عز وجل حكم في أرنب يباع بربع درهم فقال ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ ولو حكم الحكمان بما في كتاب الله لما وسعني الخروج من حكمها .

وأما قولكم إني كنت وصياً فضيعت الوصية فان الله عز وجل يقول ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غني عن العالمين ﴾ أفرأيتم هذا البيت لو لم يحج اليه أحد كان البيت يكفر ، ان هذا البيت لو تركه من استطاع اليه سبيلاً كفر ، وأنتم كفرتم بترككم اياي لا أنا كفرت بتركي لكم ، فرجع

يومئذ من الخوارج الفان وأقام أربعة آلاف والتحمت الحرب بينهم مع زوال الشمس فاقامت مقدار ساعتين من النهار فقتلوا من عند آخرهم ، وقتل ذو الثدية ولم تفلت من القوم إلا أقل من عشرة ولم تقتل من أصحاب علي إلا اقل من عشرة ، وكانت وقعة النهروان سنه تسع وثلاثين .

ولما قدم علي عليه السلام الكوفة قام خطيباً فقال بعد حمد الله والثناء عليه والتذكير لنعمه والصلاة على محمد وذكره بما فضله الله به ﴿ أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة ولم تكن ليجترئ عليها أحد غيري ولو لم أكن فيكم ما قوتل الناكثون ولا القاسطون ولا المارقون ، ثم قال سلوني قبل أن تفقدوني فاني عن قليل مقتول فما يحبس أشقاها أن يخضبها بدم أعلاها فلو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تضل مائة أو تهدي مائة إلا انبأتكم ناعقها وقائدها وسائقها الى يوم القيمة ، ان القرآن لا يعلم علمه الا من ذاق طعمه وعلم بالعلم جهله وابصر عمله واستمع صممه (١) وادرك به ما فاته وحي به ان مات فادرك به الرضا من الله فاطلبوا ذلك عند اهله فانهم في بيت الحياة (٢) ومستقر القرآن ومنزل الملائكة واهل العلم الذين يخبركم عملهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم ، هم الذين لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه قد مضى فيهم من الله حكم صادق وفي ذلك ذكرى للذاكرين اما انكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً وسيفاً قاتلاً واثرة قبيحة يتخذها الظالمون عليكم سنة تفرق جموعكم وتبكي عيونكم وتدخل الفقر بيوتكم ، وستذكرون ما اقول لكم عن قليل ، ولا يبعد الله الا من ظلم ﴾ .

ووجه معاوية بن ابي سفيان عمرو بن العاص على مصر على شرط له فقدمها سنة ثماني وثلاثين ومعه جيش عظيم من اهل الشام فكان على دمشق يزيد بن أسد البجلي وعلى

(١) كذا في الأصل ولعل الصحيح (جهله) .

(٢) كذا في الأصل ولعل الصحيح في بيت (الوحي) . [م . ص]

اهل فلسطين شمير الخثعمي ، وعلى اهل الأردن ابو الأعور السلمي ، ومعاوية بن خديج الكندي على الخارجة ، فلقيهم محمد بن ابي بكر بموضع يقال له [المسناة] فحاربهم محاربة شديدة ، وكان عمرو يقول مارأيت مثل يوم المسناة وقد كان محمد استذم الى اليمانية فمايل عمرو بن العاص اليمانية فخلفوا محمد بن ابي بكر وحده فجالد ساعة ثم مضى فدخل منزل قوم خرابًا واتبعه ابن خديج الكندي فاخذه وقتله وأدخله جيفة حمار وحرّقه بالنار في زقاق يعرف بـ « زقاق الحوف » .

وبلغ عليًا عليه السلام ضعف محمد بن أبي بكر وممالأة اليمانية معاوية وعمرو بن العاص فقال ما أوتي محمد من حرض ، ووجه مالك بن الحارث الأشتر الى مصر قبل أن ينتهي اليه قتل محمد بن ابي بكر وكتب الى أهل مصر « إني بعثت اليكم سيفًا من سيوف الله لا نابي الضربة ولا كليل الحد فان استنفركم فانفروا وإن أمركم بالمقام فاقيموا فانه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمري وقد آثرتكم به على نفسي » .

فلما بلغ معاوية بان عليًا « ع » قد وجه الأشتر عظم عليه وعلم ان أهل اليمن أسرع الى الأشتر منهم الى كل أحد فدس له سمًا فلما صار الى القلزم من الفسطاط على مرحلتين نزل منزل رجل من أهل المدينة يقال له « . . (١) . . » فخدمه وقام بحوائجه ثم أتاه بقعب فيه عسل قد صير فيه السم فسقاه إياه فمات الأشتر بالقلزم وبها قبره وكان قتله وقتل محمد بن ابي بكر في سنة ثمان وثلاثين .

ولما بلغ عليًا « ع » قتل محمد بن ابي بكر والأشتر جزع عليهما جزعًا شديدًا وتفجع وقال علي [ع] على مثلك فلتبك البواكي يا مالك وأنى مثل مالك ، وذكر محمد بن ابي بكر وتفجع عليه وقال إنه كان لي ولدًا ولولدي وولد أخي أخًا .

---

(١) بياض في الأصل ولم يذكر المؤرخون اسم الرجل الذي سمّ الأشتر (رض) سوى أنه كان المقدم على أهل الخراج بالقلزم فكتب اليه معاوية بانه إن قتله لم يأخذ منه خراجًا ما بقي ، أنظر تاريخ ابن الأثير في حوادث سنة ٣٨ . (م . ص)

وخرج الخريت بن راشد الناجي في جماعة من أصحابه فجردوا السيوف بالكوفة فقتلوا جماعة وطلبهم الناس فخرج الخريت وأصحابه من الكوفة فجعلوا لا يمرون ببلد إلا انتهبوا بيت ماله حتى صاروا الى سيف عمان وكان علي ﴿ ع ﴾ قد وجه الحلو ابن عوف الأزدي عاملاً على عمان فوثبت به بنو ناجية فقتلوه وارتدوا عن الاسلام فوجه علي ﴿ ع ﴾ معقل بن قيس الرياحي الى البلد فقتل الخريت بن راشد وأصحابه وسبى بني ناجية فاشتراهم مصقلة بن هبيرة الشيباني وأنفذ بعض الثمن ثم هرب الى معاوية

وأمر علي ﴿ ع ﴾ بهدم داره وأنفذ عتق بني ناجية وكانوا يدعون أنهم من ولد سامة بن لوي ، ووجه معاوية النعمان بن بشير فأغار على مالك بن كعب الأرحبي وكان عامل علي ﴿ ع ﴾ على مسلحة عين التمر فندب علي ﴿ ع ﴾ الناس فقال ﴿ يا أهل الكوفة انتدبوا الى أخيكم مالك بن كعب فان النعمان بن بشير قد نزل به في جمع ليس بكثير لعل الله أن يقطع من الظالمين طرفاً ﴾ فأبطأوا ولم يخرجوا فصعد علي عليه السلام المنبر فتكلم كلاماً خفياً لا يسمع فظن الناس انه يدعو الله ثم رفع صوته فقال ﴿ أما بعد يا أهل الكوفة أكلما أقبل منسر من مناسر أهل الشأم اغلق كل امرئ بابه وانجحر في بيته انجحار الضب والضبع الذليل في وجاره أف لكم لقد لقيت منكم يوماً أناجيكم ويوماً أناديكم فلا اخوان عند النجاء ولا أحرار عند النداء ﴾ فلما دخل بيته قام عدي بن حاتم فقال هذا والله الخذلان القبيح ثم دخل اليه فقال يا أمير المؤمنين معي الف رجل من طيء لا يعصونني وإن شئت ان أسير بهم سرت ، فقال علي [ع] جزاك الله خيراً يا أبا طريف ما كنت لأعرض قبيلة واحدة لحد أهل الشأم ولكن اخرج الى النخيلة فخرج واتبعه الناس فسار عدي على شاطيء الفرات على أدنى الشأم .

وأغار الضحاك بن قيس على القطقطانة فبلغ علياً إقباله وأنه قد قتل ابن عميش فقام علي ﴿ ع ﴾ خطيباً فقال ﴿ يا أهل الكوفة اخرجوا الى جيش لكم قد أصيب منه طرف والى الرجل الصالح ابن عميش فامنعوا حريمكم وقاتلوا عدوكم ﴾ فردوا رداً

ضعيفًا ، فقال ﴿ يا أهل العراق وددت ان لي بكم بكل ثمانية منكم رجلاً من أهل الشأم وويل لهم قاتلوا مع تصبرهم على جور ويحكم اخرجوا معي ثم فروا عني إن بدا لكم فوالله اني لأرجو شهادة وأنها لتدور على رأسي مع مالي من الروح العظيم في ترك مداراتكم كما تدارى البكار العمرة أو الثياب المتهتكة كلما حيصت من جانب هتكت من جانب ﴾ فقام اليه حجر بن عدي الكندي فقال ﴿ يا أمير المؤمنين لا قرب الله إلى الجنة من لا يحب قربك ، عليك بعادة الله عندك فان الحق منصور والشهادة أفضل الرياحين اندب معي الناس المناصحين وكن لي فئة بكفايتك ، والله فئة الانسان وأهله إن الشيطان لا يفارق قلوب اكثر الناس حتى تفارق ارواحهم أبدانهم ﴾ فتهلل وأثنى على حجر جميلا وقال لا حرمك الله الشهادة فاني أعلم أنك من رجالها ، وجلس علي عليه السلام في المسجد فندب الناس وانتدب أربعة آلاف فسار بهم في طلب القوم وأغذ المسير حتى لقيهم بتدمر من عمل حمص فقاتلهم فهزمهم حتى انتهوا الى الضحاك وحجز بينهم الليل فادلج الضحاك على وجهه منصرفًا وشن حجر بن عدي ومن معه الغارة في تلك البلاد يومين وليلتين ثم أغار سفيان بن عوف على الأنبار فقتل أشرس بن حسان البكري فاتبعه علي عليه السلام سعيد بن قيس فلما احس به انصرف موليًا وتبعه سعيد الى عانات فلم يلحقه

وبعث معاوية عبد الله بن مسعدة بن حذيفة بن بدر الفزاري في جريدة خيل وأمره أن يقصد المدينة ومكة فسار في الف وسبعمائة فلما أتى عليًا الخبر وجه المسيب بن نجبة الفزاري فقال له ﴿ يا مسيب انك ممن أثق بصلاحه وبأسه ونصيحته فتوجه الى هؤلاء القوم وأثر فيهم وإن كانوا قومك ﴾ فقال له المسيب يا أمير المؤمنين إن من سعادتي أن كنت من ثقاتك ، فخرج في الفي رجل من همدان وطيء وغيرهم وأغذ المسير وقدم مقدمته فلقوا عبد الله بن مسعدة فقاتلوه فلحقهم المسيب فقاتلهم حتى امكنه أخذ ابن مسعدة فجعل يتحاماه وانهزم ابن مسعدة فتحصن بتيماء وأحاط المسيب بالحصن فحصر ابن مسعدة وأصحابه ثلاثًا فناداه يا مسيب انما نحن قومك فليمسك الرحم فخلى لابن مسعدة واصحابه

الطريق ونجا من الحصن فلما جنهم الليل خرجوا من تحت ليلتهم حتى لحقوا بالشأم ، وصبح المسيب الحصن فلم يجد أحداً فقال عبد الرحمن بن شبيب داهنتُ والله يا مسيب فى أمرهم وغششت أمير المؤمنين وقدم على علي فقال له يا مسيب كنت من نصاحي ثم فعلت مافعلت فحبسه اياماً ثم أطلقه وولاه قبض الصدقة بالكوفة .

ووجه معاوية بسر بن ابي أرطاة وقيل ابن أرطاة العامري من بني عامر بن لوي في ثلاثة آلاف رجل فقال له سر حتى تمر بالمدينة فاطرد اهلها واخف من مررت به وانهب مال كل من أصبت له مالاً ممن لم يكن دخل في طاعتنا وأوهم اهل المدينة أنك تريد أنفسهم وأنه لا براءة لهم عندك ولا عذر وسر حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لأحد وارهب الناس فيما بين مكة والمدينة واجعلهم شرادات ثم امض حتى تأتي صنعاء فان لنا بها شيعة وقد جاءني كتابهم فخرج بسر فجعل لا يمر بحي من أحياء العرب إلا فعل ما أمره معاوية حتى قدم المدينة وعليها ابو ايوب الأنصاري فتنحى عن المدينة ودخل بسر فصعد المنبر ثم قال « يا أهل المدينة مثل السوء لكم قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ألا وإن الله قد أوقع بكم هذا المثل وجعلكم أهله شاهت الوجوه » ثم ما زال يشتمهم حتى نزل .

قال فانطلق جابر بن عبد الله الأنصاري الى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال إني قد خشيت أن اقتل وهذه بيعة ضلال قالت اذاً فبايع فان التقية حملت اصحاب الكهف على ان كانوا يلبسون الصلب ويحضرون الأعياد مع قومهم .

وهدم بسر دوراً بالمدينة ثم مضى حتى اتى مكة ثم مضى حتى اتى اليمن وكان على اليمن عبيد الله بن عباس عامل علي [ع] وبلغ علياً الخبر فقام خطيباً فقال :

« ايها الناس ان اول نقصكم ذهاب اولي النهى والراي منكم الذين يحدثون فيصدقون ويقولون فيفعلون واني قد دعوتكم عوداً وبدءاً وسراً وجهراً وليلاً ونهاراً

فما يزيدكم دعائي إلا فراراً ، ما تنفعكم الموعظة ولا الدعاء الى الهدى والحكمة ، أما والله إني لعالم بما يصلحكم ولكن في ذلك فسادي أمهلوني قليلاً فوالله لقد جاءكم من يحزنكم ويعذبكم ويعذبه الله بكم إن من ذل الاسلام وهلاك الدين أن ابن ابي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجيبون وأدعوكم وانتم لا تصاحون فتراعون ، هذا بسر قد صار الى اليمن وقبلها الى مكة والمدينة ﴾ .

فقام جارية بن قدامة السعدي فقال : يا أمير المؤمنين لا عدمنا الله قربك ولا أرانا فراقك فنعم الأدب أدبك ونعم الامام والله أنت أنا لهؤلاء القوم فسرحني اليهم قال تجهز فانك ما علمتك الرجل في الشدة والرخاء المبارك الميمون النقيبة .

ثم قام وهب بن مسعود الخثعمي فقال : أنا أنتدب يا أمير المؤمنين قال انتدب بارك الله عليك ، فخرج جارية في الفين ، ووهب بن مسعود في الفين وأمرهما علي [ع] أن يطلبا بسراً حيث كان حتى يلحقاه فاذا اجتمعا فرأس الناس جارية فخرج جارية من البصرة ووهب من الكوفة حتى التقيا بأرض الحجاز ونفذ بسر من الطائف حتى قدم اليمن وقد تنحى عبيد الله بن عباس عن اليمن واستخلف بها عبدالله بن عبد المدان الحارثي فاتاه بسر فقتله وقتل ابنه مالك بن عبد الله ، وقد كان عبيد الله خلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند جويرية ابنة قارظ الكنانية وهي أمهما وخلف معهما رجلا من كنانة فلما انتهى بسر اليهما دعا ابني عبيد الله ليقتلهما فقام الكناني فانتضى سيفه وقال والله لأقتلن دونهما وإلا فأي عذر لي عند الله والناس فضارب بسيفه حتى قتل وخرجت نسوة من بني كنانة فقلن يا بسر هذه الرجال يقتلون فما بال الولدان والله ما كانت الجاهلية تقتلهم والله إن سلطانا لا يشتد إلا بقتل الصبيان ورفع الرحمة لسلطان سوء ، فقال بسر والله لقد هممت أن أضع فيكن السيف وقدم الطفلين فذبحهما فقالت أمهما ترثيهما :

ها من احس بنيي اللذين هما * سمعي وقلبي فقلبي اليوم مختطف

ها من احس بنيي اللذين هما * مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

هـا من أحس بنيي اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف
نبئت بسراً وماصدقت مازعموا * من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي إبني مرهفة * مشحوذة وكذاك الأمر مقترف
من دلّ والهـة حرّى وثاكلة * على صبيين ضلا إذ غدا السلف

ثم جمع بسر أهل نجران فقال يا إخوان النصارى أما والذي لا إلهَ غيره لـئن بلغني عنـكم أمر أكرهه لأُكثرن قتلاكم ثم سار نحو جيشان وهم شيعة لعلي ﴿ ع ﴾ فقـاتلهم فهزمهم وقتل فيهم قتلا ذريعاً ثم رجع الى صنعاء .

وسار جارية بن قدامة السعدي حتى أتى نجران وطلب بسراً فهرب منه في الارض ولم يقم له وقتل من أصحابه خلقاً وأتبعهم بقتل وأسر حتى بلغ مكة ومر بسر حتى دخل الحجاز لا يلوي على شيء فأخذ جارية بن قدامة أهل مكة بالبيعة فقالوا قـد هلك علي فلمن نبايع قال لمن له بايع أصحاب علي بعده فتثاقلوا فقال والله لتبـايعن ولو بأستاهكم فبايعوا ودخل المدينة وقد اصطلحوا على ابى هريرة فصلى بهم ففر منه ابو هريرة فقـال جارية يا أهل المدينة بايعوا للحسن بن علي فبـايعوا ثم خرج يريد الـكوفة فرد أهل المدينة أبا هريرة .

﴿ قال غياث ﴾ عن فطر بن خليفة حدثني ابو خالد الوالبي قال قرأت عهد علي عليه السلام لجارية بن قدامة ﴿ أوصيك يا جارية بتقوى الله فانها جموع الخير وسر على عون الله فالق عدوك الذي وجهتك له ولا تقاتل إلا من قاتلك ولا تجهز على جريح ولا تسخرن دابة وإن مشيت ومشى اصحابك ، ولا تستأثر على أهل المياه بمياههم ولا تشربن إلا فضلهم عن طيب نفوسهم ، ولا تشتمن مسلماً ولا مسلمة فتوجب على نفسك ما لعلك تؤدب غيرك عليه ، ولا تظلمن معاهداً ولامعاهدة ، واذكر الله ولا تفتر ليلاً ولا نهاراً ، واحملوا رجالتـكم ، وتواسوا في ذات أيديكم ، واجدد السير وأجل العدو من حيث كان ، واقتله مقبـلا واردده بغيظه صـغراً ، واسفك الدم

في الحق واحقه في لحق ، ومن تاب واقبل توبته ، وأحاربك في كل حين بكل حال والصدق الصدق بلا رأي لمكذوب ﴾ .

﴿ قال ﴾ وحدث ابو الكنود إن حارية مر في طلب بسر فما كان يامت لى مدينة ولا يعرج على شيء حتى انتهى الى اليمن ونجران فقتل من قتل وهرب منه بسر وحرق تحرقاً فسمي محرقا .

وكتب علي عليه السلام لى عماله يستحثهم بالخروج فكتب الى الأشعث بن قيس وكان عامله بآذربيجان ﴿ أما بعد فانما غرك من نفسك وجرأك على آخرتك إملاء الله لك إذ ما زلت قديماً تأكل رزقه وتلحد في آياته وتستمتع بخلاقك وتذهب بحسناتك إلى يومك هذا فاذا أتاك رسولي بكتابي هذا فأقبل واحمل ما قبلك من مال المسلمين إن شاء الله ﴾ فلما قرأ الأشعث كتابه أقبل اليه .

وكتب الى يزيد بن قيس الأرحبي ﴿ أما بعد فانك ابطأت بحمل خراجك وما أدري ما الذي حملك على ذلك غير أني أوصيك بتقوى الله وأحذرك أن تحبط أجرك وتبطل جهادك بخيانة المسلمين ، فاتق الله ونزه نفسك عن الحرام ولا تجعل لي عليك سبيلا فلا أجد بداً من الايقاع بك ، واعزز المسلمين ولا تظلم المعاهدين ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾

وكتب الى سعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد وهو على المدائن ﴿ أما بعد فانك قد أديت خراجك وأطعت ربك وأرضيت إمامك فعل البر التقي النجيب فغفر الله ذنبك وتقبل سعيك وحسن مآبك ﴾ .

وكتب الى عمر بن ابي سلمة المخزومي وهو ابن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان عامله على البحرين ﴿ أما بعد فاني قد وليت النعمان بن العجلان البحرين بلا ذم لك فأقبل غير ظنين وأخرج اليه من عمل ما وليت فقد أردت الشخوص الى ظلمة

أهل الشأم وبقية الأحزاب فأحببت أن تشهد معي لقاءهم فانك ممن أستظهر به على إقامة الدين ونصر الهدى جعلنا الله وإياك من الذين يعملون بالحق وبه يعدلون ﴾

فأقبل عمر فشهد معه ثم انصرف وتبع علياً عليه السلام الى الكوفة فمكث معه سنة وبعضاً أخرى فبلغه أن النعمان بن العجلان قد ذهب بمال البحرين فكتب اليه علي [ع] ﴿ أما بعد فانه من استهان بالأمانة ورغب في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه أخل بنفسه في الدنيا وما يشفى عليه بعدُ أمر وأبقى وأشقى وأطول فخف الله انك من عشيرة ذات صلاح فكن عند صالح الظن بك وراجع إن كان حقاً ما بلغني عنك ولا تقلبن رأيي فيك واستنظف خراجك ثم اكتب الي ليأتيك رأيي وأمري إن شاء الله ﴾ فلما جاءه كتاب علي عليه السلام وعلم أنه قد علم حمل المال ولحق معاوية .

وكتب الى مصقلة بن هبيرة وبلغه أنه يفرق ويهب أموال أردشير خرة وكان عليها ﴿ أما بعد فقد بلغني عنك أمر اكبرت أن أصدقه إنك تقسم فيء المسلمين في قومك ومن اعتراك من السألة والأحزاب وأهل الكذب من الشعراء كما تقسم الجوز فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لأفتشن عن ذلك تفتيشاً شافياً فان وجدته حقاً لتجدن بنفسك علي هواناً فلا تكونن من الخاسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴾

فكتب مصقلة اليه ﴿ أما بعد فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين فليسأل إن كان حقاً فليعجل عزلي بعد نكالي فكل مملوك لي حر وعلي آثام ربيعة ومضر إن كنت رزأت من عملي ديناراً ولا درهماً ولا غيرهما منذ وليته إلى أن ورد علي كتاب أمير المؤمنين ، ولتعلمن أن العزل أهون علي من التهمة ﴾ فلما قرأ كتابه قال ما أظن أبا الفضل إلا صادقاً .

ووجه رجلاً من أصحابه إلى بعض عماله مستحثا فاستخف به فكتب اليه ﴿ أما بعد فانك شتمت رسولي وزجرته وبلغني أنك تبخر وتكثر من الأدهان وألوان الطعام

وتتكلم على المنبر بكلام الصديقين وتفعل إذا نزلت أفعال المحلين فان يكن ذلك كذلك فنفسك ضررت وأدبي تعرضت ويحك أن تقول العظمة والكبرياء ردائي من نازعنيها سخطت عليه بل ما عليك أن تدهن رفيها فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك وما حملك أن تشهد الناس عليك بخلاف ما تقول ثم على المنبر حيث يكثر عليك الشاهد ويعظم مقت الله لك بل كيف ترجو وأنت متهوع في النعيم جمعته من الأرملة واليتيم أن يوجب الله لك أجر الصالحين بل ما عليك ثكلتك أمك لو صمت لله أياماً وتصدقت بطائفة من طعامك فانها سيرة الأنبياء وأدب الصالحين أصلح نفسك وتب من ذنبك وأد حق الله عليك والسلام ﴾ .

وكتب الى قيس بن سعد بن عبادة وهو على آذربيجان ﴿ أما بعد فأقبل على خراجك بالحق وأحسن الى جندك بالانصاف وعلم من قبلك مما علمك الله ثم إن عبدالله ابن شبيل الأحمسي سألني الكتاب اليك فيه بوصايتك به خيراً فقد رأيته وادعاً متواضعاً فألن حجابك وافتح بابك واعمد الى الحق فان وافق الحق ما يحبو اسره ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ .

قال ثمات ولما أجمع علي ﴿ ع ﴾ على القتال لمعاوية كتب ايضاً الى قيس ﴿ أما بعد فاستعمل عبدالله بن شبيل الأحمسي خليفة لك وأقبل الي فان المسلمين قد أجمع ملأهم وانقادت جماعتهم فعجل الاقبال فانا سأحضرن الى المحلين عند غرة الهلال إن شاء الله وما تأخري إلا لك قضى الله لنا ولك بالاحسان في أمرنا كله ﴾ .

وكتب الى سهل بن حنيف وهو على المدينة ﴿ أما بعد فقد بلغني أن رجالاً من أهل المدينة خرجوا الى معاوية فمن أدركته فامنعه ومن فاتك فلا تأس عليه فبعداً لهم فسوف يلقون غياً أما لو بعثرت القبور واجتمعت الخصوم لقد بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وقدجاءني رسولك يسألني الاذن فأقبل عفا الله عنا وعنك ولا تذرحللاإن شاءالله ﴾

وكتب علي [ع] الى عمر بن ابي سلمة الأرحبي ﴿ أما بعد فان دهاقين عملك شكوا غلظتك ونظرت في أمرهم فما رأيت خيراً فلتكن منزلتك بين منزلتين جلباب لين بطرف من الشدة في غير ظلم ولا نقص فان هم أجبونا صاغرين فخذ مالك عندهم وهم صاغرون ولا تتخذ من دون الله ولياً فقد قال الله عز وجل لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ، وقال جل وعز في أهل الكتاب ، لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ، وقال تبارك وتعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم ، وقرّعهم بخراجهم وقاتل من ورائهم وإياك ودماءهم والسلام ﴾

وكتب الى قرظة بن كعب الأنصاري ﴿ أما بعد فان رجالاً من أهل الذمة من عملك ذكروا نهراً في أرضهم قد عفا وادفن وفيه لهم عمارة على المسلمين فانظر انت وهم ثم اعمر وأصلح النهر فلعمري لئن يعمروا أحب الينا من أن يخرجوا وان يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام ﴾

وكتب الى المنذر بن الجارود وهو على اصطخر ﴿ أما بعد فان صلاح أبيك غرني منك فاذا أنت لا تدع انقياداً لهواك أزرى ذلك بك ، بلغني أنك تدع عملك كثيراً وتخرج لاهياً متنزهاً تطلب الصيد وتلعب بالكلاب وأقسم لئن كان حقاً لنثيبنك فملك وجاهل أهلك خير منك فاقبل الي حين تنظر في كتابي والسلام ﴾

فأقبل فعزله وأغرمه ثلاثين الفاً ثم تركها لصعصعة بن صوحان بعد ان أحلفه عليها فحلف وذلك أن علياً عليه السلام دخل على صعصعة يعوده فلما رآه علي قال إنك ماعلمت حسن الموتة خفيف المؤنة فقال صعصعة وانت والله يا أمير المؤمنين عليم وإن الله في صدرك عظيم فقال له علي لا تجعلها أبهة على قومك إن عادك إمامك قال لا يا أمير المؤمنين ولكنه منّ من الله علي أن عادني أهل البيت وابن عم رسول رب العالمين

﴿ قال غياث ﴾ فقال له صعصعة يا أمير المؤمنين هذه ابنة الجارود تعصر عينيها كل يوم لحبسك أخاها المنذر فأخرجه وأنا أضمن ما عليه من أعطيات ربيعة فقال له علي

ولِمَ تضمنها وزعم لنـــا أنه لم يأخذها فليحلف ونخرجه ، فقال له صعصعة أراه والله سيحلف قال وأنا والله أظن ذلك ، وقال علي أما أنه نظار في عطفيه مختال في برديه تفال في شراكيه (١) فليحلف بعد أو ليدع فخلف فخلى سبيله .

وكتب الى زياد وكان عامله على فارس ﴿ أما بعـد فان رسولي أخبرني بعجب زعم أنك قلت له فيما بينك وبينه إن الاكراد هاجت بك فكسرت عليك كثيراً من الخراج وقلت له لا تُعـلم بذلك امير المؤمنين ، يا زياد وأقسم بالله إنك لكاذب ولئن لم تبعث بخراجك لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر إلا أن تكون لمــا كسرت من الخراج محتملا ﴾

وكتب الى كعب بن مالك ﴿ أما بعد فاستخلف على عملك واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بارض كورة السواد فتسأل عن عمالي وتنظر في سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب ثم ارجع الى البهقبا ذات فتول معونتها واعمل بطاعة الله فيما ولاك منها واعلم أن كل عمل ابن آدم محفوظ عليه مجزي به فاصنع خـيراً صنع الله بنا وبك خيراً وأعلمني الصدق فيما صنعت والسلام ﴾

﴿ قال ﴾ وقدم على علي [ع] ابو مريم القرشي المكي وكان صديقاً له فلما رآه قال ما أقدمك يا أبا مريم قال والله ماجئت في حاجة ولكن عهدي بك قديم فاحببت ان اراك ولو اجتمع اهل الأرض عليك لأقمتهم على الطريق ، فقـال يا ابا مريم والله إني لصـاحبك الذي تعلم ولكن منيت بشرار خلق الله إلا من رحم الله يدعونني فآبى عليهم ثم اجيبهم فيتفرقون عني والدنيا محنة الصالحين جعلنا الله وإياك منهم ، ولولا ما سمعت من حبيبي انه يقول لضاق ذرعي غير هذا الضيق ، سمعته يقول الجهد والبلاء اسرع

(١) التفل محركاً البصاق نفسه وانما يفعله المعجب والتـائه في شراكيه ليذهب عنهما الغبـار والوسخ بتفل فيهما ويمسحهما ليعودا كالجديدين ، كذا قاله ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج ٤ ص ٢٣٢)

[م . ص]

الى من أحب الله وأحبني من السيل الى مجاريه .

وكتب ابو الأسود الدئلي ـ وكان خليفة عبدالله بن عباس بالبصرة ـ الى علي عليه السلام يعلمه ان عبد الله اخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم فكتب اليه يأمره بردها فامتنع فكتب يقسم له بالله لتردنها فلما ردها عبد الله بن عباس او رد اكثرها كتب اليه علي عليه السلام ﴿ أما بعد فان المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً واجعل همك لما بعد الموت والسلام ﴾

فكان ابن عباس يقول ما اتعظت بكلام قط اتعاظي بكلام امير المؤمنين .

﴿ وقال ﴾ كميل بن زياد أخذ بيدي علي عليه السلام فاخرجني الى ناحية الجبانة فلما أصحر تنفس الصعداء ثلاثاً ثم قال ﴿ يا كميل إن القلوب أوعية فخيرها اوعاها إحفظ عني ما أقول لك الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق ﴿ يا كميل ﴾ العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، ها إن هاهنا — وأشار الى صدره — لعلماً جماً لو اصبت له حملة (اللهم ألا ان اصيب لقناً غير مأمون (١) يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ، ويستظهر بحجج الله على أوليائه وبنعمه على خلقه ، أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في احيائه يقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة ، ألا لاذا ولا ذاك ، أو منهوماً باللذة سلس القياد للشهوة ، أو مغرماً بالجمع والادخار ، ليسوا من رعاة الدين في شيء أقرب شبهاً بهم الأنعام السائمة ، اللهم كلا ، لا تخلو الأرض من قائم بحق اما ظاهر

(١) كذا في الاصل . ولعل الصحيح ما في نهج البلاغة (بلى أصيب لقناً غير مأمون عليه) يستعمل آلة الدين الخ . (م . ص)

مشهور وإما خائف مغمور لئلا تبطل حجج الله عز وجل وبيناته اولئك الأقلون عدداً والأعظمون خطراً هجم بهم العلم حتى حقايق الأمور (١) وباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان ارواحها معلقة بالمحل الأعلى ﴿ يا كميل ﴾ اولئك أولياء الله من خلقه والدعاة الى دينه ، بهم يحفظ الله حججه حتى يودعوها أمثالهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم [هاه] شوقاً الى رؤيتهم .

﴿ وقال ﴾ عليه السلام لو أن حملة العلم حملوه لحقه لأحبهم الله وملائكته وأهل طاعته من خلقه ، ولكنهم حملوه لطلب الدنيا فمقتهم الله وهانوا على الناس [وقال] عليه السلام قيمة كل امرئ ما يحسن ﴿ وقال ﴾ عليه السلام أيها الناس لا ترجوا إلا ربكم ، ولا تخشوا إلا ذنوبكم ، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحي من يعلم ان يعلم ، واعلموا أن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ﴿ وقال ﴾ عليه السلام من كان يريد العز بلا عشيرة ، والنسل بلا كثرة ، والغناء بلا مال فليتحول من ذل المعصية الى عز الطاعة ﴿ وقال ﴾ عليه السلام كم من مستدرج بالاحسان اليه ، وكم من مغرور بالستر عليه ، وكم من مفتون بحسن القول فيه ، وما ابتلى أحد بمثل الاملاء له ، ألم تسمع قول الله عز وجل [إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً] ﴿ وقال ﴾ عليه السلام من اشتاق الى الجنة تسلى عن الشهوات ، ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ، ومن ارتقب الموت سارع فى الخيرات .

﴿ وخطب عليه السلام ﴾ فتلا قول الله عز وجل ﴿ إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ ثم قال إن هذا الأمر ينزل من السماء كقطر المطر الى كل نفس ، بما كتب الله لها من نقصان في نفس او اهل او مال

(١) في نهج البلاغة (هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة) وباشروا الخ [م ص]

فمن اصابه نقص في أهله وماله ، ورأى عند اخيه عفوة ، فلا يكونن ذلك عليه فتنة ، فان المرء المسلم ما لم يأت (١) دنياه يخشع لها وتذله إذا ذكرت ، وتغري به (٢) لئام الناس كالياسر (٣) الفالج الذى ينتظر اول فوزه من قداحه ، يوجب له المغنم ويدفع عنه المغرم ، كذلك المرء البري من الخيانة والكذب ، يترقب كل يوم وليلة إحدى الحسنيين ، إما داعي الله فما عند الله خير له وإما فتحاً من الله فاذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه ، المال والبنون حزب الدنيا ، والعمل الصالح حزب الآخرة وقد يجمعها الله لأقوام .

﴿ وقال ﴾ عليه السلام من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم كان ممن حرمت غيبته وكملت مروته وظهر عدله ووجب وصله .

﴿ وخرج عليه السلام ﴾ يوماً فقال : يا طالب العلم إن للعالم ثلاث علامات العلم بالله ، وبما يحب الله ، وبما يكره الله ، وللعامل ثلاث علامات الصلاة ، والزكاة والورع ، والمتكلف من الرجال ثلاث علامات ، ينازع من فوقه ، ويقول بما لا يعلم ويتعاطى ما لا ينال ، وللظالم ثلاث علامات ، يظلم من هو فوقه بالمعصية ، ومن هو دونه بالغلبة ، ويظاهر الظلمة والاثم ، وللمرأئي ثلاث علامات . يكسل إذا كان وحده . وينشط إذا كان من يراه . ويحب أن يحمد في جميع اموره . وللحاسد ثلاث علامات . يغتاب اذا غاب . ويتقرب إذا شهد . ويشمت بالمصيبة . وللمنافق ثلاث علامات يخالف لسانه قلبه . وقوله فعله . وعلانيته سريرته . وللمسرف ثلاث علامات يأكل ما ليس له . ويشرب ما ليس له . ويلبس ما ليس له . وللكسلان من الرجال

(١) مالم يغش دناءة ، كذا ذكره الزبيدي في تاج العروس بمادة (فلج) بدلاً عن قوله (ما لم يأت دنياه) ومثله ابن الأثير في النهاية

(٢) في النهاية (وتغرى بها) .

(٣) الياسر المقامر . والفالج الفائز من السهام (تاج العروس)

ثلاث علامات ، يتوانى حتى يفرط ، ويفرط حتى يضيع ، ويضيع حتى يأثم ، وإنما هلك الذين قبلكم بالتكلف ، فلا يتكلف رجل منكم أن يتكلم في دين الله بما لا يعرف فان الله عز وجل يعذر على الخطأ إن أجهدت رأيك .

﴿ قال ﴾ عليه السلام لعمر بن الخطاب ثلاث إن حفظتهن وعملت بهن كفتك ما سواهن وإن تركتهن فلا ينفعك شيء سواهن . قال وما هن . فقال الحدود على القريب والبعيد . والحكم بكتاب الله في الرضا والسخط . والقسم بالعدل بين الأحمر والأسود . فقال له عمر أبلغت وأوجزت .

﴿ وسمع عليه السلام ﴾ رجلا يذم الدنيا [فقال] الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها . ودار غنى لمن تزود منها . مسجد أحباء الله . ومهبط وحيه ومصلى ملائكته . ومتجر اوليائه . اكتسبوا فيها الرحمة فربحوا فيها الجنة . فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها . ونادت بفراقها . ونعت نفسها وأهلها ، مثلت ببلاها البلا وشوقت بسرورها السرور ، راحت بفجيعة . وأبكرت بعافية . ترغيباً وترهيباً ، وتحذيراً وتخويفا . ذمها رجال عداة الندامة . وحمدها آخرون . ذكرتهم فذكروا . وحدثتهم فصدقوا . فيا ذام الدنيا المغتر بغرورها متى استذمت اليك . بل متى غرتك . أبمضاجع آبائك من البلا . او بمنازل أمهاتك من الثرى . كم مرضت بيديك . وعللت بكفيك من تبتغي له الشفاء . وتستوصف له الأطباء . فلم ينفعه تطبيبك . ولم يستعف له بعافيتك مثلت به الدنيا نفسك . وبمصرعه مصرعك . غداة لا يغني عنك بكاؤك . ولا ينفعك أحباؤك

﴿ وخطب عليه السلام ﴾ فقال إن من أخوف ما أخاف عليكم خصلتين اتباع الهوى وطول الأمل . فأما طول الأمل فينسي الآخرة . وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق . من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه . له قوت يومه . فكأنما حيزت له الدنيا . إن الله تعالى يقول وعزتي وجلالي وجمالي وبهائي وعلوي وارتفاعي في مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا جعلت همه في الآخرة . وغناءه في قلبه . وضمنت

السموات والأرض رزقه ، وأتته الدنيا وهي راغمة .

﴿ وقال عليه السلام ﴾ خصي بالبلاء من عرف الناس ومن جهلهم عاش معهم

﴿ وقال عليه السلام ﴾ يأتي على الناس زمان لا يعز فيه إلا الماحل ، ولا يستظرف إلا الفاجر ، ولا يضعف إلا المنصف ، يتخذون الفيء مغنماً ، والصدقة مغرماً ، والعبادة استطالة على الناس ، وصلة الرحم مناً ، والعلم متجراً ، فعند ذلك يكون سلطان النساء ومشورة الاماء ، وإمارة الصبيان .

﴿ وقال عليه السلام ﴾ لا تصلح الناس إمارة يعمل فيها المؤمن ، ويستمتع فيها الكافر ، ويبلغ فيها الكتاب الأجل .

﴿ وعزّى عليه السلام ﴾ فقال لرجل لئن جزعت إن الرحم ليستحق ذاك وإن صبرت كنت بها مأجوراً وإلا صبرت كارهاً مأزوراً (١)

﴿ وقيل لعلي عليه السلام ﴾ كم بين السماء والأرض ، قال دعوة مظلوم [وقيل] له كم مسافة الدنيا ، فقال مسير الشمس يوماً الى الليل ﴿ وقال ﴾ يوم الجمل : الموت طالب حثيث ، لا يعجزه المقيم ، ولا يفوته الهارب ، اقدموا ولا تنكلوا ، ليس عن الموت محيص ، انكم إن لم تقتلوا تموتوا ، وإن أشرف الموت القتل ، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش .

﴿ وقال ﴾ له رجل أوصني فقال : أوصيك بتقوى الله ، واجتناب الغضب وترك الأماني ، وأن تحافظ على ساعتين من النهار ، من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ومن العصر الى غروبها ، ولا تفرح بما علمت ، ولكن بما عملت فيها .

وأتي برجل جنى جناية فرأى ناساً يعدون خلفه فقال : لا مرحباً بوجوه لا ترى إلا عند كل سوء .

(١) نظم بعضهم هذا المعنى فقال (إذا ما نابك الخطب * فكن بالصبر لو اذا)
(وإلا فاتك الشكل * فلا هذا ولا هذا) (م . ص)

﴿ وقال ﴾ له الحارث بن حوط الراني أظن طلحة والزبير وعائشة اجتمعوا على باطل ، فقال : يا حارث انه ملبوس عليك ، وإن الحق والباطل لا يعرفان با لناس ولكن اعرف الحق تعرف أهله ، واعرف الباطل تعرف من أتاه .

﴿ ورأى عليه السلام ﴾ رجلاً يسأله عشية عرفة ، فقال : ويحك تسأل في هذا اليوم غير الله .

﴿ وروي عنه عليه السلام ﴾ انه قال : يا معشر الفتيان حصنوا أعراضكم بالأدب ودينكم بالعلم .

﴿ وكان عليه السلام ﴾ اذا انصرف من صلاته أقبل على الناس بوجهه فقال : كونوا مصابيح الهدى ، ولا تكونوا أعلام ضلالة ، واكرهوا المزاح بما يسخط الله وليهن عليكم الذم فيما يرضي الله ، علموا الناس الخير بغير السنتكم وكونوا دعاة لهم بفعلكم . والزموا الصدق والورع ﴿ وقال ﴾ الصمت حلم . والسكوت سلامة والكتمان سعادة .

واجتمع عنده جماعة فتذاكروا المعروف ﴿ فقال عليه السلام ﴾ المعروف كنز من أفضل الكنوز . وزرع من أزكى الزروع . فلا يزهدنكم في المعروف كفر من كفره . وجحد من جحده . فان من يشكرك عليه ممن لم يصل اليه منه شيء . أعظم مما ناله أهل منة . فلا تلتمس من غيرك ما أسديت الى نفسك ، إن المعروف لا يتم إلا بثلاث خصال . تصغيره وستره وتعجيله . فاذا صغرته فقد عظمته . واذا سترته فقد أتممته واذا عجلته فقد هنأته .

وقدم عليه قوم من أهل الغرب فقال : أفيكم من قد شهر نفسه حتى لا يعرف الا به فقالوا نعم قال : وفيكم قوم بين ذلك يصيبون من السيئات ويعملون الحسنات قالوا نعم قال : اولئك خير أمة محمد . اولئك النمرقة الوسطى بهم يرجع الغالي . وبهم يلحق المقصر [وروي] عنه عليه السلام أنه قال : أبهم البهائم كل شيء الا أربع خصال

إن الله عز وجل خالقها ورازقها « . . . (١) . . . » واتيان الذكر الأنثى والفرار من الموت ، وطلب الرزق .

﴿ وقال ﴾ ستة لا يسلم عليهم اليهودي ، والنصراني ، والمجوسي ، والشاعر يقذف المحصنات ، وقوم يتفكهون بسب الأمهات ، وقوم على مائدة يشرب عليها الخمر .

﴿ وقال ﴾ الأئمة من قريش خيارهم على خيارهم ، وشرارهم على شرارهم .

﴿ وقضى عليه السلام ﴾ على رجل بقضية فقال يا أمير المؤمنين قضيت علي بقضية هلك فيها مالي وضاع فيها عيالي فغضب حتى استبان الغضب في وجهه [ثم قال] يا قنبر نادِ في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس ورقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ﴿ أما بعد فذمتي رهينة وانا به زعيم بجميع من صرحت له العبر أن لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على التقوى سنخ أصل ، وأن الخير كله فيمن عرف قدره وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره ، إن من أبغض خلق الله إلى الله العبد وكله إلى نفسه جائراً عن قصد السبيل مشغوفاً بكلام بدعة قد قمس (٢) في أشباهه من الناس عنواء ، غاراً بأعباش (٣) الفتنة ، قد لهج فيها بالصوم والصلاة فهو فتنة على من تبعه قد سماه أشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً ، بكر فاستكثر مما قل منه ، فهو خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن ، واكثر من غير طائل ، جلس

---

(١) بياض في الأصل والذي ذكره الصدوق ابن بابويه في باب الأربعة من الخصال ص ١٢٥ مارواه بسنده عن علي بن الحسين ﴿ ع ﴾ أنه كان يقول ما بهمت البهائم عنه ولم تبهم عن أربعة معرفتها بالرب تبارك وتعالى ومعرفتها بالموت ومعرفتها بالأنثى من الذكر ومعرفتها بالمرعى الخصب . [م ص]

(٢) قمس ، أي غاص .

(٣) الغبش محركة بقية الليل أو ظلمة آخره والجمع أعباش . (تاج العروس)

بين الناس قاضياً ضامناً بتخليص ما التبس على غيره ، إن قايس شيئاً بشيءٍ لم يكذب نفسه ، وان التبس عليه شيء كتمه من نفسه ، لـكيلا يقال لا يعلم فلا . لي . والله باصدار ما ورد عليه ، ولا هو أهل بما قرظ به من حسن ، مفتاح عشوات ، خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ، ولا يعرض في العلم ببصيرة ، يدرو الروايات ذرو الريح الهشيم ، تصرخ منه الدماء ، وتبكي منه المواريث ؛ ويستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم برضائه الفرج الحلال ؛ فاين يتاه بكم ؛ بل اين تدهبون عن أهل بيت نبيكم أنا من سنخ أصلاب أصحاب السفينة (١) وكما نجا في هاتيك من نجا ؛ ينجو في هذه من ينجو ؛ ويل رهين لمن تخلف عنهم ، إني فيكم كالكهف لأهل الكهف ، واني فيكم باب حطة ؛ من دحل منه نجا ومن تخلف عنه هلك (٢) حجة من ذي الحجة في حجة الوداع اني قد تركت بين أطهركم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي ﴾

[وحكم] عليه السلام باحكام عجيبة حتى أنه حرق قوماً ؛ ودخن على آخرين ؛ وقطع بعض أصابع اليد في السرقة ، وهدم حائطاً على اثنين وحدهما على فسق .

﴿ وكان عليه السلام ﴾ يقول استتروا ببيوتكم والتوبة وراءكم ؛ من أبدى صفحته للحق هلك ؛ إن الله أدب هذه الأمة بالسوط والسيف وليس لأحد عند الامام هوادة

وقدم عبد الرحمان بن ملجم المرادي الكوفة لعشر بقين من شعبان سنة أربعين فلما بلغ علياً قدومه قال أو قد وافى ؛ أما أنه ما بقي علي عيره ؛ هذا أوانه فنزل على الأشعث بن قيس الكندي فاقام عنده شهراً يستحد سيفه وكانوا ثلاثة نفر توجهوا فواحد

(١) أشار عليه السلام بهذه الفقرات الى الأحاديث التي وردت في حقه من النبي كحديث السفينة وحديث باب حطة وحديث الكهف وحديث الثقلين .

(٢) كذا في الأصل ، والظاهر أن فيه سقطاً ولعل الساقط قوله (فقد قال رسول الله « ص » في) حجة الخ ويحتمل انه أراد بـ (ذي الحجة) النبي (ص)

منهم الى معاوية بالشأم وآخر الى عمرو بن العاص بمصر والآخر إلى علي عليه السلام وهو ابن ملجم ، فاما صاحب معاوية فضربه فوقعت الضربة على اليته وبادر فدخل داره وأما صاحب عمرو بن العاص فانه ضرب خارجة بن حذافة خليفة عمرو في صلاة الصبح وكان عمرو تخلف لعلة فقال الخارجي أردت عمراً وأراد الله خارجة ، وأما عبد الرحمن ابن ملجم فانه وقف له عند المسجد وخرج علي في الغلس فتبعته إوز كنّ في الدار فتعلقن ثوبه فقال صوائح تتبعها نوائح ، وأدخل رأسه من باب خوخة المسجد وضربه على رأسه فسقط وصاح خذوه فابتدره الناس فجعل لا يقرب منه أحد إلا نفحه بسيفه فبادر اليه قثم بن العباس فاحتمله وضرب به الأرض فصاح يا علي نح عني كلبك وأتي به الى علي فقال ابن ملجم قال نعم فقال يا حسن شأنك بخصمك فأشبع بطنه واشدد وثاقه فان مت فألحقه بي أخاصمه عند ربي وإن عشت فعفو اوقصاص ، وأقام يومين ومات ليلة الجمعة أول ليلة من العشر الأواخر من شهر رمضان سنة أربعين ، ومن شهور العجم في كانون الآخر وهو ابن ثلاث وستين سنة وغسله الحسن ابنه بيده وصلى عليه وكبر عليه سبعاً وقال أما أنها لا تكبر على أحد بعده ، ودفن بالكوفة في موضع يقال له [الغري] وكانت خلافته أربع سنين وعشرة أشهر .

وكان له من الولد الذكور (١) أربعة عشر ذكراً . الحسن . والحسين ومحسن مات صغيراً — أمهم فاطمة بنت رسول الله ﴿ ص ﴾ ومحمد الاكبر – أمه خولة بنت جعفر الحنفية . وعبيد الله . وأبو بكر — لا عقب لهما أمهما ليلى بنت مسعود الحنظلية من بني تميم . والعباس . وجعفر قتلا بالطف . وعثمان . وعبد الله أمهم أم البنين بنت حزام الكلابية . وعمر — وأمه أم حبيب بنت ربيعة البكرية

(١) والذين لهم النسل من أولاد أمير المؤمنين صلوات الله عليه الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن الحنفية رضوان الله عليه وعمر الاكبر الأطرف والعباس السقاء وبقية أولاده عليه السلام لم يعقبوا ولم يكن لهم أولاد . (عن هامش الأصل)

ومحمد الأصغر — لا عقب له أمه أمامة بنت أبي العاص . وعثمان الأصغر . ويحيى وأمها أسماء بنت عميس الخثعمية . وكان له من البنات ثماني عشرة ابنة منهن من فاطمة ثلاث والباقيات لعدة نسوة وأمهات أولاد شتى . وكان على شرطه معقل بن قيس الرياحي وحاجبه قنبر مولاه .

ولما مات قام الحسن عليه السلام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي [ص] ثم قال ﴿ ألا إنه قد مضى في هذه الليلة رجل لم يدركه الأولون ولن يرى مثله الآخرون من كان يقاتل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، والله لقد توفي في الليلة التي قبض فيها موسى بن عمران ورفع فيها عيسى بن مريم وأنزل القرآن ألا وإنه ما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله ﴾ فقام القعقاع بن زرارة على قبره فقال ﴿ رضوان الله عليك يا أمير المؤمنين فو الله لقد كانت حياتك مفتاح خير ولو أن الناس قبلوك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولكنهم غمطوا النعمة وآثروا الدنيا على الآخرة ﴾

وأقام الحج للناس في خلافته في سنة ست وثلاثين عبد الله بن العباس ، وفي سنة سبع وثلاثين قثم بن العباس ﴿ وقيل ﴾ عبد الله بن العباس ، وفي سنة ثمان وثلاثين عبد الله بن العباس . وفي سنة تسع وثلاثين شيبة بن عثمان . وكان أصحاب علي عليه السلام الذين يحملون عنه العلم الحارث الأعور . وأبو الطفيل عامر بن واثلة وحبة العرني . ورشيد الهجري . وجويرية بن مسهر . والأصبغ بن نباتة . وميثم التمار والحسن بن علي عليه السلام .

خلافة الحسن بن علي عليه السلام

واجتمع الناس فبايعوا الحسن بن علي عليه السلام وخرج الحسن بن علي الى المسجد الجامع فخطب خطبة له طويلة ودعا بعبد الرحمان بن ملجم فقال عبد الرحمان ما الذي أمرك به أبوك قال أمرني أن لا أقتل غير قاتله وأن اشبع بطنك وأنعم وطاءك فان عاش اقتص أو عفا وإن مات الحقتك به فقال ابن ملجم إن كان أبوك ليقول الحق ويقضي به في حال الغضب والرضا فضربه الحسن عليه السلام بالسيف فالتقاه بيده فندرت وقتله وأقام الحسن بن علي بعد أبيه شهرين ﴿ وقيل ﴾ أربعة أشهر ، ووجه بعبيد الله بن العباس في اثني عشر الفاً لقتال معاوية ومعه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، وأمر عبيد الله أن يعمل بأمر قيس بن سعد ورأيه فسار الى ناحية الجزيرة وأقبل معاوية لما انتهى اليه الخبر بقتل علي فسار الى الموصل بعد قتل علي بثمانية عشر يوماً والتقى العسكران فوجه معاوية الى قيس بن سعد يبذل له الف الف درهم على أن يصير معه أو ينصرف عنه فارسل اليه بالمال وقال تخدعني عن ديني ﴿ فيقال ﴾ إنه أرسل الى عبيد الله بن عباس وجعل له الف الف درهم فصار اليه في ثمانية آلاف من أصحابه وأقام قيس على محاربته وكان معاوية يدس الى عسكر الحسن من يتحدث أن قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه ، ووجه الى عسكر قيس من يتحدث أن الحسن قد صالح معاوية وأجابه ، ووجه معاوية الى الحسن المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمان بن أم الحكم وأتوه وهو بالمدائن نازل في مضاربه ثم خرجوا من عنده وهم يقولون ويسمعون الناس ان الله قد حقن بابن رسول الله الدماء وسكن به الفتنة وأجاب الى الصلح فاضطرب العسكر ولم يشكك الناس في صدقهم فوثبوا بالحسن فانتهبوا مضاربه وما فيها فركب الحسن عليه السلام فرساً له ومضى في مظلم ساباط وقد كمن الجراح بن سنان الأسدي فجرحه بمغول في فخذه وقبض على لحية الجراح ثم لواها فدق عنقه ، وحمل الحسن ﴿ ع ﴾ الى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً واشتدت به العلة فافترق عنه الناس .

وقدم معاوية العراق فغلب على الأمر والحسن عليل شديد العلة فلما رأى الحسن أن لا قوة به وأن أصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له ، صالح معاوية وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال ﴿ أيها الناس إن الله هداكم باولنا وحقن دماءكم بآخرنا وقد سالمت معاوية وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ﴾

أيام معاوية بن أبي سفيان

وملك معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وأمه هند بنت عتبة ابن ربيعة ابن عبد شمس ، وبويع بالكوفة في ذي القعدة سنة أربعين ، وكانت الشمس في الحمل درجتين ، والقمر في الثور خمس عشرة درجة ، وزحل في العقرب تسعا وعشرين درجة والمشتري في الثور تسعا وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، والمريخ في الثور ست عشرة درجة والزهرة في الثور أربع درجات ، وعطارد في الحوت ست عشرة درجة ، وقدم الكوفة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ﴿ اما بعد ذلكم فانه لم تختلف امة بعد نبيها إلا غلب باطلها حقها إلا ما كان من هذه الأمة فان حقها غلب باطلها ﴾ ثم نزل واحضر الناس لبيعته وكان الرجل يحضر فيقول والله يا معاوية إني لأبايعك وإني لكاره لك فيقول بايع فان الله قد جعل في المكروه خيراً كثيراً ، ويأتي الآخر فيقول اعوذ بالله من نفسك ، واتاه قيس بن سعد بن عبادة فقال بايع قيس قال إن كنت لاكره مثل هذا اليوم يا معاوية فقال له مه رحمك الله فقال لقد حرصت ان افرق بين روحك وجسدك قبل ذلك فأبى الله يا ابن ابي سفيان إلا ما احب ، قال فلا يرد امر الله ، قال فأقبل قيس على الناس بوجهه فقال ﴿ يا معشر الناس لقد اعتضتم الشر من الخير ، واستبدلتم الذل من العز ، والكفر من الايمان ، فأصبحتم بعد ولاية امير المؤمنين وسيد المسلمين وابن عم رسول رب العالمين ، وقد وليكم الطليق ابن الطليق ، يسومكم الخسف . ويسير فيكم بالعسف . فكيف تجهل ذلك انفسكم . ام طبع الله على قلوبكم وانتم لا تعقلون ﴾ فجثا معاوية على ركبتيه ثم اخذ بيده وقال اقسمت عليك ثم صفق على كفه ونادى

الناس بايع قيس فقال كذبتم والله ما بايعت . ولم يبايع لمعاوية احد إلا اخذ عليه الأيمان . فكان أول من استحلف على بيعته ودخل اليه سعد بن مالك فقال السلام عليك ايها الملك . فغضب معاوية فقال ألا قلت السلام عليك يا امير المؤمنين قال ذاك إن كنا أمرناك . إنما انت منتزٍ .

وخرج فروة بن نوفل الأشجعي سنة أربعين وكان معتزلاً بشهر زور في جماعة من الخوارج فلما بلغه قتل علي عليه السلام وغلبة معاوية أقبل في الف وخمسمائة حتى صار بالنخيلة فوجه اليه معاوية خيلاً فكشفهم فأخذ معاوية أهل الكوفة بالخروج اليهم فخرجوا خوفاً منه فلما لقوهم قال لهم فروة بن نوفل دعونا فان معاوية عدونا وعدوكم فقاتلهم أهل الكوفة أشد قتال حتى قتل فروة وأفرج روع معاوية ، ورجع معاوية الى الشأم سنة إحدى وأربعين وبلغه أن طاغية الروم قد زحف في جموع كثيرة وخلق عظيم فخاف أن يشغله عما يحتاج الى تدبيره وإحكامه فوجه اليه فصالحه على مائة الف دينار ، وكان معاوية أول من صالح الروم ، وكان صلحه إياهم في أول سنة اثنتين وأربعين ، فلما استقام الأمر لمعاوية أغزى أمراء الشأم على الصوائف فسبوا في بلاد الروم سنة بعد سنة ، وقد ذكرنا أسماءهم في موضع الصوائف ، وطلب صاحب الروم الصلح على أن يضعف المال فلم يجبه .

وولي عبد الله بن عامر بن كريز البصرة فلما قدمها وجه عبد الرحمان بن سمرة الى خراسان فغزا بلخ وكابل ومعه عبد الله بن خازم السلمي فافتتح بلخ بعد حرب شديدة وصار الى كابل فاقام عليها ليالي ثم أتاه بواب باب المدينة فجعل له شيئاً حتى فتح الباب وكانت الحرب في المدينة ثم طلبوا الصلح فصالحهم ابن سمرة وانصرف وخلف ابن خازم بخراسان .

وولى معاوية عبد الله بن دراج مولاه خراج العراق وكتب اليه احمل الي من مالها ما أستعين به فكتب اليه ابن دراج يعلمه أن الدهاقين اعلموه أنه كان لكسرى

وآل كسرى صوافي يجنبون مالها لأنفسهم ولا تجري مجرى الخراج فكتب اليه ان أحص تلك الصوافي واستصفها واضرب عليها المسنيات فجمع الدهاقين فسألهم فقالوا الديوان بحلوان فبعث فأتي به فاستخرج منه كل ما كان لكسرى وآل كسرى وضرب عليه المسنيات واستصفاه لمعاوية فبلغت جبايته خمسين الف الف درهم من أرض الكوفة وسوادها ، وكتب الى عبد الرحمن بن ابي بكرة بمثل ذلك في أرض البصرة وأمرهم أن يحملوا اليه هدايا النيروز والمهرجان وكان يحمل اليه في النيروز وغيره وفي المهرجان عشرة آلاف الف .

وكان زياد بن عبيد عامل علي بن ابي طالب عليه السلام على فارس فلما صار الأمر الى معاوية كتب اليه يتوعده ويهدده فقام زياد خطيباً فقال « إن ابن آكلة الاكباد وكهف النفاق وبقية الأحزاب كتب يتوعدني ويتهددني وبيني وبينه ابنا بنت رسول الله في تسعين الفاً واضعي قبائع سيوفهم تحت أذقانهم لا يلتفت أحدهم حتى يموت . والله لئن وصل الي ليجدني أحمز (١) ضرباً بالسيف » فوجه معاوية اليه المغيرة بن شعبة فأقدمه ثم ادعاه وألحقه بابي سفيان وولاه البصرة . وقد حضر زياد شهوداً أربعة منهم علي بن ابي طالب أنهم كانوا جلوساً عند عمر بن الخطاب حين أتاه زياد برسالة ابي موسى الأشعري فتكلم زياد بكلام اعجبه فقال « كنت قائلا للناس هذا على المنبر قال هو اعرف بي منك يا امير المؤمنين فقال ابو سفيان والله لو انني ولانا وضعته في رحم امه قال فما منعك من ادعائه قال مخافة هذا العير الناهق وتقدم آخر فشهد على هذه الشهادة « قال زياد الهمداني » لما سأله زياد كيف قولك في علي قال مثل قولك حين ولاك فارس وشهد انك ابن ابي سفيان ، وتقدم ابو مريم السلولي فقال ما ادري ما شهادة علي ولكني كنت خماراً بالطائف فمر بي ابو سفيان منصرفاً من سفر له فطعم وشرب ثم قال يا ابا مريم طالت الغربة فهل

(١) الأحمز بالحاء ثم الميم والزاء المعجمة ، الشديد .

من بني فقلت ما أجد لك إلا أمة بني عجلان قال فأتني بها على ما كان من طول ثدييها ونتن رفغها (١) فأتيته بها فوقع عليها ثم رجع الي فقال لي يا أبا مريم لا ستلت ماء ظهري استلال ثيب (٢) ابن الحبل في عينها ، فقال زياد إنما أتينا بك شاهداً ولم نأت بك شاتماً ، قال أقول الحق على ما كان فانفذ معاوية « .. (٣) .. » قالوا ما قد بلغكم وشهدوا بما سمعتم فان كان ما قالوا حقاً فالحمد لله الذي حفظ مني ما ضيع الناس ورفع مني ما وضعوا وإن كان باطلاً فمعاوية والشهود أعلم وما كان عبيد (٤) إلا والداً مبروراً مشكوراً ونزل .

وولى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى « ...... » سنة اثنتين وأربعين فأقام عليها حيناً ثم بدا له ، وولى عبدالله بن عامر بن كريز الكوفة فلما بلغ أهل الكوفة الخبر خرج كثير من الناس الى عبد الله بن عامر فجعل المغيرة لا يسأل عن أحد إلا قيل له قد خرج الى عبد الله بن عامر حتى سأل عن كاتبه فقيل له قد لحق بعبد الله ، فقال يا غلام شد رحلي وقدم بغلي فخرج حتى أتى دمشق فدخل على معاوية فلما رآه قال ما

(١) الرفغ بضم الراء المهملة الأبط .

(٢) كذا في الأصل ، وفي الهامش (شب) بس [تأمل] .

(٣) بياض في الأصل وفيه سقط ولعله ، فانفذ معاوية « شهادة الشهود ثم قام زياد وأنصت الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن معاوية والشهود قد » قالوا ما قد بلغكم الخ . أنظر شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي (ج ٤ ص ٧٠) من طبع مصر .

(٤) عبيد هذا كان عبداً رومياً للحرث بن كلدة الطبيب الثقفي وكانت سمية ايضاً أمة للحرث ولدت عنده أبا بكرة ثم نافعاً ثم إن الحرث زوج سمية من غلامه عبيد فولدت له زياداً ، أنظر تاريخ ابن الأثير (ج ٣ ص ١٧٦) من طبع مصر بحاشيته مروج الذهب . (م . ص)

أقدمك يا مغيرة تركت العمل وأخللت بالمصر وأهل العراق وهم أسرع شيء الى الفتن قال يا أمير المؤمنين كبرت سني وضعفت قوتي وعجزت عن العمل وقلـه بلغت من الدنيا حاجتي والله ما آسى على شيء منها إلا على شيء واحد قدرت به قضاء حقك ووددت أنه لا يفوتني أجلي وإن الله أحسن علي معونتي ، قال وما هو قال كنت دعوت أشراف الكوفة الى البيعة ليزيد ابن امير المؤمنين بولاية العهد بعد امير المؤمنين فاجابوا الى ذلك ووجدتهم سراعاً نحوه فكرهت ان أحدث امراً دون رأي امير المؤمنين فقدمت لأشافهه بذلك واستعفيه من العمل ، فقال سبحان الله يا أبا عبد الرحمان إنما يزيد ابن اخيك ومثلك إذا شرع في امر لم يدعه حتى يحكمه فنشدتك الله إلا رجعت فتممت هذا فخرج من عنده فلقي كاتبه فقال ارجع بنا الى الكوفة فو الله وضعت رجل معاوية في غرز لا يخرجها منه إلا سفك الدماء وانصرف الى الكوفة .

وكتب معاوية الى زياد وهو بالبصرة إن المغيرة قد دعا اهل الكوفة الى البيعة ليزيد بولاية العهد بعدي وليس المغيرة بأحق بابن اخيك منك فاذا وصل اليك كتابي فادع الناس قبلك الى مثل ما دعاهم اليه المغيرة وخذ عليهم البيعة ليزيد فلما بلغ زياداً وقرأ الكتاب دعا برجل من اصحابه يثق بفضله وفهمه فقال اني اريد ان أئتمنك على مالم أئتمن عليه بطون الصحائف إيت معاوية وقل له يا امير المؤمنين إن كتابك ورد علي بكذا فما يقول الناس إذا دعوناهم الى بيعة يزيد وهو يلعب بالكلاب والقرود ويلبس المصبغ ويدمن الشراب ويمسي على الدفوف وبحضرتهم الحسين بن علي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر ، ولكن تأمره يتخلق بأخلاق هؤلاء حولا او حولين فعسانا ان نموه على الناس ، فلما صار الرسول الى معاوية وادى اليه الرسالة قال ويلي على ابن عبيد لقد بلغني ان الحادي حدا له ان الامير بعدي زياد ، والله لأردنه الى امه سمية والى ابيه عبيد .

وقدم المغيرة الكوفة منصرفاً من عند معاوية وقد خرج شبيب ابن بجرة الاشجعي

الخارجي فلما علم أن المغيرة هرب الى معاوية فقال انا قاتل علي بن أبي طالب ، وكان شبيب بن بجرة مع ابن ملجم في الليلة التي ضرب فيها علياً ، فقال له معاوية لا أراك ولا تراني فرجع الى الكوفة فقاتل المغيرة فوجه اليه جيشاً فقتله ، وخرج المستورد بن علفة التيمي من تيم الرباب سنة ٤٣ فوجه اليه المغيرة خيلاً فقتل بأسفل ساباط وقتل أصحابه جميعاً ، وخرج بعده معاذ بن جوين الطائي ابو المستورد فوجه اليه المغيرة خيلا عليها رجل من همدان فقتلوه ، وخرجت عصابة من الموالي أميرهم ابو علي من اهل الكوفة وهو مولى لبني الحارث بن كعب وكانت أول خارجة خرجت فيها الموالي فبعث المغيرة اليهم رجلاً من بجيلة فالتقوا بادوريا فناداهم البجلي يا معشر الأعاجم هذه العرب تقاتلنا على الدين فما بالكم فنادوه يا جابر ﴿ إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد فآمنا ولن نشرك بربنا أحداً ﴾ وإن الله بعث نبينا للناس كافة ولم يزوه عن أحد فقاتلهم حتى قتلهم .

وكانت مصر والمغرب لعمرو بن العاص طعمة شرطها له يوم بايع ، ونسخة الشرط ﴿ هذا ما أعطى معاويه بن أبي سفيان عمرو بن العاص مصر أعطاه أهلها فهم له حياته ولا تنقص طاعته شرطاً ﴾ فقال له وردان مولاه فيه الشعر من بدنك فجعل عمرو يقرأ الشرط ولا يقف على ما وقف عليه وردان ، فلما ختم الكتاب وشهد الشهود قال له وردان وما عمرك أيها الشيخ إلا كظمء حمارهلا شرطت لعقبك من بعدك ، فاستقال معاوية فلم يقله ، فكان عمرو لا يحمل اليه من مالها شيئاً يفرق الأعطية في الناس فما فضل من شيء اخذه لنفسه ، وولي عمرو بن العاص مصر عشر سنين منها لعمر بن الخطاب أربع سنين ولعثمان بن عفان أربع سنين إلا شهرين ولمعاوية سنتين وثلاثة أشهر وتوفي وله ثمان وتسعون سنة .

وكان داهية العرب رأياً وحزماً وعقلاً ولساناً ، وكان عمر بن الخطاب إذا رأى رجلاً يتكلم فلا يقيم كلامه يقول سبحان من خلقك وخلق عمرو بن العاص

﴿ وقال بعضهم ﴾ سمعت عمراً يقول سلطان عادل خير من سلطان ظلوم . وسلطان ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم . وزلة الرجل عظم يجبر . وزلة اللسان لا تبقي ولا تذر . واستراح من لا عقل له .

ولما حضرت عمراً الوفاة قال لابنه لودّ أبوك أنه كان مات في غزاة ذات السلاسل إني قد دخلت فى أمور لا أدري ما حجتي عند الله فيها . ثم نظر الى ماله فرأى كثرته فقال يا ليته كان بعراً يا ليتني مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت ديني آثرت دنياي وتركت آخرتي . عمي علي رشدي حتى حضرني أجلي . كأني بمعاوية قد حوى مالي واساء فيكم خلافتي . وتوفي عمرو ليلة الفطر سنة ٤٣ فاقر معاوية ابنه عبد الله بن عمرو ثم استصفى مال عمرو فكان أول من استصفى مال عامل ولم يكن يموت لمعاوية عامل إلا شاطر ورثته ماله فكان يكلم في ذلك فيقول هذه سنة سنها عمر ابن الخطاب . ثم عزل معاوية عبد الله بن عمرو وولى أخاه عتبة بن ابي سفيان مصر .

وكتب معاوية الى زياد بن ابي سفيان إن قبلك رجلاً من أصحاب رسول الله فولّه خراسان وهو الحكم بن عمرو الغفاري فولاه زياد خراسان فقدمها سنة ٤٤ فصار الى هراة ثم مضى منها الى الجوزجان ففتحها ونالتهم شدة حتى أكلوا دوابهم . وكان المهلب مع الحكم بن عمرو فى ذلك الوقت وقد عرف بلاء المهلب وبأسه . وتوفي الحكم ابن عمرو فولى زياد مكانه الربيع بن زياد الحارثي . وفتحت خوارزم فى ذلك الوقت وكان الذي فتحها عبد الله بن عقيل الثقفي .

وحج معاوية سنة ٤٤ وقدم معه من الشام بمنبر فوضعه عند البيت الحرام فكان أول من وضع المنبر فى المسجد الحرام . ولما صار الى المدينة أتاه جماعة من بني هاشم وكلموه فى أمورهم فقال : أما ترضون يا بني هاشم أن نقرّ عليكم دماءكم وقد قتلتم عثمان حتى تقولوا ما تقولون فوالله لأنتم أحل دماً من كذا وكذا وأعظم فى القول . فقال له ابن عباس كلما قلت لنا يا معاوية من شر بين دفتيك وانت والله أولى بذلك منا . أنت

قتلت عثمان ثم قمت تغمص على الناس أنك تطلب بدمه ، فانكسر معاوية ، فقال ابن عباس والله ما رأيتك صدقت إلا فزعت وانكسرت ، قال فضحك معـــاوية وقال والله ما أحب انكم لم تكونوا كلمتموني ثم كلمه الأنصار فأغلظ لهم في القول وقال لهم ما فعلت نواضحكم قالوا أفنيناها يوم بدر لما قتلنا أخاك وجدك وخالك ولكنا نفعـل ما أوصانا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما أوصاكم به قالوا اوصانا بالصبر قال فاصبروا ، ثم أدلج معاوية الى الشأم ولم يقض لهم حاجة ، وفي هذه السنة عمـل معاوية المقصورة في المسجد ﴿ الحرام ﴾ وأخرج المنابر الى المصلى في العيدين ، وخطب الخطبة قبل الصلاة ، وذلك ان الناس كانوا إذا صلوا انصرفوا لئلا يسمعوا لعن علي (ع) فقدم معاوية الخطبة قبل الصلاة ، ووهب فـدكا لمروان بن الحـكم ليغيظ بذلك آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

واستعمل معاوية ابن أثال النصراني على خراج حمص ولم يستعمل النصارى أحـد من الخلفاء قبله فاعترضه خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بالسيف فقتله فحبسه معاوية أياماً ثم أغرمه ديته ولم يقده منه ، وكان ابن أثال قتل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . دسّ اليه شربة سم فعيّره به المنذر بن الزبير بن العوام وقال تكلم وابن أثال بحمص يأمر وينهى وقد قتله قال خالد بن عبد الرحمن أما أنا فقد قتلت ابن أثال وهذا عمرو بن جرموز التميمي قاتل الزبير آمن السرب .

وكان عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب قد قدم على معاوية الى الشأم فجفاه معاوية ولم يقض له حاجة ودخل اليه يوماً فقال له يا ابن عباس كيف رأيت الله فعل بنا وبابي الحسن فقال فعلاً والله خير مختل عجله الى جنة ان تنالها وأخرك الى دنيا قد كان أمير المؤمنين عليه السلام نالها . قال وانك لتحكم على الله ، قال بما حكم الله به على نفسه ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون ﴾ قال معاوية والله لو عاش ابو عمرو حتى يراني لرأى نعم ابن العم فقال ابن عباس أما والله لو رآك أيقن أنك خذلته

حين كانت النصرة له ونصرته حين كانت النصرة لك ، قال وما دخولك بين العصا ولحائها ، قال ما دخلت إلا عليها لا لها فدعني مما اكره أدعك من مثله فلئن تحسن فاجازي أحب الي من أن تسيء فا كافي ثم نهض .

وفاة الحسن بن علي عليه السلام

وتوفي الحسن بن علي عليه السلام في شهر ربيع الأول سنة ٤٩ ، ولما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين ﴿ ع ﴾ يا أخي إن هذه آخر ثلاث مرات سقيت فيها السم ولم أسقه مثل مرتي هذه وأنا ميت من يومي فاذا أنا مت فادفني مع رسول الله ﴿ ص ﴾ فما أحد أولى بقربه مني إلا أن تمنع من ذلك فلا تسفك فيه محجمة دم ، ولما اخذ في اكفانه قال محمد ابن الحنفية ﴿ رحمك الله أبا محمد فوالله لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ونعم الروح روح عمر به بدنك ونعم البدن بدن ضمه كفنك ولم لا تكون كذلك وأنت سليل الهدى وحلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء غذتك كف الحق وربيت في حجر الاسلام وأرضعتك ثديا الايمان فطب حياً وميتاً فعليك السلام ورحمة الله وإن كانت أنفسنا غير قالية لحياتك ولا شاكة في الخيار لك ﴾ ثم أخرج نعشه يراد به قبر رسول الله ﴿ ص ﴾ فركب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فمنعا من ذلك حتى كادت تقع فتنة ﴿ وقيل ﴾ إن عائشة ركبت بغلة شهباء وقالت بيتي لا آذن فيه لأحد فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر فقال لها يا عمة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء فرجعت واجتمع مع الحسين ابن علي ﴿ ع ﴾ جماعة وخلق من الناس فقالوا له دعنا وآل مروان فوالله ما هم عندنا إلا كأكلة رأس ، فقال إن أخي أوصاني أن لا أريق فيه محجمة دم ، فدفن الحسن عليه السلام في البقيع ، وكان سنه سبعاً وأربعين سنة ، وتوفي الحسن بن علي وابن عباس عند معاوية فدخل عليه لما أتاه نعي الحسن فقال له يا بن عباس إن حسناً مات قال إنا لله وإنا اليه راجعون على عظم الخطب وجليل المصاب أما والله يا معاوية لئن كان

الحسن مات فما ينسى موته في أجلك ولا يسد جسمه حفرتك واقدمضى الى خير وبقيت على شر ، قال لا أحسبه قد خلف إلا صبية صغاراً ، قال كلنا كان صغيراً فكبر قال بخ بخ يا بن عباس أصبحت سيد قومك ، قال أما ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا .

وكان الحسن بن علي عليه السلام جواداً كريماً وأشبه برسول الله ﴿ص﴾ خلقاً وخُلقاً ، وسئل الحسن عليه السلام ما ذا سمعت من رسول الله فقال سمعته يقول لرجل ﴿ دع ما يريبك فان الشر ريبة والخير طمأنينة ﴾ وعقلت عنه أني بينا أنا أمشي معه إلى جنب جرن الضيفة (١) تناولت تمرة فادخلتها في فمي قال فادخل رسول الله [ص] إصبعه في فمي فاستخرجها فالقاها وقال إن محمداً وآل محمد لا تحل لهم الصدقة ، وعقلت عنه الصلوات الخمس . وحج الحسن عليه السلام خمس عشرة حجة ماشياً ، وخرج من ماله مرتين ، وقاسم الله عز وجل ثلاث مرات حتى كان يعطي نعلاً ويمسك نعلاً ويعطي خفاً ويمسك آخرى .

وقال معاوية للحسن يا أبا محمد ثلاث خلال ما وجدت من يخبرني عنهن ، قال وما هن قال المروة والكرم والنجدة ، قال أما المروة فاصلاح الرجل أمر دينه وحسن قيامه على ماله ولين الكف وإفشاء السلام والتحبب الى الناس ، والكرم العطية قبل السؤال والتبرع بالمعروف والاطعام في المحل ، ثم النجدة الذب عن الجار والمحاماة في الكريهة والصبر عند الشدائد .

وقال جابر سمعت الحسن عليه السلام يقول مكارم الأخلاق عشر صدق اللسان وصدق البأس وإعطاء السائل وحسن الخلق والمكافاة بالصنائع وصلة الرحم والتذمم على

(١) الجرن : بضم الجيم الموضع الذي يجمع فيه التمر إذا صرم ، والضيفة بفتح الضاد المعجمة وسكون الياء التحتانية — طريق بين الطائف وحنين ، (وقيل) بين مكة والطائف ، ولعل الصحيح (الصدقة) بدل (الضيفة) [م . ص]

الجار ومعرفة الحق للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء ﴿ وقيل ﴾ للحسن من أحسن الناس عيشاً ، قال من أشرك الناس في عيشه ﴿ وقيل ﴾ من أشر الناس عيشاً قال من لا يعيش في عيشه أحد ﴿ وقال الحسن عليه السلام ﴾ فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها ، وأشد من المصيبة سوء الخلق ، والعبادة انتظار الفرج ﴿ ودعا الحسن ابن علي عليه السلام ﴾ بنيه وبني أخيه فقال يا بني ويا بني أخي إنكم صغار قوم وتوشكون أن تكونوا كبار قوم آخرين فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم يرويه أو يحفظه فليكتبه وليجعله في بيته ﴿ وقال رجل للحسن ﴾ اني أخاف الموت قال ذاك أنك أخرت مالك ولو قدمته لسرك أن تلحق به .

وقال معاوية ما تكلم عندي احد أحب الي إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة فانه كان بين الحسن بن علي وبين عمرو بن عثمان بن عفان خصومة في أرض فعرض الحسن بن علي امراً لم يرضه عمرو فقال الحسن ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه فقط ﴿ وقال له ﴾ معاوية يوماً ما يجب لنا في سلطاننا ، قال ما قال سليمان بن داود ، قال معاوية وما قال سليمان ابن داود ، قال قال لبعض أصحابه أتدري ما يجب على الملك في ملكه وما لا يضره إذا أدى الذي عليه منه وإذا خاف الله في السر والعلانية وعدل في الغضب والرضا وقصد في الفقر والغنى ولم يأخذ الأموال غصباً ولم يأكلها اسرافاً وبذاراً لم يضره ما تمتع به من دنياه إذا كان ذلك من خلته ﴿ وقال الحسن عليه السلام ﴾ كان رسول الله [ص] إذا سأله أحد حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ﴿ ومر الحسن ﴾ يوماً وقاص يقص على باب مسجد رسول الله ﴿ ص ﴾ فقال الحسن ما أنت فقال أنا قاص يابن رسول الله قال كذبت محمد القاص ، قال الله عز وجل (فاقصص القصص) قال فأنا مذكر ، قال كذبت محمد المذكر قال له عز وجل ﴿ فذكر إنما انت مذكر ﴾ قال فما انا قال المتكلف من الرجال .

وكان للحسن عليه السلام من الولد ثمانية ذكور ، وهم : الحسن بن الحسن وأمه خولة بنت منظور الفزارية ، وزيد بن الحسن وأمه أم بشير بنت أبي مسعود الأنصارى الخزرجي ، وعمر ، والقاسم ، وابو بكر ، وعبد الرحمن ، لأمهات أولاد شتى ، وطلحة وعبيد الله .

ولما توفي الحسن وبلغ الشيعة ذلك اجتمعوا بالكوفة في دار سليمان بن صرد وفيهم بنو جعدة بن هبيرة فكتبوا الى الحسين بن علي عليه السلام يعزونه على مصابه بالحسن ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذي لا إلهَ إلا هو أما بعد فقد بلغنا وفاة الحسن بن علي يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً غفر الله ذنبه وتقبل حسناته وألحقه بنبيه وضاعف لك الأجر في المصاب به وجبر بك المصيبة من بعده فعندالله نحتسبه وإنا لله وإنا اليه راجعون ما أعظم ما أصيب به هذه الأمة عامة وأنت وهذه الشيعة خاصة بهلاك ابن الوصي وابن بنت النبي علم الهدى ونور البلاد انرجو لاقامة الدين وإعادة سير الصالحين فاصبر رحمك الله على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور فان فيك خلفاً ممن كان قبلك وإن الله يؤتي رشده من يهدى بهديك ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك المحزونة بحزنك المسرورة بسرورك السائرة بسيرتك المنتظرة لأمرك شرح الله صدرك ورفع ذكرك وأعظم أجرك وغفر ذنبك ورد عليك حقك ﴾

وبايع معاوية لابنه يزيد بولاية العهد بعد وفاة الحسن بن علي عليه السلام ولم يتخلف عن البيعة إلا أربعة نفر الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمان بن ابي بكر وعبد الله بن الزبير ، وقال عبد الله بن عمر نبايع من يلعب بالقرود والكلاب ويشرب الخمر ويظهر الفسوق ما حجتنا عند الله ، وقال عبد الله بن الزبير لا طاعة لمخلوق في معصية خالق وقد أفسد علينا ديننا ، وحج معاوية تلك السنة فتألف القوم ولم يكرههم على البيعة ، وأغزى معاوية يزيد ابنه الصائفة ومعه سفيان بن عوف الغامدي فسبقه

سفيان بالدخول إلى بلاد الروم فنال المسلمين فى بلاد الروم حمى وجدري ، وكانت أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر تحت يزيد بن معاوية وكان لها محبا فلما بلغه ما نال الناس من الحمى والجدري قال :

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم * بالغذ قذونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الأنماط فى غرف * بدير مران عندي أم كلثوم

فبلغ ذلك معاوية فقال أقسم بالله لتدخلن أرض الروم فليصيبنك ما أصابهم فاردف به ذلك الجيش فغزا حتى بلغ القسطنطينية .

ووجه معاوية عقبة بن نافع الفهري الى افريقية فافتتحها واختط قيروانها وبناه وكان موضع دغل وحلفاء تنزله الأسد ، وكان ذلك سنة ٥٠ ، ثم ولى معاوية دينارا أبا المهاجر مولى الأنصار مكان عقبة بن نافع الفهري فاخذ عقبة بن نافع فحبسه وقيده فاقام فى الحبس شهوراً ثم أطلقه فلما صار الى مصر رده عمرو بن العاص الى المغرب ﴿ وقيل ﴾ ورد كتاب من معاوية على عمرو يأمره بذلك فلما قدم عقبة افريقية اسر دينارا فحبسه وخرج على عقبة رجل من البربر يقال له ﴿ ابن الكاهنة ﴾ ولم يزل عقبة على البلد أيام معاوية ويزيد بن معاوية .

وتوفي المغيرة بن شعبة سنة ٥١ فولى معاوية الكوفة زياداً وضمها اليه مع البصرة فكان أول من جمع له المصران وكتب زياد الى معاوية إني قد شغلت شمالي بالعراق ويميني فارغة فان رأى أمير المؤمنين أن يوليني الموسم فكتب اليه بولاية الحجاز [وقيل] بولاية الموسم ، وكان عبد الله بن عمر بمحل فيقول أيديكم فادعوا الله أن يكفيكم يمين زياد ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن أبا بكرة أخاه أتاه فخطب صبياً له وقد كان قد حلف أن لا يكلمه مذ كاع عن الشهادة على المغيرة ، فقال يا بني أبوك ركب فى الاسلام عظيما شتم أمه ، وانتفى من أبيه ، ثم هو الآن يريد أن يفعل ما هو أكبر من هذا ، يمر بالمدينة فيستأذن على أم حبيبة بنت ابي سفيان فان اذنت فأعظم بها مصيبة على رسول الله [ص]

وعلى المسلمين وان لم تأذن له فأعظم بها فضيحة على أبيك ، فتأخر عن الخروج ، وكان حجر بن عدي الكندي و عمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهما من شيعة علي بن ابي طالب عليه السلام إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية وهم يلعنون علياً على المنبر يقومون فيردون اللعن عليهم ويتكلمون في ذلك .

فلما قدم زياد الكوفة خطب خطبة له مشهورة لم يحمد الله فيها ولم يصل على محمد [ص] وأرعد فيها وأبرق وتوعد وتهدد ، وأنكر كلام من تكلم ، وحذرهم ورهبهم ، وقال ﴿ قد سميت الكابة (١) على المنبر الصلعاء ﴾ فاذا واعدتكم فلم أف لكم بوعدي ووعيدي فلا طاعة لي عليكم ، وكانت بينه وبين حجر بن عدي مودة فوجه اليه فأحضره ثم قال له يا حجر أرأيت ما كنت عليه من المحبة والموالاة لعلي قال نعم قال فان الله قد حول ذلك بغضة وعداوة ، أو رأيت ما كنت عليه من البغضة والعداوة لمعاوية قال نعم ، قال فان الله قد حول ذلك محبة و والاة فلا أعلمنك ما ذكرت علياً بخير ولا أمير المؤمنين معاوية بشر . ثم بلغه أنهم يجتمعون فيتكلمون ويدبرون عليه وعلى معاوية ويذكرون مساويهما ويحرضون الناس فوجه صاحب شرطه اليهم فأخذ جماعة منهم فقتلوا وهرب عمرو بن الحمق الخزاعي الى الموصل وعدة معه وأخذ زياد حجر بن عدي الكندي وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه فأشخصهم الى معاوية فكتب فيهم أنهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب وزروا على الولاة فخرجوا بذلك من الطاعة وأنفذ شهادات قوم أولهم بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري فلما صاروا بمرج عذراء من دمشق على أميال أمر معاوية بايقافهم هناك ثم وجه اليهم من يضرب أعناقهم فكلمه قوم في ستة منهم فوقف عنهم فقتل سبعة حجر بن عدي الكندي ، وشريك ابن شداد الحضرمي ، وصيفي بن فسيل الشيباني ، وقبيصة بن ضبيعة العبسي ، ومحرز

(١) كذا في الأصل ، والصواب (قد سميت الكذبة) كما في عيون الأخبار لابن قتيبة والعقد الفريد وغيرهما . (م . ص)

ابن شهاب التميمي ، وكدام بن حيان العنزي .

ولما أراد قتلهم قال حجر بن عدي دعوني حتى أصلي فصلى ركعتين خفيفتين ثم أقبل عليهم فقال لو لا أن تظنوا بي خلاف ما بي لأحببت ان تكونا أطول ممـــا هما وإني لأول من رمى بسهم في هذا الموضوع وأول من هلك « فقيل له » أجزعت فقـال ولم لا أجزع وأنا ارى سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً ثم ضربت عنقه وأعناق القوم وكفنوا ودفنوا ، وكان ذلك في سنة ٥٢

وقال معاوية للحسين بن علي عليه السلام يا با عبد الله علمت أنا قتلنا شيعة أبيك فحنطناهم وكفناهم وصلينا عليهم ودفناهم ، فقال الحسين حججتك ورب الكعبة لكنا والله إن قتلنا شيعتك ما كفناهم ولا حنطناهم ولا صلينا عليهم ولا دفناهم .

وقالت عائشة لمعاوية حيث حج ودخل اليها يا معاوية أ قتلت حجراً واصحابه فاين عزب حلمك عنهم اما إني سمعت رسول الله « ص » يقول يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم اهل السماوات ، قال لم يحضرني رجل رشيد يا ام المؤمنين « وروي » أن معاوية كان يقول ما اعد نفسي حليماً بعد قتلي حجراً واصحاب حجر . وبلغ عبد الرحمان بن ام الحكم — وكان عامل معاوية على الموصل — مكان عمرو بن الحمق الخزاعي ورفاعة بن شداد فوجه في طلبهما فخرجا هـاربين وعمرو بن الحمق شديد العلة فلما كان في بعض الطريق لدغت عمراً حية فقال الله اكبر قال لي رسول الله [ص] يا عمرو ليشترك في قتلك الجن والانس ، ثم قال لرفاعة امض لشأنك فاني مأخوذ ومقتول ، ولحقته رسل عبد الرحمان ابن ام الحكم فأخذوه فضربت عنقه ونصب راسه على رمح وطيف به « فكان اول راس طيف به في الاسلام ، وقد كان معاوية حبس امرأته بدمشق فلما اتى براسه بعث به فوضع في حجرها فقالت للرسول ابلغ معاوية ما اقول [طالبه الله بدمه وعجل له الويل من نقمه فاقد اتى امراً فرياً وقتل براً تقياً] وكان اول من حبس النساء بجرائر الرجال

وخرج قريب وزحاف الخارجيان بالبصرة في جماعة من الخوارج فاستعرضا الشرط فقتلا منهم خلقاً عظيماً وصارا الى المسجد الجامع فقتلا خلقاً من الناس ومالوا الى القبائل ففعلوا مثل ذلك ، وكان زياد بالكوفة وعامله بالبصرة عبيد الله بن ابي بكرة فحاربهم فلما لم يكن له بهم طاقة كتب الى زياد فأقبل زياد حتى صار الى البصرة فصار الى دار الامارة ثم قال : يا أهل البصرة ما هذا الذي قد اشتملتم عليه إني أعطي الله عهداً لا يخرج علي خارجي بعدها فأدع من حيه وقبيلته أحداً فاكفوني بوائقكم ، فقام خطباء البصرة فتكلموا واعتذروا .

وكان معوية أول من أقام الحرس والشرط والبوابين في الاسلام ، وأرخى الستور ، واستكتب النصارى ، ومشي بين يديه بالحراب ، وأخذ الزكاة من الأعطية ، وجلس على السرير والناس تحته ، وجعل ديوان الخاتم ، وبنى وشيد البناء وسخر الناس في بنائه ولم يسخر أحد قبله ، واستصفى أموال الناس فأخذها لنفسه وكان سعيد بن المسيب يقول فعل الله بمعاوية وفعل فانه أول من أعاد هذا الأمر ملكاً وكان معاوية يقول أنا أول الملوك ، ورحل اليه عبد الله بن عمر يوماً فقال يا باعبد الله كيف ترى بنيانا ؛ قال إن كان من مال الله فانت من الخائنين ، وإن كان من مالك فانت من المسرفين ، ودخل اليه عدي بن حاتم فقال له كيف زماننا هذا يا با طريف ، فقال إن صدقناكم خفناكم وإن كذبناكم خفنا الله ، قال أقسمت عليك قال عدل زمانكم هذا جور زمان قد مضى ، وجور زمانكم هذا عدل زمان ما يأتي .

واستقر خراج العراق وما يضاف اليه مما كان في مملكة الفرس في أيام معاوية على ستمائة الف الف وخمسة وخمسين الف الف درهم ، وكان خراج السواد مائة الف الف وعشرين الف الف درهم ، وخراج فارس سبعين الف الف ، وخراج الأهواز وما يضاف اليها أربعين الف الف ، وخراج اليمامة والبحرين خمسة عشر الف الف درهم ، وخراج كور دجلة عشرة آلاف الف درهم ، وخراج نهاوند وماه الكوفة

وهو الدينور وماه البصرة وهو همذان وما يضاف الى ذلك من أرض الجبل أربعين الف الف درهم ، وخراج الري وما يضاف اليها ثلاثين الف الف درهم ، وخراج حلوان عشرين الف الف درهم ؛ وخراج الموصل وما يضاف اليها ويتصل بها خمسة وأربعين الف الف درهم ؛ وخراج آذربيجان ثلاثين الف الف درهم ؛ بعد أن أخرج معاوية من كل بلد ما كانت ملوك فارس تستصفيه لأنفسها من الضياع العامرة وجعله صافية لنفسه فاقطعه جماعة من أهل بيته .

وكان صاحب العراق يحمل اليه من مال صوافيه في هذه النواحي مائة الف الف درهم فمنها كانت صلاته وجوائزه ؛ واستقر خراج مصر في أيام معاوية على ثلاثة آلاف الف دينار ؛ وكان عمرو بن العاص يحمل منها اليه الشيء اليسير فلما مات عمرو حمل المال الى معاوية فكان يفرق في الناس عطياتهم ويحمل اليه الف الف دينار واستقر خراج فلسطين على أربعمائة وخمسين الف دينار ؛ واستقر خراج الأردن على مائة وثمانين الف دينار ؛ وخراج دمشق على أربعمائة الف وخمسين الف دينار وخراج جند مصر على ثلاثمائة وخمسين الف دينار ؛ وخراج قنسرين والعواصم على أربعمائة الف وخمسين الف دينار ، وخراج الجزيرة وهي ديار مضر وديار ربيعة على خمسة وخمسين الف الف درهم ؛ وخراج اليمن على الف الف ومائتي الف دينار [وقيل] تسعمائة الف دينار ؛ وكان معاوية قد ولى اليمن لما استقامت له الأمور ؛ فيروز الديلمي ، ثم استعمل مكانه عثمان بن عفان الثقفي ؛ ثم استعمل ابن بشير الأنصاري ؛ وفعل معاوية بالشأم والجزيرة واليمن مثل ما فعل بالعراق من استصفاء ما كان الملوك من الضياع وتصييرها لنفسه خالصة وأقطعها أهل بيته وخاصته ؛ وكان أول من كانت له الصوافي في جميع الدنيا حتى بمكة والمدينة فانه كان فيهما شيء يحمل في كل سنة من أوسق التمر والحنطة .

وكان معاوية وجه الى ثغر الهند ابن سوار بن همام فشخص في اربعة آلاف حتى

أتى مكران فاقام بها شهوراً ثم غزا القيقان فقاتلهم وصبر على قتالهم فقتل ابن سوار وعامة ذلك الجيش ورجع من بقي معه الى مكران فكتب معاوية الى زياد أن يوجه رجلا له حزم وجزالة ، فوجه سنان بن سلمة الهذلي فاتى مكران فلم يزل بها مقيماً ثم صرفه زياد وولى راشد بن عمرو الجديدي الأزدي فغزا القيقان فظفر وغنم وغزا بعض بلاد السند وفتح بلاد الهند وكانت الهند يومئذ أهون شوكة من السند فقتل راشد ببلاد السند .

وأقام زياد على ولاية العراق اثنتي عشرة سنة ، وكان لزياد دهاء ورجلة وصولة وكان أول من دوّن الدواوين ، ووضع النسخ للكتب ، وأفرد كتاب الرسائل من العرب والموالي المتفصحين ﴿ وكان زياد ﴾ يقول ينبغي أن يكون كتاب الخراج من رؤساء الاعاجم العالمين بأمور الخراج ﴿ وكان زياد ﴾ يقول ملاك السلطان أربع خلال ، العفاف عن المال ، والقرب من المحسن ، والشدة على المسيء ، وصدق اللسان [وكان زياد] أول من بسط الارزاق على عماله الف درهم الف درهم ولنفسه خمسة وعشرين الف درهم ﴿ وكان زياد ﴾ يقول ينبغي للوالي أن يكون أعلم باهل عمله منهم بأنفسهم ، وقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير تعرفني فقال نعم المعرفة الجامعة أعرفك باسمك واسم أبيك وكنيتك وعريفك وعشيرتك وفصيلتك ولقد بلغ من معرفتي بكم أني أرى البرد على أحدكم ثم على آخر عارية فأعرفه .

واختصم الى زياد رجلان فقال أحدهما أصلح الله الامير إنه يدل بناحية ذكر أنها له من الامير قال صدق سأخبرك بما ينفعه من ذلك ويضرك ، إن وجب له الحق عليك أخذتك له أخذاً عنيفاً ، وإن وجب عليه حكمت عليه وأديت عنه ﴿ وقال زياد ﴾ وهو على المنبر : إن أعظم الناس كذباً أمير يقف على المنبر وتحته مائة الف من الناس فيكذبهم وإني والله لا أعدكم أجراً إلا أنجزته ولا أعاقبكم حتى أتقدم عليكم ﴿ وكان زياد ﴾ يقول لاصحابه ليس كل يصل إلي ولا كل من وصل إلي أمكنه الكلام فاستشفعوا لمن وراءكم فاني من ورائكم أمنع إن أردت أن أمنع ﴿ وكان زياد ﴾ يقول

أربعة أعمال لا يليها إلا المسن الذي قد عض على ناجذه ، الثغر ، والصائفة ، والشرط والقضاء ، وينبغي أن يكون صاحب الشرط شديد الصولة قليل الغفلة ، وينبغي أن يكون صاحب الحرس مسنًا عفيفًا مأمونا لا يطعن عليه ، وينبغي أن يكون في الكاتب خمس خلال ، بعد غور ، وحسن مداراة ، وإحكام للعمل ، وأن لا يؤخر عمل اليوم لغد والنصيحة لصاحبه ، وينبغي للحاجب أن يكون عاقلاً فطنًا قد خدم الملوك قبل أن يتولى حجابتهم ، وتوفي زياد بالكوفة سنة ٥٤

﴿ وروي ﴾ أنه كان أحضر قومًا بلغه أنهم شيعة لعلي عليه السلام ليدعوهم إلى لعن علي والبراءة منه أو يضرب أعناقهم وكانوا سبعين رجلا ، فصعد المنبر وجعل يتكلم بالوعيد والتهديد ، فنام بعض القوم وهو جالس فقال له بعض أصحابه تنام وقد أحضرت لتقتل فقال من عمود الى عمود فرقان . لقد رأيت في نومتي هذه عجبا قالوا وما رأيت قال رأيت رجلاً أسود دخل المسجد فضرب رأسه السقف فقلت من أنت يا هذا فقال النقاد ذو الرقبة (١) قلت وأين تريد قال أدق عنق هذا الجبار الذي يتكلم على هذه الاعواد فبينا زياد يتكلم على المنبر إذ قبض على إصبعه ثم صاح يدي وسقط عن المنبر مغشيًا عليه فأدخل القصر وقد طعن في خنصره اليمنى فجعل لا يتغاذ فأحضر الطبيب فقال له اقطع يدي قال أيها الأمير أخبرني عن الوجع الذي تجده في يدك أو في قلبك فقال والله إنه في قلبي ، قال فعش سويا فلما نزل به الموت كتب إلى معاوية أني كتبت الى امير المؤمنين وأنا في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة

(١) نظم ذلك من رأى الرؤيا المذكورة — وهو عبد الرحمان بن السائب على رواية الشيخ المفيد في المجالس وابن عساكر في التاريخ (ج ٥ ص ٤٢١) أو كثير بن الصلت على رواية الكراجكي في الكنز — بقوله :

ما كان منتهيًا عما أراد بنا * حتى تناوله النقاد ذو الرقبة

فأثبت الشق منه ضربة ثبتت * كما تناول ظلمًا صاحب الرحبة

وقد استخلفت على عملي خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فلما توفي زياد ووضع نعشه ليصلي عليه تقدم عبيد الله ابنه فنحاه وتقدم خالد بن عبد الله فصلى عليه فلما فرغ من دفنه خرج عبيد الله من ساعته الى معاوية فلما قيل لمعاوية هذا عبيد الله فقال يا بني ما منع أباك أن يستخلفك أما لو فعل لفعلت ، فقال نشدتك الله يا امير المؤمنين أن يقولها لي أحد بعدك ما منع أباه وعمه أن يستعملاه ، فولاه خراسان وصير اليه ثغري الهند ، وتوفي المنذر فولى مكانه سنان بن سلمة فقاتل القيقان والبوقان وظفر ورزقه الله النصر عليهم ، وصار عبيد الله بن زياد الى خراسان فبدأ ببخارا وعليها ملكة يقال لها ﴿ خاتون ﴾ فقاتلهم حتى فتحها ثم قطع نهر بلخ ، وكان أول عربي قطع نهر بلخ وحاربه القوم محاربة شديدة وكان الظفر له ، ثم انصرف من خراسان الى معاوية فولاه البصرة سنة ٦٥ ﴿ وقيل ﴾ أول سنة ٥٧ ، وولى معاوية عبيدالله بن زياد خراسان فاستضعفه فعزله وولى عبد الرحمان بن زياد فلم يحمده فعزله فقدم عبد الرحمان بمال عظيم ﴿ فقيل ﴾ إنه قال قدمت معي بمال يكفيني مائة سنة لكل يوم الف درهم فذهب ذلك المال حتى نظر اليه في أيام الحجاج على حمار فقيل له أين المال فقال لا يكفي إلا وجه الله ، والحمار أيضاً ليس لي إنما هو عارية .

وولى معاوية خراسان بعد عبد الرحمان بن زياد سعيداً بن عثمان بن عفان فقطع النهر وصار الى بخارا فطلبت خاتون ملكة بخارا الصلح فأجابها الى ذلك ، ثم رجعت عن الصلح وطمعت في سعيد فحاربهم سعيد فظفر وقتل مقتلة عظيمة وسار الى سمرقند فحاصرها فلم يكن له طاقة بها فظفر بحصن فيه أبناء الملوك فلما صاروا في يده طلب القوم الصلح فحلف أن لا يبرح حتى يدخل المدينة ففتح له باب المدينة فدخلها ورمى القهندز بحجر وكان معه قثم بن العباس بن عبد المطلب فتوفي بسمرقند فلما بلغ عبد الله بن عباس موته قال ما أبعد ما بين مولده ومقبره ، مولده بمكة وقبره بسمرقند ، فانصرف سعيد بن عثمان الى معاوية فولى معاوية مكانه أسلم بن زرعة وصار سعيد الى المدينة ومعه

أسراء من أولاد ملوك السغد فوثبوا عليه وقتلوه وقتل بعضهم بعضاً حتى لم يبق منهم أحد ، وأقام أسلم بن زرعة شهوراً ، وكان عمال خراسان ينزلون هراة ثم ولى معاوية خاليد بن عبد الله الحنفي فكان آخر ولاته على خراسان .

وأراد سعد بن ابي وقاص أن يعمل له فامتنع عليه ولزم منزله وكان يسكن قصراً له خارج المدينة على عشرة أميال فلم يزل نازلاً به حتى توفي ، وكانت وفاته سنة ٥٥ وحمل على أيدي الرجال من قصره الى المدينة حتى دفن بالبقيع ، وتوفي أيام معاوية أربع من أزواج رسول الله ﴿ ص ﴾ حفصة بنت عمر توفيت سنة ٤٥ وصلى عليها مروان بن الحكم وهو عامل المدينة ، وصفية بنت حيي بن أخطب توفيت سنة ٥٠ وخولة بنت الحارث توفيت سنة ٥٦ ، وعائشة بنت أبي بكر توفيت سنة ٥٨ ، وصلى عليها أبو هريرة ، وكان خليفة لمروان على المدينة ، فقال بعض من حضر صلى عليها أعدى الناس لها ، وتوفي أبو هريرة سنة ٥٩

وكان لمعاوية حلم ودهاء وجود بالمال على المداراة من رجل ببخل على طعامه ، وقال سعيد بن العاص سمعت معاوية يوماً يقول لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ﴿ قيل ﴾ وكيف يا أمير المؤمنين قال كانوا إذا مدوها خليتها وإذا خلوها مددتها ، وكان إذا بلغه عن رجل ما يكره قطع لسانه بالاعطاء وربما احتال عليه فبعث به في الحروب وقدمه ، وكان اكثر فعله المكر والحيلة ، وحج بالناس في جميع سني ولايته حجتين سنة ٤٤ وسنة ٥٠ وأراد أن يحمل منبر رسول الله [ص] فنال المنبر زلزلة حتى ظن أنه آخر الدنيا فتركه ثم زاد فيه خمس مراقي من أسفله ، واعتمر عمرة رجب في سنة ٥٦ وكان أول من كسا الكعبة الديباج واشترى لها العبيد ، وكان يغلب عليه عمرو بن العاص ويزيد بن الحر العبسي والضحاك بن قيس الفهري ، وكان الضحاك على شرطته ، وعلى حرسه أبو مخارق مولى حمير ، وحاجبه رباح مولاه ، وكان معاوية

جهم الوجـــه جاحظ العين وافر اللحية عريض الصدر عظيم الاليتين قصـير الساقين والفخذين ، وكـانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وتوفي مستهل رجب ﴿ ويقال ﴾ للنصف من رجب سنة ٦٠ وهو ابن سبع وسبعين سنة ﴿ ويقال ﴾ ثمانين سنة ، وقد كان ضعف ونحل وسقطت ثنيتاه ، قال صالح بن عمرو رأيت معاوية على المنبر معتماً بعمامة سوداء قد سدلها على فيه وهو يقول معشر الناس كبرت سني وضعفت قوتي وأصبت في أحسني فرحم الله من دعالي ثم بكى فبكى معه الناس ، وخرج الضحاك ابن قيس لما مات معاوية فوضع أكفانه على المنبر ثم قال إن معاوية كان ناب العرب وحبالها وقد مات وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها وموردوه قبره ثم هو آخر اللقـاء وصلى عليه الضحاك بن قيس الفهري لغيبة يزيد في ذلك الوقت ، ودفن بدمشق وخلف من الذكور أربعة يزيد وعبد الله ومحمداً وعبد الرحمان .

وأقام الحج في أيامه سنة ٤١ ، وسنة ٤٢ عتبة بن أبي سفيان ، وفي سنة ٤٣ مروان ابن الحكم ، وفي سنة ٤٦ عتبة بن أبي سفيان ، وفي سنة ٤٧ عتبة بن ابي سفيان وفي سنة ٤٨ مروان بن الحكم وفي سنة ٤٩ سعيد بن العـاص ، وفي سنة ٥٠ معاوية بن أبي سفيـان ، وفي سنة ٥١ يزيد بن معاوية ، وفي سنة ٥٢ سعيد بن العاص ، وفي سنة ٥٣ سعيد بن العاص ايضاً ؛ وفي سنة ٥٤ مروان بن الحكم وفي سنة ٥٥ مروان بن الحكم . وفي سنة ٥٦ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وفي سنة ٥٧ الوليـد بن عتبة بن أبي سفيـان ايضاً ، وفي سنة ٥٨ الوليد بن عتبة ايضاً وفي سنة ٥٩ عثمان بن محمد بن أبي سفيان .

وغزا بالناس في ولايته سنة ٤١ وجه حبيب بن مسلمة فصالح صاحب الروم وكره أن يشغله ، و سنة ٤٣ غزا بسر بن ابي أرطاة أرض الروم ومشتاه بها . سنة ٤٤ غزا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد حتى بلغ قلونية ، سنة ٤٥ عبد الرحمان بن خالد بن الوليد وشتى بأرض الروم وبلغ انطاكية ، سنة ٤٦ مالك بن عبدالله الخثعمي

﴿ وقيل ﴾ مالك بن هبيرة السكوني وشتى بأرض الروم ، سنة ٤٧ مالك بن هبيرة السكوني وشتى بأرض الروم ، سنة ٤٨ عبد الرحمان العتبي وبلغ انطاكية السوداء سنة ٤٩ فضالة بن عبيد ففتح الله على يده وسبى سبياً كثيراً ، سنة ٥٠ غزا بسر بن ابي أرطاة وشتى سفيان بن عوف ، سنه ٥١ غزا محمد بن عبد الرحمان وشتى فضالة بن عبيد الأنصاري ، سنة ٥٢ سفيان بن عوف فتوفي فاستخلف عبد الله بن مسعدة الفزاري ، سنة ٥٣ محمد بن مالك ﴿ وقيل ﴾ فتحت طرسوس في هذه السنة فتحها جنادة بن أبي أمية الأزدي ، سنة ٥٥ مالك بن عبد الله الخثعمي وشتى بأرض الروم سنة ٥٦ يزيد بن معاوية فبلغ القسطنطنية وشتى مسعود بن أبي مسعود ، وكان على البر يزيد بن شجرة ، وعلى البحر عياض بن الحارث ، كل هذا قتال ، سنة ٥٧ عبد الله ابن قيس ، سنة ٥٨ مالك بن عبد الله الخثعمي ﴿ وقال ﴾ عمرو بن يزيد الجهني ﴿ وقيل ﴾ يزيد بن شجرة في البحر ، سنة ٥٩ عمرو بن مرة الجهني في البر لم يكن عامئذ غزوة في البحر .

وكان الفقهاء في أيام معاوية عبد الله بن عباس ، عبد الله بن عمر بن الخطاب المسور بن مخرمة الزهري ، السائب بن يزيد ، عبد الرحمان بن حاطب ، ابو بكر ابن عبد الرحمان بن الحارث ، سعيد بن المسيب ، عروة بن الزبير ، عطاء بن يسار ، القسم بن محمد بن أبي بكر ، عبيدة بن قيس السلماني ، الربيع بن خثيم الثوري ، زرّ بن حبيش . الحارث بن قيس الجعفي ، عمرو بن عتبة بن فرقد ، الأحنف بن قيس ، الحارث ابن عمير الزبيدي ، سويد بن غفلة الجعفي ، عمرو بن ميمون الأودي ، مطرف بن عبد الله ابن الشخير ، شقيق بن سلمة ، عمرو بن شرحبيل ، عبيد الله بن يزيد الخطمي ، الحارث الأعور الهمداني ، مسروق بن الأجدع ، علقمة بن قيس الخثعمي ، شريح بن الحارث الكندي ، زيد بن وهب الهمداني .

أيام يزيد بن معاوية

وملك يزيد بن معاوية ، وأمه ميسون بنت بحدل الكلبي في مستهل رجب سنة ستين وكانت الشمس يومئذ في الثور درجة وعشرين دقيقة ، والقمر في العقرب .. (١) .. درجات وثلاثين دقيقة ، وزحل في السرطان إحدى عشرة درجة والمشتري في الجدي تسع عشرة درجة ، والمريخ في الجوزاء اثنين وعشرين درجة وثلاثين دقيقة ، والزهرة في الجوزاء ثماني درجات وخمسين دقيقة ، وعطارد في الثور عشرين درجة وثلاثين دقيقة .

وكان غائباً فلما قدم دمشق كتب الى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو عامل المدينة ﴿ إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير فخذهما بالبيعة فان امتنعا فاضرب أعناقهما وابعث إلي برؤوسهما ، وخذ الناس بالبيعة فمن امتنع فانفذ فيه الحكم وفي الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير والسلام ﴾

فورد الكتاب على الوليد ليلاً فوجه الى الحسين عليه السلام والى عبد الله بن الزبير فأخبرهما الخبر فقالا نصبح ونأتيك مع الناس ؛ فقال له مروان إنهما والله إن خرجا لم ترهما فخذهما بأن يبايعا وإلا فاضرب أعناقهما ؛ فقال والله ما كنت لأقطع أرحامهما فخرجا من عنده وتنحيا من تحت ليلتهما فخرج الحسين عليه السلام الى مكة فاقام بها أياماً وكتب أهل العراق اليه ووجهوا بالرسل على إثر الرسل فكان آخر كتاب ورد عليه منهم كتاب هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله الحنفي ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي من شيعته المؤمنين والمسلمين أما بعد فحي هلا فان الناس ينتظرونك لا إمام لهم غيرك فالعجل ثم العجل والسلام ﴾ فوجه اليهم مسلم بن عقيل بن أبي طالب [رض] وكتب اليهم وأعلمهم أنه إثر كتابه فلما قدم مسلم الكوفة اجتمعوا اليه فبايعوه

---

(١) لا يكون القمر في العقرب والشمس في الثور إلا إن كان نصف الشهر وأما في مستهل الشهر فهي مع الشمس في الثور فلينظر . [عن هامش الأصل]

وعاهدوه وعاقدوه وأعطوه المواثيق على النصرة والمشايعة والوفاء ، وأقبل الحسين عليه السلام من مكة يريد العراق ، وكان يزيد قد ولى عبيد الله بن زياد العراق وكتب اليه ﴿ قد بلغني أن أهل الكوفة قد كتبوا الى الحسين في القدوم عليهم وأنه قد خرج من مكة متوجهاً نحوهم وقد بلي بلدك من بين البلدان وأيامك من بين الأيام فان قتلته وإلا رجعت الى نسبك والى أبيك عبيد فاحذر أن يفوتك ﴾

مقتل الحسين بن علي عليه السلام

وقدم عبيد الله بن زياد الكوفة وبها مسلم بن عقيل قد نزل على هاني بن عروة ؛ وهاني شديد العلة وكان صديقاً لابن زياد فلما قدم ابن زياد الكوفة أخبر بعلة هاني فأتاه ليعوده فقال هاني لمسلم بن عقيل وأصحابه وهم جماعة إذا جلس ابن زياد عندى وتمكن فاني سأقول اسقوني فاخرجوا فاقتلوه فأدخلهم البيت وجلس في الرواق وأتاه عبيد الله ابن زياد يعوده فلما تمكن قال هانيء بن عروة اسقوني فلم يخرجوا فقال اسقوني مايؤخركم ثم قال اسقوني ولو كانت فيه نفسي ، ففهم ابن زياد فقام فخرج من عنده ووجه بالشرط يطلبون مسلما وخرج وأصحابه وهو لا يشك في وفاء القوم وصحة نياتهم فقاتل عبيد الله فأخذوه فقتله عبيد الله وجر برجله في السوق وقتل هاني بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانته إياه ، وسار الحسين ﴿ ع ﴾ يريد العراق فلما بلغ القطقطانة أتاه الخبر بقتل مسلم بن عقيل . ووجه عبيد الله بن زياد لما بلغه قربه من الكوفة بالحر ابن يزيد فمنعه من أن يعدل ، ثم بعث اليه بعمر بن سعد بن أبي وقاص في جيش فلقي الحسين ﴿ ع ﴾ بموضع على الفرات يقال له ﴿ كربلاء ﴾ وكان الحسين عليه السلام في اثنين وستين أو اثنين وسبعين رجلاً من أهل بيته وأصحابه ، وعمر بن سعد فى أربعة آلاف فمنعوه الماء وحالوا بينه وبين الفرات فناشدهم الله عز وجل فأبوا إلا قتاله أو يستسلم فيمضوا به الى عبيد الله بن زياد فيرى رأيه فيه وينفذ فيه حكم يزيد .

﴿ فروي ﴾ عن علي بن الحسين [ع] أنه قال إني لجالس في العشية التي قتل أبي

الحسين بن علي فى صبيحتها وعمتي زينب تمرضني إذ دخل أبي وهو يقول :

يا دهر أف لك من خليل * كم لك فى الاشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل * والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل * وكل حي سالك سبيلي

فنهمت ما قال وعرفت ما أراد وخنقتني عبرتي ورددت دمعي وعرفت أن البلاء قد نزل بنا ، فأما عمتي زينب فانها لما سمعت ما سمعت ــ والنساء من شأنهن الرقة والجزع فلم تملك أن وثبت تجر ثوبها حاسرة وهي تقول وا ثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت فاطمة وعلي والحسن بن علي أخي ، فنظر اليها فردد غصته ثم قال يا أختي اتقي الله فان الموت نازل لا محالة فلطمت وجهها وخرت مغشياً عليها وصاحت واويلاه وا ثكلاه ، فتقدم اليها فصب على وجهها الماء وقال لها يا أختاه تعزي بعزاء الله فان لي ولكل مسلم أسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال إني أقسم عليك فأبري قسمي لا تشقي علي جيباً ولا تخمشي علي وجها ولا تدعي علي بالويل والثبور ، ثم جاء بها حتى أجلسها عندي وإني لمريض مدنف ، وخرج الى أصحابه فلما كان من الغد خرج فكلم القوم وعظم عليهم حقه وذكرهم الله عز وجل ورسوله وسألهم أن يخلوا بينه وبين الرجوع فأبوا إلا قتاله اوأخذه حتى يأتوا به عبيد الله بن زياد فجعل يكلم القوم بعد القوم والرجل بعد الرجل فيقولون ما ندري ما تقول ، فأقبل على أصحابه فقال إن القوم ليسوا يقصدون غيري وقد قضيتم ما عليكم فانصرفوا فانتم في حل . فقالوا لا والله يا ابن رسول الله حتى تكون انفسنا قبل نفسك فجزاهم الخير . وخرج زهير بن القين على فرس له فنادى « يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار . عباد الله ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ولد سمية فان لم تنصروهم فلا تقاتلوهم . أيها الناس إنه ما أصبح على ظهر الأرض ابن بنت نبي إلا الحسين فلا يعين أحد على قتله ولو بكلمة إلا نغصه الله الدنيا وعذبه أشد عذاب الآخرة » ثم تقدموا رجلا رجلا حتى بقي وحده ما معه أحد

من أهله ولا ولده ولا أقاربه فانه لواقف على فرسه إذ أتى بمولود قد ولد له في تلك الساعة فاذن فى أذنه وجعل يحنكه إذ أتاه سهم فوقع فى حلق الصبي فذبحه فنزع الحسين ﴿ ع ﴾ السهم من حلقه وجعل يلطخه بدمه ويقول والله لأنت أكرم على الله من الناقة ولمحمد أكرم على الله من صالح ، ثم أتى فوضعه مع ولده وبني أخيه ثم حمل عليهم فقتل منهم حلقاً عظيماً وأتاه سهم فوقع فى لبته فخرج من قفاه فسقط وبادر القوم فاحتزوا رأسه وبعثوا به الى عبيد الله بن زياد ، وانتهبوا مضاربه ، وابتزوا حرمه وحملوهن الى الكوفة فلما دخلن اليها خرجن نساء الكوفة يصرخن ويبكين فقال علي بن الحسين ﴿ ع ﴾ هؤلاء يبكون علينا فمن قتلنا ، وأخرج عيال الحسين وولده الى الشام ونصب رأسه على رمح ، وكان مقتله لعشر ليال خلون من المحرم سنة ٦١ واختلفوا فى اليوم . فقالوا يوم السبت . وقالوا يوم الاثنين . وقالوا يوم الجمعة . وكان من شهور العجم فى تشرين الأول ﴿ قال الخوارزمي ﴾ وكانت الشمس يومئذ فى الميزان سبع عشرة درجة وعشرين دقيقة . والقمر فى الدلو عشرين درجة وعشرين دقيقة وزحل فى السرطان تسعاً وعشرين درجة وعشرين دقيقة . والمشتري فى الجدي اثنتي عشرة درجة وأربعين دقيقة . والزهرة فى السنبلة خمس درجات وخمسين دقيقة وعطارد فى الميزان خمس درج وأربعين دقيقة . والرأس فى الجوزاء درجة وخمساً وأربعين دقيقة . ووضع الرأس بين يدي يزيد فجعل يزيد (١) يقرع ثناياه بالقضيب وكان أول صارخة صرخت فى المدينة أم سلمة زوج رسول الله ﴿ ص ﴾ كان دفع اليها قارورة فيها تربة وقال لها إن جبرئيل أعلمني أن أمتي تقتل الحسين قالت وأعطاني هذه التربة وقال لي إذا صارت دماً عبيطاً فاعلمي أن الحسين قد قتل . وكانت عندها

---

(١) يروى عن رسول الله [ص] أنه رأى أبا سفيان راكباً على جمل ومعاوية يقوده ويزيد يسوقه فقال صلى الله عليه وآله وسلم « لعن الله الراكب والقائد والسائق» حديث مشهور . (عن هامش الأصل)

فلما حضر ذلك الوقت جعلت تنظر الى القارورة في كل ساعة فلما رأتها قد صارت دماً صاحت وا حسيناه وا ابن رسول الله فتصارخن النساء من كل ناحية حتى ارتفعت المدينة بالضجة التي ما سمع بمثلها قط . وكانت سني الحسين عليه السلام يوم قتل ستاً وخمسين سنة ، وذلك أنه ولد في سنة ٤ من الهجرة ﴿ وقيل ﴾ للحسين ماسمعت من رسول الله قال سمعته يقول : إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها ، وعقلت عنه أنه يكبر فاكبر خلفه فاذا سمع تكبيري أعاد التكبير حتى يكبر سبعاً ، وعلمني قل هو الله احد ، وعلمني الصلوات الخمس ، وسمعته يقول من يطع الله يرفعه ، ومن يعص الله يضعه ، ومن يخلص نيته لله يزينه ، ومن يثق بما عند الله يغنيه ، ومن يتعزز على الله يذله ﴿ وقال بعضهم ﴾ سمعت الحسين يقول الصدق عز والكذب عجز ، والسر أمانة ، والجوار قرابة ، والمعونة صداقة ، والعمل تجربة ، والخلق الحسن عبادة ، والصمت زين ، والشح فقر ، والسخاء غنى ، والرفق لب ﴿ ووقف ﴾ الحسين بن علي بالحسن البصري والحسن لا يعرفه فقال له الحسين ياشيخ هل ترضى لنفسك يوم بعثك قال لا . قال فتحدث نفسك بترك ما لا ترضاه لنفسك من نفسك يوم بعثك . قال نعم بلا حقيقة . قال فمن أغش لنفسه منك لنفسه يوم بعثك وأنت لا تحدث نفسك بترك ما لا ترضاه لنفسك بحقيقة . ثم مضى الحسين عليه السلام فقال الحسن البصري من هذا فقيل له الحسين بن علي فقال سهلتم علي .

وكان للحسين عليه السلام من الولد . علي الاكبر لا بقية له قتل بالطف . وأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي . وعلي الأصغر وأمه حرار (١) بنت يزدجرد . وكان الحسين سماها غزالة ﴿ وقيل ﴾ لعلي بن الحسين ما أقل ولد أبيك قال العجب كيف ولدت له . إنه كان يصلي فى اليوم والليلة الف ركعة فمتى كان

(١) كذا فى الأصل . والمشهور أن اسم أمه شاه زنان . وقيل شهربانويه وقيل السلافة . وقيل أم سلمة . (م . ص)

يفرغ الدماء (١)

وأقام عبد الله بن الزبير بمكة خالعاً يزيد ودعا الى نفسه وأخرج عامل يزيد ووجه اليه يزيد ابن عضاه الأشعري وكتب اليه يعطيه الأمان ويعلمه أنه كان حلف أن لا يقبل بيعته إلا وهو فى جامعة حديد حتى يبايع ثم يطلقه . وكان مروان بن الحكم عامل المدينة فكره ابن الزبير أن يجيب الى ذلك وداخله الهلع عند ما بلغه من قتل الحسين فوجه اليه مع بعض ثقاته بشعر يقول فيه :

فخذها فليست للعزيز بخطة * وفيها مقال لامرئ متذلل

وكان ابن الزبير شديد العزة فلم يفعل وأجاب ابن عضاه بجواب غليظ فقال ابن عضاه إن الحسين بن علي كان أجل قدراً فى الاسلام وأهله من قبل وقد رأيت حاله . فقال له ابن الزبير إن الحسين بن علي خرج الى من لا يعرف حقه وإن المسلمين قد اجتمعوا علي . فقال له فهذا ابن عباس وابن عمر لم يبايعك . وانصرف وأخذ ابن الزبير عبد الله بن عباس بالبيعة له فامتنع عليه . فبلغ يزيد بن معاوية أن عبد الله ابن عباس قد امتنع على ابن الزبير فسرّه ذلك وكتب الى ابن عباس « أما بعد فقد بلغني أن الملحد ابن الزبير دعاك الى بيعته وعرض عليك الدخول فى طاعته لتكون على الباطل ظهيراً وفى المأثم شريكاً وأنك امتنعت عليه واعتصمت ببيعتنا وفاءً منك لنا وطاعة لله فيما عرفك من حقنا فجزاك الله من ذي رحم بأحسن ما يجزي به الواصلين لأرحامهم فاني ما أنس من الأشياء فلست بناس برك وحسن جزائك وتعجيل صلتك بالذي أنت مني أهله في الشرف والطاعة والقرابة برسول الله . فانظر رحمك الله فيمن قبلك من قومك ومن يطرأ عليك من الآفاق ممن يسحره الملحد بلسانه وزخرف قوله فأعلمهم حسن رأيك في طاعتي والتمسك ببيعتي فانهم لك أطوع ومنك أسمع منهم للمحل الملحد والسلام »

---

(١) المشهور أن ذلك قيل للامام الباقر في شأن أبيه علي بن الحسين (ع) [م ص]

فكتب اليه عبد الله بن عباس « من عبد الله بن عباس الى يزيد بن معاوية أما بعد فقد بلغني كتابك بذكر دعاء ابن الزبير إياي الى نفسه وامتناعي عليه في الذي دعاني اليه من بيعته فان يك ذلك كما بلغك فلست حمدك أردت ولا ودك ، ولكن الله بالذي أنوي عليم ، وزعمت أنك لست بناس ودي فلعمري ما تؤتينا مما في يدك من حقنا إلا القليل ، وإنك لتحبس عنا منه العريض الطويل ، وسألتني أن أحث الناس عليك وأخذلهم عن ابن الزبير ، فلا ولا سروراً ولا حبوراً وأنت قتلت الحسين بن علي ، بفيك الكثكث ، ولك الاثلب إنك إن تمنيك نفسك ذلك لعازب الرأي وإنك لأنت المفند المهور ، لا تحسبني — لا أبالك — نسيت قتلك حسيناً وفتيان بني عبد المطلب مصابيح الدجا ونجوم الأعلام ، غادرهم جنودك مصرعين في الصعيد مرملين بالتراب مسلوبين بالعراء ، لا مكفنين ، تسفي عليهم الرياح وتعاورهم الذئاب ، وتنتاب بهم عرج الضباع حتى أتاح الله لهم أقواماً لم يشتركوا في دمائهم فأجنوهم في أكفانهم ، وبي والله وبهم عززت وجلست مجلسك الذي جلست يا يزيد ، وما أنس من الأشياء فلست بناس تسليطك عليهم الدعي العاهر ابن العاهر البعيد رحماً اللئيم أباً وأماً الذي في ادعاء أبيك إياه ما اكتسب أبوك به إلا العار والخزي والمذلة في الآخرة والأولى وفي الممات والمحيا ، إن نبي الله [ص] قال « الولد للفراش وللعاهر الحجر » فالحقه بأبيه كما يلحق بالعفيف النقي ولده الرشيد ، وقد أمات أبوك السنة جهلاً وأحيى البدع والأحداث المضلة عمداً ، وما أنس من الأشياء فلست بناس إطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله « ص » إلى حرم الله ودسك اليه الرجال تغتاله فاشخصته من حرم الله الى الكوفة فخرج منها خائفاً يترقب ، وقد كان أعز أهل البطحاء بالبطحاء قديماً ، وأعز أهلها بها حديثاً ، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوأ بها مقاماً واستحل بها قتالاً ، ولكن كره أن يكون هو الذي يستحل حرمة البيت وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاكبر من ذلك ما لم تكبر ، حيث دسست اليه

الرجال فيها ليقاتل في الحرم ، ومالم يكبر ابن الزبير حيث ألحد با لبيت الحرام ﴿ وعرضه للعائر (١) واحل ار العالم ﴾ وأنت لأنت المستحل فيما أظن بل لا أشك فيه أنك للمحرق العريف ، فانك حلف نسوة صاحب ملاهي فلما رأى سوء رأيك شخص الى العراق ولم يبتغك ضرابا وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، ثم إنك الكاتب الى ابن مرجانة أن يستقبل حسيناً بالرجال وأمرته بمعاجلته وترك مطاولته والالحاح عليه حتى يقتله ومن معه من بني عبد المطلب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فنحن اولئك لسنا كآبائك الأجلاف الجفاة الاكباد الجبير ، ثم طلب الحسين بن علي اليه الموادعة وسألهم الرجعة فاغتنمتم قلة أنصاره واستئصال أهل بيته فعدوتم عليهم فقتلتموهم كأنما قتلتم أهل بيت من الترك والكفر ، فلا شيء عندي أعجب من طلبك ودي ونصري وقد قتلت بني أبي وسيفك يقطر من دمي وأنت أحد ثاري فان يشأ الله لا يطل لديك دمي ولا تسبقني بثأري وإن سبقتني به في الدنيا فقبلنا ما قتل النبيون وآل النبيين وكان الله الموعد وكفى به للمظلومين ناصراً ومن الظالمين منتقماً ، فلا يعجبنك إن ظفرت بنا اليوم فو الله لنظفرن بك يوماً ، فاما ماذكرت من وفائي وما زعمت من حقي فان يك ذلك كذلك فقد والله بايعت أباك وإني لأعلم أن بني عمي وجميع بني أبي أحق بهذا الأمر من أبيك ولكنكم معاشر قريش كاثرتمونا فاستأثرتم علينا سلطاننا ، ودفعتمونا عن حقنا فبعداً على من اجترأ على ظلمنا واستغوى السفهاء علينا وتولى الأمر دوننا ، فبعداً لهم كما بعدت ثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ومكذبو المرسلين ، ألا ومن أعجب الأعاجيب — وماعشت أراك الدهر اعجيب — حملك بنات عبد المطلب وغلمة صغاراً من ولده اليك بالشأم كالسبي المجلوب تري الناس أنك قهرتنا وأنك تأمرت علينا ، ولعمري لئن كنت تصبح وتمسي آمناً لجرح يدي ، إني لأرجو أن يعظم جراحك بلساني ونقضي وإبرامي فلايستغربك

(١) كذا في الأصل ، ولعله (وعرضه للغائر ، وقتل به البادي والعاكف)

الجذل ولا يمهلك الله بعد قتلك عترة رسول الله ﴿ ص ﴾ إلاقليلا حتى يأخذك أخذاً اليماً فيخرجك الله من الدنيا ذميما أثيما ، فعش لا أبا لك فقد والله أرداك عند الله ما اقترفت والسلام على من أطاع الله ﴾

وولى يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة فاتاد ابن مينا عامل صوافي معـــاوية فاعلمه أنه أراد حمل ما كان يحمله في كل سنة من تلك الصوافي من الحنطة والتمر وأن أهل المدينة منعوه من ذلك فارسل عثمان الى جماعة منهم فـكلمهم بكلام غايظ فوثبوا به وبمن كان معه بالمدينة من بني آمية فاخرجوهم من المدينة واتبعوهم يرجمونهم بالحجارة فلما انتهى الخبر الى يزيد بن معاوية وجه الى مسلم بن عقبة فاقدمه من فلسطين وهو مريض فأدخله منزله ثم قص عليه القصة فقال يا أمير المؤمنين وجهني اليهم فو الله لأدعن أسفلها أعلاها يعني مدينة الرسول ﴿ ص ﴾ فوجهه في خمسة آلاف الى المدينة فاوقع بأهلها ﴿ وقعة الحرة ﴾ فقاتله أهل المدينة قتالاً شديداً وخندقوا على المدينة فرام ناحية من نواحي الخندق فتعذر ذلك عليه فخدع مروان بعضهم فدخل ومعه مائة فارس فاتبعه الخيل حتى دخلت المدينة فلم يبق بها كثيراحد إلا قتل وأباح حرم رسول الله [ص] حتى ولدت الأبكار لا يعرف من أولدهن (١)

ثم أخذ الناس على أن يبايعوا على أنهم عبيد يزيد بن معاوية فـكان الرجل من قريش يؤتى به فيقال بايع آية أنك عبد قن ليزيد ، فيقول لا فيضرب عنقه فاتاه علي ابن الحسين ﴿ ع ﴾ فقال علام يريد يزيد أن أبايعك قال على أنك أخ وابن عم فقال وإن أردت أن أبايعك على أني عبد قن فعلت ؛ فقال ما اجشمك هذا ، فلما أن رأى الناس إجابة علي بن الحسين ﴿ ع ﴾ قالوا هذا ابن رسول الله ﴿ ص ﴾ بايعه

(١) ولدت الف امرأة من [وقعة الحرة] من غير أزواج فلعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من استحل ذلك في حرم رسول الله ﴿ ص ﴾ اللهم العن المشير بهذه القتلة لعنًا وبيلاً وأصله بفعله جهنم وساءت مصيراً . (عن هامش الأصل)

على ما يريد فبايعوه على ما أراد ، وكان ذلك سنة ٦٢ ، وكان جيش مسلم خمسة آلاف رجل ، من فلسطين الف رجل عليهم روح بن زنباع الجذامي ، ومن الأردن الف رجل عليهم حبيش بن دلجة القيني ، ومن دمشق الف رجل عليهم عبد الله بن مسعدة الفزاري ، ومن أهل حمص الف رجل عليهم الحصين بن نمير السكوني ، ومن قنسرين الف رجل عليهم زفر بن الحارث الكلابي ، وكان المدبر لأمر أهل المدينة والرئيس في محاربة أهل الشام عبد الله بن حنظلة بن ابي عامر الأنصاري .

وخرج مسلم بن عقبة من المدينة يريد مكة لمحاربة ابن الزبير فلما صار بثنية المشلل احتضر واستخلف الحصين بن نمير وقال له يا برذعة الحمار لولا حبيش بن دلجة القيني لما وليتك فاذا قدمت مكة فلا تكون عملك إلا الوقاف ثم الثقاف (١) ثم الانصراف ثم قال « اللهم إن عذبتني بعد طاعتي لخليفتك يزيد بن معاوية وقتل أهل الحرة فأني إذاً لشقي » ثم خرجت نفسه فدفن بثنية المشلل ، وجاءت أم ولد يزيد بن عبد الله ابن زمعة فنبشته وصلبته على المشلل وجاء الناس فرجموه وبلغ الحصين بن نمير فرجع فدفنه وقتل جماعة من أهل ذلك الموضع « وقيل » لم يدع منهم أحداً ، وقدم الحصين بن نمير مكة فناوش ابن الزبير الحرب في الحرم ورماه بالنيران حتى أحرق الكعبة وكان عبد الله بن عمير الليثي قاضي ابن الزبير إذا تواقف الفريقان قام على الكعبة فنادى بأعلى صوته يا أهل الشأم هذا حرم الله الذي كان مأمناً في الجاهلية يأمن فيه الطير والصيد فاتقوا الله يا أهل الشأم ، فيصيح الشاميون الطاعة الطاعة ، الكرة الكرة الرواح قبل المساء ، فلم يزل على ذلك حتى أحرقت الكعبة ، فقال أصحاب ابن الزبير نطفئ النار فمنعهم وأراد أن يغضب الناس للكعبة ، فقال بعض أهل الشأم إن الحرمة والطاعة اجتمعا فغلبت الطاعة الحرمة ، وكان حريق الكعبة سنة ٦٣ .

---

(١) الوقاف بالكسر هو أن تقف معه ويقف معك في حرب أو خصومة و (الثقاف) بالكسر ايضاً الخصام والجلاد . (تاج العروس)

وولى يزيد سلم بن زياد خراسان وبعث معه بعدة من الأشراف أحدهم طلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، والمهلب بن أبي صفرة ، وعمر ابن عبيد الله بن معمر التيمي ، وعبد الله بن خازم السلمي ، فصار الى خراسان فاقام بنيسابور ثم صار الى خوارزم ففتحها ثم صار الى بخارا وملكتها « خاتون » فلما رأت كثرة جمعه هالها ذلك وكتبت الى « طرخون » ملك السغد إني متزوجتك فاقبل الي لتملك بخارا فاقبل اليها في مائة الف وعشرين الف فوجه سلم المهلب بن أبي صفرة طليعة له لما بلغه إقبال طرخون فخرج وتبعه الناس فلما أشرفوا على عسكر طرخون زحف أصحاب طرخون اليهم والتحم القتال ورشقهم المسلمون بالنبل فقتل طرخون وانهزم أصحابه فقتل منهم بشر كثير فبلغت سهام المسلمين يومئذ للفارس الفين وأربعمائة وللراجل الفا ومائتين ، ولم يزل ابن زياد بخراسان حتى توفي يزيد وكان يكتم موته حتى ذاع في الناس فانصرف سلم من خراسان فاستخلف ابن خازم السلمي وذلك أنه خاف أن يثب به فداراه وبلغه اختلاط الناس فأعطاه عهده ومضى وأقام ابن خازم بخراسان فعمل العجائب ولم يكن يرد عليه وسار سليمان الى هراة ووثب أوس بن ثعلبة بالطالقان فلم يزل يحاربها ويحارب الترك وهو في كل ذلك منصور عليهم .

وتوفي يزيد بن معاوية في صفر سنة ٦٤ بموضع يقال له « حوارين » وحمل الى دمشق فدفن بها وصلى عليه معاوية بن يزيد ، وكان له من الولد الذكور أربعة معاوية وخالد وأبو سفيان وعبد الله ، وكان الغالب عليه حسان بن بحدل الكلبي ، وروح ابن زنباع الجذامي ، والنعمان بن بشير وعبد الله بن رباح ، وكان على شرطه عبد الله ابن عامر الهمداني ، وعلى حرسه سعيد مولى كلب ، وحاجبه صفوان مولاه .

وكتب مروان بن الحكم الى الحصين بن نمير وهو فى محاربة ابن الزبير لا يهولنك ما حدث وامض لشأنك ، وبلغ الخبر ابن الزبير وذاع فى العسكر فانكسرت شوكة القوم وأرسل الحصين بن نمير الى ابن الزبير نلتقي الليلة على الأمان فالتقيا فقال له

الحصين بن نمير إن يزيد قد مات وابنه صبي فهل لك أن أحملك الى الشام فليس بالشام أحد فأبايع لك فليس يختلف عليك اثنان ، فقال ابن الزبير رافعاً صوته لا والله الذي لا إله إلا هو أو تقتل بأهل الحرة امثالهم من أهل الشام ، فقال له الحصين بن زعم أنك داهية فهو أحمق ؛ أقول لك مالك سراً وتقول لي ماعليك علانية ، ثم انصرف وكان سعيد بن المسيب يسمي سني يزيد بن معاوية بالشؤم ؛ في السنة الأولى قتل الحسين ابن علي عليه السلام وأهل بيت رسول الله ﴿ ص ﴾ والثانية استبيح حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانهكت حرمة المدينة ، والثالثة سفك الدماء في حرم الله وحرقوا الكعبة .

وأقام الحج في ولاية يزيد بن معاوية سنة ٦٠ عمرو بن سعيد بن العاص ، وفي سنة ٦١ الوليد بن عتبة وفي سنة ٦٢ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وغزا بالناس في ولايته ، سنة ٦١ غزا مالك بن عبد الله الخثعمي الصائفة (١) وهي غزاة سورية ،

أيام معاوية بن يزيد بن معاوية

ثم ملك معاوية بن يزيد بن معاوية ـ وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ـ أربعين يوماً ﴿ وقيل ﴾ بل أربعة أشهر ، وكان له مذهب جميل فخطب الناس فقال ﴿ أما بعد حمد الله والثناء عليه أيها الناس إنا بلينا بكم وبليتم بنا فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا ألا وإن جدي معاوية بن ابي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله ﴿ ص ﴾ وأحق في الاسلام سابق المسلمين واول المؤمنين وابن عم رسول رب العالمين وأبا بقية خاتم المرسلين فركب منكم ما تعلمون وركبتم منه مالا تنكرون حتى اتته منيته وصار رهناً بعمله ثم قلد أبي وكان غير خليق للخير فركب هواه واستحسن خطأه وعظم رجاؤه فاخلفه الأمل وقصر عنه الأجل فقلت منعته وانقطعت مدته وصار في حفرته رهناً بذنبه وأسيراً بجرمه ﴾ ثم بكى وقال

---

(١) الصائفة غزوة الروم لأنهم كانوا يغزون صيفاً لمكان البرد والثلج [القاموس]

﴿ إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبيح منقلبه وقد قتل عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأباح الحرمة وحرّق الكعبة وما أنا المتقلد أموركم ولا المتحمل تبعاتكم فشأنكم أمركم فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظاً وإن تكن شراً فحسب آل سفيان ما أصابوا منها ﴾ فقال له مروان بن الحكم سنها فينا عمرية قال ﴿ ما كنت أتقلدكم حياً وميتاً ، ومتى صار ابن يزيد مثل عمر ، ومن لي برجل مثل رجال عمر ﴾ وتوفي وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وصلى عليه خالد بن يزيد بن معاوية ﴿ وقيل ﴾ بل عثمان بن محمد بن ابي سفيان ودفن بدمشق وكان بها ينزل .



﴿ تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث ، أوله أيام مروان بن الحكم ﴾
﴿ وعبدالله بن الزبير وعبدالملك بن مروان ﴾

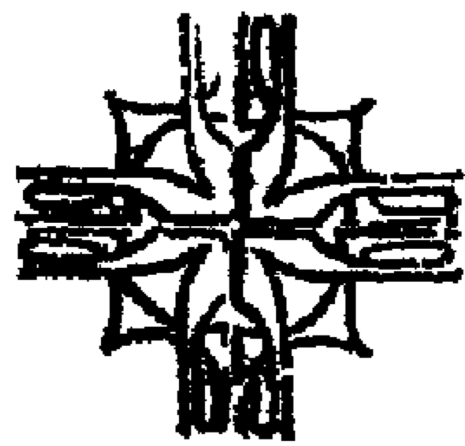
فهرس مواضيع الجزء الثـــانى

جدول الخطأ والصواب للجزء الثـــــانى

بالرغم من الدقة في التصحيح وبذل غاية الجهد فيه فقد وقعت الأغلاط الآتية وإنما العصمة لله

ص	س	الخطأ	الصواب	ص	س	الخطأ	الصواب
٠٢	٠١	رب	لله رب	٧٧	١٣	سنط	سلط
٠٨	٠٧	زباب	رئاب (ظ)	٨٠	١٦	دبنه	ديه
٠٨	١٠	حذب	حذاب (ظ)	٩٢	٠٦	وسكالوا	وكاوا
٠٩	٠٥	العر	العز	٩٦	١٥	حل	حل
٠٩	٢٠	يا آمرة فال تصرفت :	يا آل مرة فانصرفت	١٠٧	٢١	والظعن	والطعن
				١١٢	١٦	والغارة	والمغارة
٣٩	١٥	له	له قل	١٢٠	١٠	بت	بيت
٣٩	١٧	مقاتهم	مقاتلهم	١٣٠	١١	فصالحيهم	فصالحهم
٥١	٠٣	ينتظرون	(ينتظر	١٢٨	٠١	القط	اللقط
٥٤	٠٧	استأسروا	استأسروا	١٣٦	٠٧	عبد الله	عبيد الله
٥٥	٢٠	تعلبة	ثعلبة	١٣٨	٠٢	عبد الله	عبد الله
٥٧	٠٧	يارسوالله	يارسول الله	١٤٥	٠٩	تحرج	تحرج
٦٢	٠٧	الأريسيين	الأريسيين	١٥٩	٠٢	رسوله	رسول
٦٣	٢٣	وبنو	وبنو تميم	١٦١	٠١	أبلغني	فقال أبلغني
٦٥	٠٣	نصرانيه	نصرانيته	١٦٩	٠٩	فلو	فو
٧١	٠٨	المتصله	المتصلة	١٧٦	٠٦	للخروج	على الخراج (ظ)
٧٤	١٢	لا يعصر	يعصر	١٩٦	٠٣	وودت	وددت
٧٤	١٢	حى	نعي	١٩٧	٠١	أن	أن قدم
٧٦	٠٤	فاستمر	واستغفر	٢٠٣	٠٨	يوم ولدت	(الظاهر أن

ص	س	الخطأ	الصواب
			في العبرة سقطاً فراجع
٢٠٦	٠٤	الموضوع	الموضع
٢٠٦	٠٢	هلك	هلك فيه
٢١١	١٠	٦٥	٥٦
٢٢٠	١١	لم يبايعك	لم يبايعك
٢٢٦	١١	الخثعمي	الخثعمي



لفت نظر

ورد في صفحة ٩٧ سطر ١١ من المشبهين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ أسهد بن العمرة وهاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ﴾ وهكذا كان في نسخة الأصل . ولكن الصحيح ﴿ السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ﴾ وقد ذكر السائب هذا ابن حجر العسقلاني في الاصابة (ج ٢ ص ١١) وعده من المشبهين برسول الله (ص) أما أسهد بن العمرة فهو من المهملين في المعاجم ولا وجود له أصلاً والراجح أنه تصحيف (السائب بن عبيد) كما أن هاشم بن عبد المطلب لا وجود له في المعاجم والصحيح هاشم بن المطلب . ففي العبارة تصحيف وزيادة وسقط ، فلاحظ . وقد عد ابن رستة في الأعلاق النفيسة (صفحة ٢٠١ من طبع ليدن سنة ١٨٩١ م) جماعة من المشبهين برسول الله (ص) وعد منهم من ذكروا في كتابنا هذا وغيرهم فليراجع . (م . ص)